الاستعمار الالكتروني والاعلام



الاستعمار الالكتروني
والاعلام

تأليف

أ. عبير الرحباني

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن - عمان

نبلاء ناشرون وموزعون

الأردن - عمان

الناشر

دار أسامة للنشر و التوزيع

الأردن – عمان
• هاتف: 5658252 – 009626/5658253
• فاكس: 009626 / 5658254
• العنوان: العبدلي– مقابل البنك العربي

ص. ب: 141781

Email: darosama@orange.jo
www.darosama.net
نبلاء ناشرون وموزعون

الأردن – عمان- العبدلي

تليفاكس: 009626/5664085 009626

الطبعة الأولى

2015م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2014/6/3061)

302.23 الرحباني، عبير شفيق

الاستعمار الالكتروني والاعلام/ عبير شفيق الرحباني.-
عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2014.

( ) ص.

ر.أ: (2014/6/3061).

الواصفات: /الاعلام//الاتصال الجماهيري// الانترنيت/
ISPN: 978-9957-22-617-6

الفهرس

المقدمة 5

الفصل الاول

الاعلام الجديد.. استعمار بقوالب جديدة 9

المبحث الاول 10

(مفهوم الاعلام الجديد) 10

المبحث الثاني 17

(الاعلام الجديد واشكالياته) 17

المبحث الثالث. 23

(الاعلام الجديد .. استعمار بقوالب جديدة) 23

المبحث الرابع 34

(الاعلام التقليدي والاعلام الجديد وموجات التغيير) 34

هوامش الفصل الاول 42

الفصل الثاني

من العولمة إلى الاستعمار الإلكتروني 43

المبحث الاول 44

(العولمة طريق للاستعمار الالكتروني) 44

المبحث الثاني 52

(العولمة وابعادها) 52

المبحث الثالث. 60

(العولمة والهيمنة) 60

المبحث الرابع 65

(نظرية الاستعمار الالكتروني ونظرية النظام العالمي) 65

هوامش الفصل الثاني. 86

الفصل الثالث

الاستعمار الإلكتروني.... عصر الشيطان 87

المبحث الاول 88

(خطورة الاستعمار الالكتروني) 88

المبحث الثاني	**109**
(الاستعمار الالكتروني والاجهزة الذكية)	109
المبحث الثالث	**125**
(التجسس والجرائم الالكترونية ..عصر الشيطان)	125
المبحث الرابع	**161**
(الفيسبوك - استعمار الكتروني)	161
هوامش الفصل الثالث	177

الفصل الرابع

الاستعمار الإلكتروني والإعلام	179
المبحث الاول	**180**
(الاعلام الدولي والهيمنة).	180
المبحث الثاني	**202**
(التدفق الحر للمعلومات والنظام الاعلامي العالمي الجديد).	202
المبحث الثالث	**224**
(الامبراطوريات الاعلامية العالمية)	224
المبحث الثالث	**251**
(النفوذ الامريكي - الصهيوني)	251
المبحث الرابع	**272**
(الاعلام المعولم)	272
ملخص القول	322
هوامش الفصل الرابع	323
المصادر والمراجع	326

المقدمة:

قد تكون نظرتي متشائمة للواقع الاعلامي الذي نعيش، لكن هذا هو حالنا وهذا هو واقعنا المؤسف. فعلى الرغم من تطور ادوات المعرفة والانفتاح على الاخر والتدفق المعلوماتي الهائل وتعدد وسائل الاعلام المختلفة والتطورات التكنولوجية والابتكارات النوعية الهائلة والتي جعلت الباب مفتوحاً بحيث اصبحت اكثر قدرة على مواجهة التحديات والمعوقات والاحداث والظروف التي يفرضها الواقع الاعلامي الجديد والتقنية الحديثة، الا انه يمكن القول باننا اصبحنا نعيش بما يسمى بـ "الوهم" الذي اصبح يلتف حول وسائل الاعلام وبخاصة (التقنية العصرية) التي اربكت المجتمعات برمتها.

ولا شك ان ثورة تكنولوجيا الاتصال ساهمت في احداث التغيير والتطور الاعلامي، لكن علينا ان ندرك ان هذا التغيير كان له اثار سلبية بخاصة على الدول النامية ومجتمعنا العربي. فما انبثق عن هذه الثورة من اعلام جديد جعلنا نشعر بالقلق والخوف والفوضى والانحرافات والتشكيك بمصداقية المعلومة المقدمة عبر وسائل الاعلام المختلفة سواء اكانت وسائل قديمة ام حديثة. الامر الذي ادى لتدهور اخلاقيات المهنة، بحيث اصبحت الاخيرة تتغول على البشرية مستخدمة شتى انواع الوسائل وشتى انواع السبل في السيطرة على العقول البشرية من خلال ما تقدمه من برامج وما تتطرق اليه من احداث خصوصا السياسية منها والتي جعلت شعوب العالم تعيش فوضى الاعلام والانفلات الاعلامي والحروب الاعلامية. وربما كان الاستعمار الالكتروني احد اهم الاسباب الرئيسة التي ادت الى تدهور ليس اعلامنا العربي فحسب، وانما تدهور اوضاعنا الاجتماعية والثقافية، من حيث انماطنا وسلوكياتنا واخلاقنا ولغتنا وهويتنا حيث اثر تأثيرا سلبيا عميقا في مجتمعاتنا.

وصحيح ان وسائل الاعلام عموماً من المفروض ان تقوم على نقل الحقائق والاحداث والمعلومات، لكن هذا ليس كافيا في ظل العولمة التي ادت الى الاستعمار الالكتروني الذي يمثل تقنية متطوّرة لأشكال الاستعمار القديمة حيث ان هذا

الاجتياح أشد خطورة من الاستعمار المباشر والاستعمار التجاري. ويتمثل بالامبراطوريات الاعلامية ووكالات الانباء الدولية والفضائيات العالمية والموجهة والتي تصب في خدمة اهداف اللوبي الصهيوني لتحقيق مصالحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال السعي (لامركة العالم) من خلال الاعلام والمال الصهيوني.

وحقيقة فان هذه الوسائل لا تدور من فراغ بل لها اهداف بعيدة المدى واستراتيجيات غامضة تحاول من خلالها جاهدة التأثير على المجتمعات والدول بخاصة الدول النامية والدول العربية لتحقيق ما تريد. اما رسالتها المقدمة فهي اشبه بالابرة المخدرة التي تقوم من خلالها بتخدير العقول ولا سيما الضعيفة منها لتصديقها.

كما ان تطور بيئة الاتصال وظهور الاعلام الجديد ساعد على تغول الاستعمار الالكتروني بطريقة شرسة. الامر الذي ادى الى تشتت الاعلاميين والصحافيين في التعامل مع التقنيات الجديدة واخلاقياتها، ما احدث فجوة عميقة بين الرسالة الإعلامية المقدمة والمهنة. ولا يقتصر هذا التشتت على الاعلاميين والصحافيين فحسب، انما ادى لتشتيت الاذهان والعقول العربية وجعلها في حالة فراغ وضياع برغم توفر كل شيء من حولها.

فما هو الاستعمار الالكتروني ؟ وما هي خطورة تأثيره على العقول بخاصة الضعيفة ؟ وما هو تأثير العولمة على الاعلام؟ وكيف لنا ان نواجه الجرائم الالكترونية والنفوذ الصهيوني؟ وما هو الاعلام الدولي وما مدى خطورته وتأثيره على العالم وبخاصة دول الجنوب؟

وما هي التحديات والمعوقات التي تواجه اعلامنا العربي في ظل التطور التكنولوجي الهائل والاستعمار الالكتروني الاشبه بعصر الشيطان؟ والى متى ستبقى الاصوات تعلو للوصول الى نظام اعلامي عالمي جديد يحد من ظاهرتي الاحتكار والهيمنة ويحد من تغول الاعلام الدولي الذي يجتاحنا بتغول شرس؟

فمن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب كأول محاولة على المستوى المحلي والاقليمي يبحث في موضوع (الاستعمار الالكتروني) بشكل تفصيلي في محاولة لارساء مفاهيم التطور التكنولوجي والعولمة والجرائم الالكترونية والاعلام الجديد والنفوذ الصهيوني، وصولا لنظرية الاستعمار الالكتروني وتأثيره على العقول، بخاصة العقول الضعيفة. وايجاد الحلول العصرية المناسبة، كما جاء للبحث عن ايجابات عديدة ربما تكون شائكة ومعقده في عصرنا هذا.

وقد جاء هذا الكتاب في "اربعة فصول" حيث يحتوي كل فصل على اربعة مباحث.

- بينما جاء الفصل الاول بعنوان: (الاعلام الجديد . استعمار بقوالب جديدة) ليتناول مفهوم الاعلام الجديد واشكالياته. كما يتناول هذا الفصل الاعلام الجديد كإستعمار بقوالب جديدة وكيفية تأثيره على العقول. كما يتناول الاعلام التقليدي والاعلام الجديد من حيث موجات التغيير ومدى تأثيره كل منهما في خلال ثورات الربيع العربي.
- اما الفصل الثاني بعنوان: (من العولمة الى الاستعمار الالكتروني) فقد ركز هذا الفصل على العولمة مفهومها ونشأتها وابعادها واهدافها وصولا الى الاستعمار الالكتروني. كما ركز على العولمة والهيمنة الامريكية- الصهيونية في التأثير على العالم وعلى دول الجنوب خاصة. كما يشرح هذا الفصل نظريتي الاستعمار الالكتروني والاعلام العالمي وتمثيلة من خلال الرسم ايضاً.
- اما الفصل الثالث فهو بعنوان: (الاستعمار الالكتروني .. عصر الشيطان) حيث يشرح خطورة الاستعمار الالكتروني على حياتنا وحضارتنا وقيمنا وهويتنا ولغتنا، وخطورته على المرأة العربية والاجيال الحالية والمستقبلية كما يتناول الاجهزة الذكية وعلاقتها بالاستعمار الالكتروني. كما يشرح عمليات التجسس الالكترونية والجرائم الكترونية ومدى خطورتها ما يؤكد اننا نعيش عصر الشيطان. كما يكشف حقائق عن شبكة التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) ومدى خطورته ودوره في الحرب الاعلامية .

❖ اما الفصل الرابع والاخير والمتعلق بعنوان الكتاب. (الاستعمار الالكتروني والاعلام) حيث يشرح مفهوم الاعلام الدولي ونشأته واهدافه وابعاده كما يركزَ على التدفق الحر للمعلومات والنظام الاعلامي العالمي الجديد الذي سعت الدول لتحقيقه وما زال حلماً لم يتحقق بعد. كما يشرح هذا الفصل الامبراطوريات الاعلامية العالمية ومدى تأثيرها وخطورتها. كما يشرح ايضاً علاقة اللوبي الصهيوني بهذه الامبراطوريات ومدى سيطرته على العالم . كما يتناول الاعلام من حيث عولمته وعولمة العناصر الاتصالية جميعها. اضافة الى تناول الواقع الاعلامي العربي .

الفصل الاول

الاعلام الجديد.. استعمار بقوالب جديدة

المبحث الاول

(مفهوم الاعلام الجديد)

لا شك بان الثورة التكنولوجية قد سارت على نحو متواز مع ثورة تكنولوجيا المعلومات التي تعتبر مصدراً للمعلومات وسلعةً مقدمة للجماهير عبر وسائل الاتصال المختلفة.

ونحن اليوم وبسبب تكنولوجيا الاتصال المتسارع نشهد انفجاراً معرفياً ومعلوماتياً في شتى المجالات، بحيث يمكن ارسال المعلومة واستقبالها وتخزينها وامكانية استرجاعها ونشرها في اي وقت وعبر اي وسيلة بسرعة فائقة وباقل جهد ممكن، وذلك من خلال الاعتماد على شبكات الكومبيوتر وشبكات الاتصالات والاقمار الصناعية حيث ان التدفق المعلوماتي السريع والحر والهائل ادى الى تفجير الثورة المعلوماتية.

والتكنولوجيا وسيلة ضرورية لانجاز المهام وتحقيق الاهداف المرجوه بحسب كل مجتمع وقيمه، كما انها وسيلة هامة من وسائل المعرفة التي نتج عنها التدفق المعلوماتي الحر، كما وانها اداة هامة في استخدام التنقل والكتابة والحساب والسيطرة والتكامل وزيادة فاعلية المنظومات وتطبيق المعرفة بانواعها المختلفة بطريقة نظامية تسير وفق المعارف المنظمة، كما وانها اداة هامة في اقتناء المعلومات بأشكالها المختلفة سواء اكانت (نصوص او فيديوهات او صور او خرائط او صوت او رسوم متحركة وغيرها ...الخ) وتخزينها واسترجاعها واعادة نشرها في اي وقت وفي اي مكان وعبر اي وسيلة.

وقد ادى التطور التكنولوجي الذي كان انتشار الانترنت من ابرز واهم منجزاته الى ظهور الوسائط الحديثة المتطورة التي استطاعت بقدرتها الفائقة إعداد المواد الاعلامية بما فيها البرامج ونقل الاحداث لحظة وقوعها من موقع الحدث بصورة مباشرة وفورية، حيث استطاعت من خلال تطورها الفني والتكنولوجي

الكبير ان تلغي دور الوسيط في نقل الاخبار والمعلومات من خلال منافسة تكنولوجيا الاعلام والتدفق المعلوماتي الذي لم يكن مقتصرا على الوسائل التقليدية كالصحف او الاذاعة او التلفزيون فحسب، بل كان ابرز منافسي تلك الوسائل ظهور الحاسوب وشبكة الانترنت.

ولا شك ان التطور التكنولوجي ادى الى تغير الوسائل الاعلامية التقليدية الى وسائل الكترونية عرفت باسم الاعلام الالكتروني والذي نعني به " الصحافة الالكترونية. ولكن لم يقتصر هذا التطور التكنولوجي الهائل والسريع على الصحافة فحسب، بل ادى هذا التطور الى تغيرات جديدة طرأت على الوسائل التقليدية جميعها وحتى الاقمار الصناعة والهواتف ايضا

ولا شك بان الاعلام الجديد يختلف عن الاعلام التقليدي، فمن اعلام تقليدي الى اعلام الكتروني، الى اعلام رقمي –الكتروني الى ظهور ما يسمى بـ "الاعلام الجديد" الذي يتضمن الاجهزة الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي المختلفة واهمها (الفيسبوك).

ويعتبر الاعلام الجديد مجموعة من الانشطة الرقمية الالكترونية الجديدة التي تقوم بنشر المحتوى واستقباله ايضا من خلال الوسائط الالكترونية المتعددة. وهو اعلام شبكي – الكتروني – تفاعلي – مجتمعي – ورقمي- وبديل عن وسائل الاتصال الاخرى بسبب استخدامه الواسع وانتشاره بين الجماهير.

ويتميز الاعلام الجديد بادواته المتنوعة مثل شبكات التواصل لاجتماعي و لاجهزة الذكية وما تحويه من برامج عدة يمكن استخدامها في عملية ارسال الرسائل ونشرها وتخزينها واعادة استرجاعها عبر جهاز الكومبيوتر، حيث تحوي تلك الرسائل الصوت، والصورة، والصور المتحركة، والنصوص، والفيديوهات .. الخ اضافة الى اجراء المحادثات والمكالمات المجانية وارسال الرسائل المجانية بشرط توفر شبكة الانترنت.

ويعتبر الاعلام الجديد منافساً خطيراً بخاصة للوسائل التقليدية، كما انه رخيص التكلفة، ويتميز بالسرعة الفائقة، وهو وسيلة اتصال اجتماعية.

ولا شك ان الاعلام الجديد لم ينتقل تدريجيا كالاعلام التقليدي، بل انتقل بصورة مفاجئة وسريعة بحيث تعاظم فيه دور الفرد في وضع اجندات ومتحول من مجرد شخص مستقبل للمعلومة الى شخص صانع للقرار ومتحكم في الاخبار والمعلومات وموزع لها في نفس الوقت من خلال استخدامه لمواقع الانترنت كالفيسبوك وتوتير والشبيك وغيرها... الخ.

ولا بد للاشارة هنا الى ان الاعلام الجديد له انواع عدة، فهناك اعلام جديد عبر شبكة الانترنت، واعلام جديد عبر الهواتف النقالة (الاجهزة الذكية)، كما يوجد اعلام عبر الحاسبات الآلية، وايضاً اعلام عبر الاعلام التقليدي بعد التعديلات المميزة التي طرأت عليه.

ولا بد لنا اولا ان نوضح للقارئه ما يشمله الاعلام الجديد من شبكات التواصل الاجتماعي بصورة مختصرة على النحو الآتي:-

❖ **شبكات التواصل الاجتماعي:**

- **الفيسبوك:** ويعتبر من اهم واشهر مواقع شبكات التواصل الاجتماعي
- **التويتر:** هو موقع من مواقع التواصل الاجتماعي يقدم خدمة التدوين بحيث يسمح بعدد محدود من المداخلات على شكل رسالة نصية وتحديثها من ثم ارسالها عبر الهواتف النقالة
- **سكايب:** هو برنامج تجاري يستخدم بتوفر شبكة الانترنت بحيث يمكن التحدث هاتفياً من خلاله بالصوت والصورة المتحركة مجاناً.
- **ماي سبيس:** هو موقع يقدم خدمات الشبكات الاجتماعية كالمدونات ونشر الصور والافلام والموسيقى والفيديوهات ايضا، كما يتيح خدمة التفاعل مع الاصدقاء.
- **فليكر:** وهو الموقع لمشاركة الصور وحفظها بالاضافة الى تنظيمها عبر الانترنت، كما يمكن من خلاله التعليق على الصور من قبل الزائرين للموقع

لينكدان يعتبر هذا الموقع موقعا متخصصا لقطاع رجال الاعمال والشركات، بحيث يقدم تسهيل عملية الحصول على موظفين مرشحين للعمل كما يتيح لهم عرض سيرتهم الذاتية المفصلة

الهواتف النقالة: ومنها الهواتف الخلوية والجوالة، وتعد الهواتف النقالة احدى وسائل لاعلام الجديد الذي يعتمد على الاتصال اللاسلكي، ويحتوي برامج عدة كالحاسبات الالكترونية والخرائط وبرنامج الفيسبوك والسكايبب والواتسآب والتانجو والالعاب وغيرها من البرامج.

- اليوتيوب:

يعتبر اليوتيوب وسيلة اتصالية واسعة الانتشار، وقد اصبحت مع مرور الوقت ظاهرة ثقافية ويضم هذا الموقع فيديوهات متنوعة في مختلف المجالات، سواء اكانت اغاني او افلام او برامج او اي فيديوهات مختلفة النوع، حتى ان المستخدم نفسه بامكانه انزال الفيديو الخاص به، او الفيديو الذي قام باعادة مونتاجه من جديد.

والجدير بالذكر ان البريد الالكتروني كان الموقع الوحيد الذي يتم من خلاله نشر مقطع الفيديو بحيث لا يمكن مشاهدة مقاطع الفيديو من خلاله الا لثوان محدودة

وجاءت فكرة انشاء موقع (اليوتيوب) لصعوبة نشر الصور التي تم التقاطها من قبل "تشاد هيرلي" و "ستيف تشين" خلال تصويرهم احد الاحتفالات في ولاية سان فرانسيسكو الامريكية، فقاموا بإنشاء موقع (اليوتيوب) بشكل مؤقت.

وهذا الموقع تأسس في بداية عام 2005 على يد (تشاد هيرلي) و(ستيف تشين) و(جاود كريم) وذلك في مدينة سان برونو في ولاية كالفورنيا الامريكية.

وقد اعلنت شركة غوغل مالكة هذا الموقع ان مستخدمي الموقع يحملون ما مقداره (35) ساعة فيديو كل دقيقة، وهذا يعني (2130) ساعة فيديو في كل ساعة و(5400) ساعة في اليوم. ما يعني ان هذا الكم من الساعات المستخدمة يفوق ببثه اكبر ثلاث محطات تلفزيونية امريكية مجتمعة في 60 عاما لو واصلت الليل بالنهار من دون انقطاع.

والجدير بالذكر ان عدد الساعات التي رفعت الى الموقع بلغت (ثلاث عشرة مليون) ساعة، اما عدد مشاهدات الفيديو عليه فبلغ (سبع مائة مليار) مشاهدة عام

2010 كما وصل عدد الشركات والافراد المتضمين الى برنامج الشراكة في الموقع والذين يمتلكون قنوات خاصة بهم الى (15) الف في العام.

وفي عام 2011 بلغ عدد زوار موقع (اليوتيوب) (مليون) زائر شاهدوا (90) مليار مشاهدة وتم تحميل (60) ساعة فيديو كل دقيقة اي بمعدل ثماني سنوات من العرض المستمر يومياً وقد دخل ما نسبته 13٪ من الزوار الى اليوتيوب عبر استخدامهم الاجهزة الذكية.

ويتم مشاهدة 3 مليار ساعة شهرياً. ففي عام 2012 كانت عدد الساعات المحملة على هذا الموقع قد بلغت في كل دقيقة (72) ساعة. اما عدد المشاهدات للفيديوهات فكانت (600) مليون مشاهدة عبر الاجهزة الذكية، اضافة الى (4) مليارات مقطع فيديو يشاهد يومياً.

وعلى الرغم من ان اليوتيوب يعتبر استعماراً الكترونيا بخاصة لمن يستخدمه بصورة مستمرة من دون اي هدف باعتباره هدراً للوقت في معظم الاحيان وتجميداً للطاقات الانسانية، الا اننا نجد ان هذا الموقع له حسناته ايضا وذلك من خلال توفير خدمة "التوثيق" والتي تعتبر خدمة عظيمة للعالم اجمع، بحيث تعمل هذه الخدمة على توثيق الاحداث والصور والتي من شأنها فضح الكذب وكشف اساليب التزوير لمن يحاول التلاعب بالحقائق سواء اكانوا جماعات ام افراد ام مؤسسات ام وسائل اعلامية بمختلف اشكالها وانواعها. كما انه بالامكان تكرار عدد مرات المشاهدة لاي فيديو، ما يعني ان عملية التكرار ربما كشفت لملايين الناس في مختلف انحاء العالم كيفية قلب الحقائق وكيفية استخدام التزوير بالاحداث والصور والنصوص ايضا. فربما كشفت هذه الخدمة للغرب حقائق عن معاناة دول العالم الثالث وبخاصة الاحداث والازمات والحروب التي حصلت في معظم الدول العربية بخصة ما يسمى بـ "ثورات الربيع العربي"، بحيث حولت نظرتهم من نظرة سلبية الى ايجابية للعالم العربي في الوقت الذي تحولت فيه الكثير من المجتمعات العربيه ودول العالم الثالث الى تغيير نظرتهم للغرب بخاصة (امريكا) من نظرة

ايجابية الى نظرة سلبية عند مشاهدتهم ما حصل من ازمات واحداث في مصر واحداث وحروب دموية في سوريا.

والجدير بالذكر ان البريد الالكتروني كان الموقع الوحيد الذي يتم من خلاله نشر مقاطع الفيديو بحيث لا يمكن مشاهدة مقاطع الفيديو من خلاله الا لثوان محدودة.

- المدونات:

تعتبر الاسرع نمواً عبر الانترنت، وهي عبارة عن منشورات تحوي مقالات دورية بحيث تكون مرتبة ترتيباً زمنياً. وهي سجل الشبكة. وتعتبر احدى التطبيقات على لشبكة العنكبوتية وهي عبارة عن صفحة ويب تظهر على الشبكة بشكل محدد ويتحكم في نشرها المسؤول عنها، بحيث تكون المدونات مؤرخة ومرتبة ترتيباً زمنياً تصاعدياً تمكن القارىء من الرجوع اليها في أي وقت ممكن. وتعتبر من اهم المواقع لتي تتابعها الحكومات وتراقبها وتحللها بسبب ميزة الحرية الواسعة التي تتمتع بها

وقد اكد الخبراء في مجال الإعلام والمهتمون والمتتبعون لهذه الوسائل الجديدة بان هنالك قلة من المدونين لهم تأثير على المتلقين على الرغم من انتشارهم الواسع في انحاء العالم كافة، حيث سبب انتشار المدونات خطورة كبيرة على لغتنا العربية وعلى الخبر الصحافي، والمعلومة ايضاً، فنجد ان المدون يسعى فقط لايصال المعلومة او الانتاج بمختلف انواعه من دون الاهتمام باللغة وهي العنصر الرئيس الذي يجب ان نحافظ عليه من الانهيار والانقراض، بحيث نجد ان المدون يركز على سرعة نقل المعلومة والخبر. كما يتطرق في بعض الاحيان الى مواضيع لا يفهمها ولا يدرك ابعادها، ما يعد نشرا غير مسؤول نتيجة الحرية الواسعة لتي يتمتع بها الانترنت ما افقد الحكومة السيطرة على هذه الاجهزة وعدم التمكن من مراقبتها.

والجدير بالذكر ان هذه المواقع اتجهت نحو نمط جديد من الاعلام يستطيع ان يلغي التحكم السلطوي والشمولي وسيطرة رؤوس الأموال على سياسات واجندات ومضامين واولويات وسائل الاعلام التقليدية الورقية والمسموعه والمرئية

وثمة مواقع متعددة ايضاً فهناك مواقع التشبيك المعلوماتي أو الوطيمي أو لاجتماعي والتي أدّت إلى ظهور حالة إعلامية جديدة لم تكن موجوده من قبل في الوسط الاعلامي العربي التقليدي، من حيث تجاوز الرقابة، والحرية الواسعة، والفاعلية باتجاهين. والاتصال المفتوح على العالم من دون التقييد باي حواجز جغرافية او اي قوانين.

ومن خلال ظهور مواقع اليوتيوب والفيسبوك وتويتر، ومواقع (تسويق الكتب) والمدونات وغيرها من المواقع، نلاحظ ان تلك المواقع قد اتاحت حرية لنشر لعموم المستخدمين. وبذلك قضت المواقع على حكر اصحاب المواقع الالكترونية او مواقع اصحاب رؤوس الاموال ممن يملكون الوسائل الاعلامية

وقد اصبح المواطن العادي اشبه بالاعلامي او الصحافي غير المهني الذي يشارك في عملية ارسال واستقبال اي معلومة ويقوم بنشرها من دون ادراك لمدى خطورتها وابعادها.

كما ان المواطن اصبح من خلال عملية الارسال والنشر يساعد في تقوية الفتن والشائعات وتزييف الحقائق من خلال تداوله السريع للمعلومة ونشرها سواء عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي او المواقع الالكترونية أو عبر لاجهزة الذكية من غير ان يدرك مدى خطورة تلك المعلومات ومدى ابعادها.

المبحث الثاني

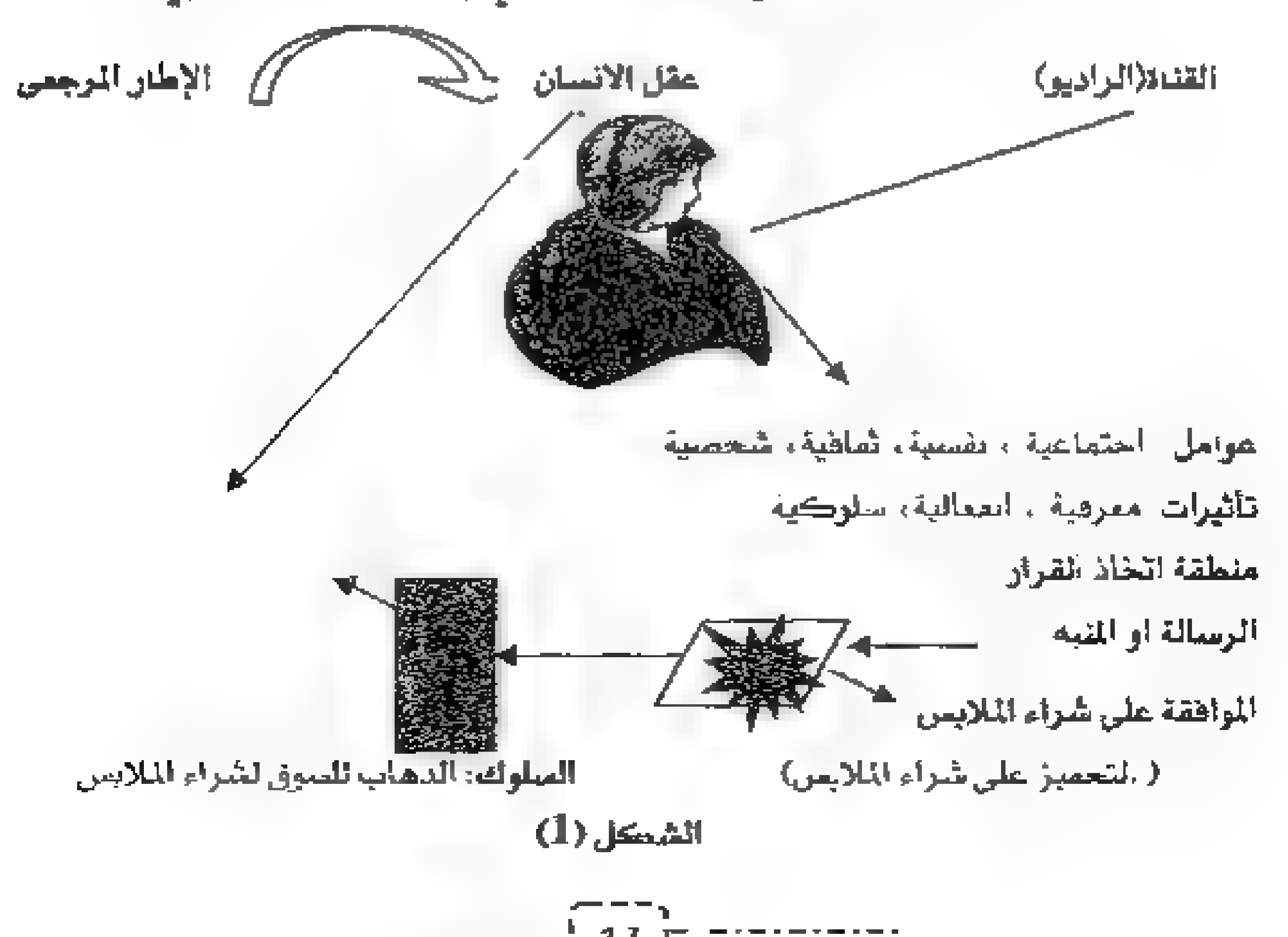
(الاعلام الجديد واشكالياته)

لا شك بان عالم اليوم يشهد سباقاً محموماً في عالم الاعلام. فمن اعلام تقليدي الى ثورة تكنولوجية انبثق منها اعلام الكتروني الى ثورة رقمية انبثق عنها اعلام جديد والذي يمكن ان يكون اشبه بالمارد الذي يحاول السعي بقوة للسيطرة على البشرية والتي تصل في اغلب الاحيان الى انتهاك الخصوصية.

كما ان هذا النوع الجديد من الاعلام اصبح يسيطر بطريقة سريعة وكبيرة على العقول البشرية من حيث تفكيرها وسلوكياتها ما يستدعي القول بان هذا الاعلام ورغم ايجابياته الا انه يمكن ان يكون "استعماراً الكترونياً" يستهدف الدول وبالاخص المجتمعات النامية والشعوب العربية كافة. الامر الذي يستدعي الوقوف عنده لمواجهة هذا النوع الجديد من الاعلام وكيفية التعامل معه.

ولا بد لنا بداية من توضيح العلاقة الاتصالية بين الاتصال الجماهيري والاتصال الذاتي وذلك عن طريق الرسم كما هو مبين في الشكل رقم (أ):-

(العلاقة الاتصالية بين الاتصال الذاتي والاتصال الجماهيري)



الشكل (أ)

فحين يتعرض شخص ما (مستقبل الرسالة) الى رسالة ما عبر قنوات الاتصال الجماهيري والاعلام الجديد بكل اشكاله، يصبح هناك نوع من الاتصال المتفاعل بين هذين النوعين من الاتصال، حيث يبدأ الشخص بالاتصال مع ذاته بافكاره واشاراته ... الخ وحينها يعتمد الشخص على الصورة الذهنية، من خلال اربعة عوامل تتحكم في تحليل اي رسالة وهي: العوامل الاجتماعية، والثقافية، والنفسية، والشخصية، وهذه العوامل جميعها يتم التفاعل فيما بينها، من ثم يتخذ الشخص (مستقبل الرسالة) قراراً يؤدي به لاتباع سلوك ما اما بالقول او الفعل.

وبعد ان يتم اتخاذ القرار ينتج عن هذا القرار سلوك ايجابي او سلبي، او نعم او لا، او الرفض او القبول، ومن خلال هذه العملية يتأثر الانسان بثلاثة تأثيرات وهي:

- **تأثير معرفي:** ويعني الثقافة، العادات، التقاليد، القيم، المبادىء والمناخ العام البيئة .. الخ.
- **تأثير انفعالي:** وهو التأثير العاطفي في الشخص مستقبل الرسالة وما يتأثر به من انفعالات غاضبة او مُفرحة ..الخ من خلال من يستقبلة من وسائل الاعلام بشتى انواعها.
- **التأثير السلوكي:** وهو سلوك الشخص (مستقبل الرسالة) بعد ان يتخذ قراره عبر ما يقرأه ويسمعه ويشاهده في وسائل الاعلام

وبعد ان تتم عملية تفاعل هذه العوامل في عقل الانسان وذاته، تبدأ التأثيرات المعرفية اولا لتلعب دورا مؤثرا في عقل الانسان نفسه، من ثم تأتي التأثيرات الانفعالية: بقرار نعم ام لا، الرفض ام القبول، من ثم تأتي التأثيرات الاخيرة وهي السلوكية وتأتي بناء على اتخاذ قرار ما، فاذا اتخذ قراراً بالموافقة فان هذا القرار سيدفعه لان يسلك سلوكاً بالقول او الفعل.

وما نريد ان نصل اليه من فكرة رئيسة هامة في هذا الاطار هو ان الشكل رقم (1) الذي يمثل العلاقة بين الاتصال الذاتي والاتصال الجماهيري وما يحتويه الاتصال الجماهيري من ميزات وادوات وتقنيات متعددة جعل العقل البشري

"المستقبل للرسالة الاعلامية" يقوم باتخاذ قرار بالموافقة او الرفض لهذه الرسالة بينما في عصرنا هذا ومع تطور تكنولوجيا الاتصال وظهور التدفق الهائل للمعلومات، وما نشهده من استعمار الكتروني خطير يسيطر على عقول مجتمعنا العربي والمجتمعات النامية فان عقل الانسان اصبح مخدراً بالرسائل الاعلامية والتدفق الحر للمعلومات، ما يجعله في حالة من التشتت الذهني والارباك والتردد باتخاذ اي قرار، كما ان هذه الرسائل وما تحويه من اعلانات ودعايات وافلام ومسلسلات واخبار ومعلومات جعلت الشخص المستقبل للرسالة الإعلامية في حالة قلق نفسي نتيجة الانفلات الاعلامي والفوضى الاعلامية وما نشهده من تزييف للحقائق عبر وسائل الاعلام وبخاصة الاعلام الجديد بكل اشكاله والذي يحويه من (اجهزة ذكية، وشبكات تواصل احتماعية، ومواقع الكترونية، واعلام الكتروني رقمي)، ما يجعل الشخص المستقبل للرسالة سواء اكانت عبر وسائل الاعلام ام عبر الاعلام الجديد يصدق كل ما يأتيه من الفضائيات وعبر القنوات الاتصالية المختلفة من صور وفيديوهات واخبار ونصوص، والتي تكون معظمها خالية من المصداقية والدقة.

ولا شك بان الاعلام الجديد قد عمد الى احداث حالة من التغيير على المستوى الاجتماعي من خلال ما اضافه من ابعاد اتصالية جديدة، ولا سيما بين اوساط الشباب العربي، ما يفسر الاشكاليات التي اوجدتها تلك المواقع الانترنتية الجديدة وما احتوته من خصائصة وميزات اعلامية فريدة على الصعيد العربي.

ولم يعد يقتصر دور المتلقي والمستقبل للمعلومة او الخبر على التفاعل من خلال التعليق عبر المواقع الالكترونية وانما اصبح له دور هام من خلال ممارسته الاعلامية المطلقة ليس فقط باستخدامه ادوات الانترنت الجديدة، حيث اصبح المواطن العادي هو نفسه مواطناً صحافياً ومنتجاً ومستقبلا ايضا في ان واحد بحيث اصبحت عمليه التحكم تتم من خلال ما يتعرض له من معلومات، كما يمكنه بث ونشر المحتوى الذي يقوم بإنتاجه عن طريق الادوات الجديدة لمن يريد بعداً عن قيود الرقابة.

وفي هذا الاطار يمكن القول ان الحرية الاعلامية الواسعة التي تتميز بها المواقع وشبكات التواصل الاجتماعي وادوات الاعلام الجديد من خلال شبكة الانترنت قد عكست اثارا سلبية على الفرد المتلقي للمعلومة والخبر، واصبح الفرد يعيش حالة من الفوضى الاعلامية يصدق من؟ ويكذب من؟ كما انه لا يدرك المصادر الموثوق بها من المصادر المشكك فيها كما انه يقوم بنشر فيديوهات واخبار ومعلومات لا يدرك مدى ابعادها بخاصة ابعادها السياسية والاجتماعية على افراد مجتمعه

كما نجد ان الكثير من الصحافيين والاعلاميين العاملين في المؤسسات الاعلامية والصحافية الرسمية، بالاضافة الى المواطنين العاديين اصبحوا ينشرون ما يريدون بستغلالهم لتلك الحرية الواسعة خاصة عبر شبكات التواصل الاجتماعي، حيث يقومون بنشر صور لا تليق بحكام الدول ومجالس النواب والحكومات والوزراء .

كما انهم لا يقصرون في نشر خصوصيات المناصب العليا حتى ان تعليقاتهم غير اللائقة قد طالت العائلات المالكة والحاكمة في الدول العربية ما نتج عنه فوضى وعشوائيات غير اخلاقية مسيئة من اعلى الهرم الى القاعدة وهذا بحد ذاته استعمار الكتروني اثر علينا بشكل سلبي وشكل خطورة على الشباب العربي فبدل ان يناضل ويدافع عن بلاده بخاصة في ثورات الربيع العربي بطريقة اخلاقية ومتحضرة اصبح من خلال المواقع الالكترونية يتفاعل بتعليقات مشينة.

كما ان بعض الصحافيين والاعلاميين ومن خلال مجموعات شبكات التواصل الاجتماعي أخذوا يقومون بالتعبير عن ارائهم وافكارهم بطريقة غير اخلاقية ما يعكس مدى تراجع المجتمع العربي الى الوراء ومدى تراجع ثقافته ولغته وغياب تحضره. الامر الذي يؤكد اننا نعيش استعمارا خطيرا يقدم لنا حرية من دون قيود كما يقدم لنا ادوات الالكترونية، ويسهل علينا ادوات البحث والتكلفة الرخيصة على طبق من ذهب لنقوم نحن وللاسف باستخدامها بطريقة همجية وغير اخلاقيه.

ويمكن القول باننا نعيش اليوم حالة من الاستعمار الفكري الالكتروني الذي لعب دوراً بارزاً في التأثير على عقولنا وافكارنا وعاداتنا وتقاليدنا ولغتنا وسلوكياتنا ما يجعلنا نعيش في حالة تأرجح ما بين العاطفة والموضوعية، وما بين العقل والقلب بطريقة غير متوازنة.

ولا بد للاشارة هنا الى ان الثورة التكنولوجية وما طرأ عليها من تطورات كبيرة كالانترنت والاعلام الرقمي- الالكتروني، والاعلام الجديد وما يشمله من شبكات التواصل الاجتماعية والاجهزة الذكية وغيرها، ربما تجاوزت قدرة الانظمة العربية على احتوائها من آثار العولمة الاعلامية، حيث نجم عن هذا التطور اتساع دائرة النقد الاعلامي للانظمة والدعوة لمحاربة الفساد بكل اشكاله والدعوة للاصلاح. اما الثاني فقد جعل هناك صوتا لمن لا صوت له فاصبح المواطن إعلامي وعلى الرغم من ان الاعلام الجديد بكل اشكاله وفر ادوات جديدة لنشر الوعي السياسي، الا ان هذا الوعي كان له تأثيران:-

الاول: ايجابي حيث تمثل بالوعي السياسي والادراك لما يجري من احداث، وكشف عمليات التزييف حيث تبين ان هذه الثورات جاءت لخدمة المخططات الصهيونية وتحقيق احلامها بعيدة المدى، والخروج بتظاهرات سلمية من دون تخريب حيث سعى الكثير من افراد المجتمع العربي الى المحافظة على امن واستقرار بلادهم والتأني والصبر واخذ الحيطة والحذر لما يجري حوله.

الثاني: فتمثل بالسلبية حيث انقسم لعدة فئات: فئة لم ينفع فيها الوعي السياسي حيث فهمت هذا الوعي بشكل عكسي، والفئة الثانية لا تريد ان تفهم فهي عبارة عن اشارات استقبال وتنفيذ للاوامر، وفئة تفهم ما يدور حولها جيدا لكنها فئة حاقدة على كل الانظمة العربية وتقف الى جانب الصهيونية، وفئة معارضة متشددة دينيا ومتعصبة تعصبا اعمى وهذه الفئة تنقسم الى قسمين: قسم يعرف ماذا يفعل ولصالح من، والقسم الاخر يعرف ماذا يفعل لكنه لا يعرف لصالح من.

وفي هذا الاطار يمكننا القول بان الاعلام عموما والاعلام الحديد لم يكن صانعاً للاحداث والثورات. فالاعلام لم يصنع قائداً ويسقط قائداً اخر، وانما يكمن دوره الرئيس في فضح القادة وحكومتها وفشلهم في ادارة الدولة وتقديم الفضائح للناس عبر وسائل الاعلام وبخاصة الاعلام الجديد بجميع اشكاله

وقد أكدت الدراسات أن شبكات التواصل الاجتماعي على الإنترنت لعبت دورا محوريا فيما اطلق عليه "الربيع العربي"، على الرغم من ان الخبراء يعتبرون ان استخدام مصطلح "ثورة الفيسبوك" في وصف الاحتجاجات في العالم العربي امر مبالغ فيه. حيث انطلق الحديث سريعاً عن "ثورة الفيسبوك" التي بدأت من تونس عام 2011 عندما خرج مئات الالاف من افراد العالم العربي الى الشوارع احتجاجاً على الانظمة الحاكمة

المبحث الثالث

(الاعلام الجديد .. استعمار بقوالب جديدة)

لا شك بان الحروب الماضية ما بين دولتين كانت تركز على تدمير الاهداف الاستراتيجية كالاستيلاء على مواقع العدو الاخبارية من خلال تدمير محطات الاذاعة الرسمية ومحطات التلفزيون، ومحاولة التشويش المعادي و التشويش عليه من خلال انقطاع البث الاذاعي او التلفزيوني.

ولكن بعد التطور التكنولوجي الهائل الذي يشهده عصرنا الحالي وما طرأ على وسائل الاعلام والاتصال من تطور اصبح اختراق المواقع الالكترونية هدفاً رئيساً في الحرب الاعلامية ما بين الدول والمجتمعات.

ولا بد لنا بداية ان نوضح للقارىء مفهوم "الاستعمار الالكتروني" بصورة سريعة.

◆ **الاستعمار الالكتروني:**

الاستعمار الالكتروني هو استعمار فضائي للسيطرة على العقول والتأثير على الاتجاهات والرغبات والاعتقادات وانماط الحياة والاستهلاك من خلال العولمة وثورة تكنولوجيا المعلومات، وبمعنى ادق يعني (الهيمنة وامركة ثقافة الشعوب) بخاصة دول الجنوب والدول العربية في مجالات الحياة كافة من خلال الشركات متعددة الجنسيات والفضائيات وتكنولوجيا الاتصال.

وسوف نقوم في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب بشرح مفصل عن مفهوم الاستعمار الالكتروني وتأثيره وابعاده المختلفة.

◆ **الاعلام الجديد وثورات الربيع العربي**

لعب الاعلام الجديد الدور الاكبر في الثورات العربية، فلولا شبكات التواصل الاجتماعي (الفيسبوك وتوتير) والفضائيات بخاصة العربية لما اتسع نطاق الثورة في تونس وانتقلت عدواها الى باقي الدول العربية.

وتعتبر شبكة التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) من ابرز الشبكات قوة في التأثير، كما تعد تلك الشبكة اداة من ادوات الاعلام الجديد. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الاطار: هل الفيسبوك كان السبب الرئيس في اطلاق شرارة ثورات الربيع العربي؟ وبما ان الجميع يدعي بانه صنع الثورة، ولا احد يعرف من الذي صنعها، فمن الذي صنعها اذن ؟ ولماذا ؟.

ففي هذا الاطار يقول (تشارلي بيكيت) مدير مركز بوليس للابحاث في لندن اسباب: "ان مواقع التواصل الاجتماعية على الانترنت لا تخلق الثورات، بل يخلقها الفقر و الغضب والحكام المستبدون. لكن في هذه الحالات شاهدنا كيف عملت مواقع التواصل الاجتماعية على الانترنت، على تنظيم الناس والترويج للرسالة". وهذه الاسباب كشفت عنها وثائق ويكيليكس ايضاً

لكني اعتقد ان الاسباب في خلق الثورات العربية التي ذكرها (بيكت) اسباب غير مقنعة، كما ان شبكات التواصل الاجتماعية عبر النت وتحديدا الفيسبوك لا يمكن ان تكون السبب الرئيس والمحرك الرئيس لبداية الثورات، وانما المحرك الرئيس لهذه الثورات هي المخططات الصهيونية- الامريكية في رسم خارطة جديدة للوطن العربي وتغيير معالمه وحدوده بما يخدم اهدافها ومصالحها لتحقيق الحلم الصهيوني، كما ان وثائق وكيليكس مشكك في معظم وثائقها التي لا تخدم الا المصالح الصهيونية – الامريكية.

وما ذكره (تشارلي بكيت): "عن تنظيم الناس عبر شبكات التواصل الاجتماعي والترويج للرسالة بشكل فعال"، فيمكن القول انه على العكس، فقد قامت شبكات التواصل الاجتماعي بخاصة (الفيسبوك) على تشتيت أذهان الناس ومحاولة السيطرة عليهم من خلال المجموعات المتشددة عبر شبكات التواصل الاجتماعي والاعلام الجديد التي تعمل على نشر الفوضى والفتن والشائعات، واقناع العقول النيرة بإسقاط الانظمة ونشر الفوضى والتحريض، والدعوة للخروج الى الشارع العربي للاعتصامات والاحتجاجات بحجة الاصلاح ومحاربة الفساد في معظم الدول العربية الامر الذي نتج عنه اختلاط الحابل بالنابل، ولم يعد المواطن العربي

يمرق ما بين خبر وخبر وما بين صورة واخرى، واصبح انسانا قلقا ومشتت ذهنيا يتأرجح ما بين عاطفته تارة وما بين استخدامه للعقل تارة اخرى.

وفي هذا الاطار يمكننا القول بان المساعد الاكبر والرئيس في تحريك ذلك الحلم الصهيوني كان (الاستعمار الالكتروني) بكل اشكاله والذي حاول تشتيت العقول العربية، وخلط الحابل بالنابل، ونشر الفوضى والترييف بكل اشكاله. فالتقنيات الحديثة ووسائل الاعلام المختلفة وشبكات التواصل الاجتماعي ونشر وزرع الجماعات المتشددة والمرتزقة في بعض الدول العربية التي شهدت احداثا دموية ولا تزال ابرز ادوات هذه الثورات الاستعمارية

فقد اثبت لنا التاريخ ان الثورات التي يقوم بها حملة الخناجر والبنادق هي التي يفجرها حملة الاقلام، واي اقلام هذه في ظل ما نشهده من تطور تكنولوجي واعلام جديد بكل اشكاله ؟ . ان كل ثورات الشعوب التي مرت صنعها الفكر المكبوت وفجرتها انظمة خنقت الفكر بدلا من ان تستلهمه.

فعلى الرغم من ان ثورات ما يسمى بالربيع العربي قد فضحت القادة والحكام العرب وحكوماتهم الفاشلة في ادارة الدولة وتقديم الفضائح للناس عبر وسائل الاعلام بخاصة الاعلام الجديد بكل اشكاله. الا ان الاعلام عموما و لاعلام الجديد بمختلف اشكاله لم يكن صانعاً للاحداث والثورات. فالاعلام لم يصنع قائداً ويسقط قائداً اخر. وايضا هذه الثورات كشفت للراي العام العربي اجندات بعض الفضائيات العربية وتزيفها وتشويهها للحقائق. الامر الذي ربما يدفع فهذه الفضائيات الآن تعيد حساباتها وتغير اجنداتها لاسترجاع مصداقيتها امام الرأي العام العربي.

وهذه الثورات قد حركت ايضا بعض القادة العرب نحو كشف الفساد ومحاربته والتحرك نحو الاصلاح والتغيير خوفا من ان تنتقل عدوى هذه الثورات وسمومها اليها.. وهذه الثورات كشفت للرأي العام العربي اجندات المتشددين الاسلاميين وتوجهاتهم وسلوكياتهم بخاصة ما جرى في احداث مصر ولكن على الرغم من ذلك الا ان هذه الثورات هي نقمة بكل ما تحمله الكلمة من معنى

ففي تقرير نشر في صحيفة معاريف الاسرائيلية عن دور شبكة الانترنت في الحرب العربية الاسرائيلية جاء فيه: "ان على من لم يتجند حتى الان في الجيش الاسرائيلي وفقاً للامر العكسري رقم 8 "ان يعتبر نفسه مجنداً وفقاً للامر نفسه في الحرب الاعلامية" . "ودعت مصادر اعلامية اسرائيلية الى تدمير مواقع لعدو على الانترنت"[1] . ما يثبت اننا حقيقة نعيش استعمارا الكترونيا وحروب علامية الكترونية هي الاشد تأثيرا على العالم العربي على وجه الخصوص.

ولا شك بان شبكات التواصل الاجتماعية وعلى رأسها (الفيسبوك) لعبت دوراً رئيساً وبارزاً الى جانب معركة التحدي ضد الانظمة الحاكمة، والاتفاق مع المجموعات لمعارضة وغيرها على تنظيم التظاهرات والاحتجاجات والاعتصامات عبر الانترنت على الرغم من وجود الرقابة

اما التغييرات والثورات الاخيرة والتي اطلق عليها " الربيع العربي" فنجد ان الاعلام الجديد وما يشمله من اجهزة ذكية وبخاصة شبكة الانترنت وما تحويه من شبكات التواصل الاجتماعية بخاصة (الفيسبوك) كان لها دوراً بارزاً وواسعاً في قيام هذه الثورات وما تبعها من تغييرات. حيث بدأت في تونس عندما قام مجموعة من شباب الفيسبوك بانشاء موقع للتضامن مع شهيد مدينة سيدي بوزيد الشاب (محمد البوعزيزي) الذي قام باحراق نفسه احتجاجا على توفر فرصة عمل له على الرغم من حمله شهادة جامعية، الامر الذي دفع عائلته وهم تسعة اشخاص الى الخروج في تظاهرة صغيرة أمام مبنى المحافظة، بحيث اطلقت شرارة الثورة، وتحول الفيسبوك الى بديل عن اجهزة الاعلام الرسمية .

والجدير بالذكر ان مدينة سيدي بوزيد هي مركز لمنطقة ريفية يقوم اقتصادها على الزراعة ويبلغ عدد سكانها نحو 700 الف نسمة ولكن خدمة الانترنت كانت متوفرة فيها، الأمر الذي سهّل على الشباب التواصل المستمر عبر الفيسبوك.

وقد انتقلت الثورة من تونس الى ليبيا، من ثم انتقلت الى مصر من ثم الى سوريا التي تعتبر ثاني دولة تشكل خطرا على اسرائيل، حيث حاولت المجموعات

المعارضة والمرتزقة تدمير اقتصادها الوطني كما وتسعى لتدمير نظامها تلبية للمخطط الصهيوني الامريكي.

وبما ان هذا الاستعمار فشلت مخططاته في تدمير مصر قوميا فهو يسعى ولا يزال في تدمير سوريا وغيرها من الدول، فقد سعى لمحاولة تدمير مصر طائفياً عن طريق اثارة وزرع الفتن الطائفية لانه من الصعب تفكيكها قوميا كما فعل في العراق وحاول ولا يزال في سوريا وذلك باستخدامه لادواته الاستعمارية من جماعات متشدده وقنوات فضائية تحت مسميات عربية والتي انكشفت اوراقها لكل من يحمل عقلا ناضجا وفكرا معتدلا بعيدا عن التعصب القومي والتطرف الديني.

ونجد ان المشاركين في الثورة المصرية قاموا باستخدام هذه الشبكات لتحقيق التواصل والتفاعل بين مستخدميها على الرغم من ارتفاع تكلفتها، بحيث تمكنوا من نقل التجمع الافتراضي من خلال الحشد الالكتروني الى ميدان التحرير بعد ان تم تبادل الاخبار والتعليقات والمعلومات فيما بينهم ما يبين ان موقعا الفيسبوك وتويتر لعبا بشكل خاص دوراً بارزاً وفاعلاً في الانتفاضة الشعبية المصرية والتي كانت نتائجها خلع الرئيس المصري حسني مبارك.

وقد لعبت الحرب الالكترونية عن طريق النت من خلال شبكات التواصل الاجتماعي دورا بارزا في التأثير على الراي العام العربي، كما لعبت الفضائيات العربية ايضا دورا رئيسا في التأثير على العقول الضعيفة.

ففي الوقت الذي كانت فيه شبكات التواصل الاجتماعية تتمتع بسقف واسع من الحرية فيما تنشره المجموعات المعارضة، والمجموعات التي تهدف الى خلق الفتن والفوضى من خلال نشر صور واخبار وفيديوهات معظمها مبالغ به وخال من الصحة والمصداقية كانت وسائل الاعلام الرسمية كالتلفزيون العراقي الرسمي في حرب الخليج يتصدى للدعاية المضادة له.

كما ان وسائل الاعلام المصرية قامت بصد الشائعات والقضاء عليها حيث قامت الحكومة المصرية باغلاق العديد من الفضائيات المتشددة والمعارضة للثورة المصرية الاخيرة. كما نجد ان وسائل الاعلام السورية الرسمية قد اثبتت قوتها

وصمودها ومصداقيتها امام الهجمات الالكترونية والفضائية التي حاولت ولا زالت تحاول التشويش على عقول الدول العربية ونقل الصورة المزيفة .

وقد لعب التلفزيون السوري دوراً بارزاً في صده لهذه الهجمات الالكترونية والوقوف لكل من يشوش على صحة اخباره وصحة ما يقوم بنشره من اخبار سواء بالنصوص او الصور او الفيديوهات.

ففي بداية الاحداث التي جرت في سوريا على سبيل المثال كان معظم افراد المجتمع العربي ضد النظام السوري وضد بشار الاسد من خلال ما تسعى اليه معظم المواقع الالكترونية وشبكات التواصل الاعلامي في التأثير على عقول الناس بشكل سلبي، الا ان نظرة الناس قد تغيرت اتجاه النظام السوري من خلال قوة الاعلام السوري الرسمي في اظهار الحقائق وكشف عمليات التزييف والتصدي لها والتي سعت لنشرها شبكات التواصل الاجتماعي عن طريق المعارضة السورية والمجموعات المتشددة، كما سعت لنشرها بعض الفضائيات العربية من خلال الدعم الذي يقدمه الاعلام الصهيوني الامريكي الذي يلعب دورا بارزا في اشاعة الصورة النمطية للعرب والمسلمين.

اما في مصر فقد "أظهرت نتائج الأبحاث أهمية الفيسبوك وتويتر ويوتيوب، حيث قام فريق البحث تحت إشراف زينب توفيق باستطلاع آراء 1000 مستخدم لتلك الشبكات خلال الاضطرابات في مصر.

وعلى الرغم من أن الاستطلاع لم يكن ممثلا لجميع الفئات الاجتماعية إلا أن نتائجه تتيح نظرة جيدة على الوضع: فنحو 50٪ من المصريين الذين شملهم الاستطلاع سمعوا خلال محادثات مباشرة عن الاحتجاجات ، بينما علم بها نحو 28٪ عن طريق الفيسبوك ، كما نشر نحو 25٪ من الذين شملهم الاستطلاع صورا ومقاطع مصورة عن المظاهرات في ميدان التحرير وأماكن أخرى.

وتبين لدى الباحث فادي سالم من خلال استطلاع عريض للرأي بين مستخدمي الإنترنت في العالم العربي، أن استخدام المنتديات على الإنترنت إبان الاحتجاجات في

الدردشة في أمور شخصية كان أقل بكثير من استخدامها في أغراض سياسية.

ووفقا لنتائج الاستطلاع ، استخدم حوالي 90٪ من مستخدمي الإنترنت في تونس ومصر الفيسبوك في نشر معلومات حول الثورات في بلادهم ، كما زاد الإقبال على شبكات التواصل الاجتماعي في الربيع العربي بشكل كبير، ليس فقط بين المثقفين لكن في جميع الطبقات"[2].

اما شركة (تكنو وايرليس) وهي شركة مصرية متخصصة في التسويق الالكتروني وشبكات الخلويات فقد كشفت في تقرير اعدته ان هناك زيادة كبيرة في متصحفي شركة الانترنت ومستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي بشكل خاص، كما حدث ايضا تغييرات في نمط اهتماماتهم لمحتويات الانترنت. كما اشار التقرير الى تزايد فترات استخدام الانترنت اذ اصبح المتصفح يقضي (1800) دقيقة شهرياً على هذه الشبكة بعد الثورة في 22 يناير، في حين كان يقضي قبل الثورة (900) دقيقة. كما ذكرت التقرير ان عدد مستخدمي الفيسبوك قبل الثورة كان (4.2) مليون شخص، وقد ارتفع هذا الرقم الى (5.2) مليون ، اي ما نسبته (27.8٪). كما ذكر التقارير الصادرة بهذا الخصوص ان هناك زيادة ملحوظة في أعداد مقاهي الانترنت في جميع محافظات مصر ويرتادها الالاف من المواطنين[3].

وعلى الرغم من ان شبكة الانترنت عموماً وما نتج عنها من شبكات التواصل الاجتماعي فتحت آفاقاً واسعة لكل رأي، ولكل صوت، ولكل خبر. وعلى الرغم بما تتمتع به من سقف واسع من الحرية الا ان هذه الحرية الالكترونية اثرت بشكل سلبي على الرأي العام العربي واختلط الحابل بالنابل ولم يعد الكثيرون يستوعبون ما يجري حولهم.

وعلى الرغم من ان شبكات التواصل الاجتماعي وابرزها (الفيسبوك) متحرره من السلطات الحاكمة، وتوجيهها الديكتاتوري، وانها قامت بتجميع الالاف وتوحيدهم في مجتمع افتراضي انتقل الى ارض الواقع ضد انظمتها العربية. وان المعارضة التي تقف ضد الانظمة العربية لعبت دوراً بارزاً في التأثير على الكثير

من العقول وبخاصة الضعيفة من خلال ما تنشره من اخبار مضللة وعمليات تشويش وتزييف للحقائق من خلال ما تقوم بنشره عبر شبكات التواصل الاجتماعي ومنها (الفيسبوك)، الا ان العقول النيرة والمدركة لما يجري اصبحت تدرك مدى خطورة الحرب الالكترونية وما تفعله في التأثير عليها بشكل سلبي.

وعلى الرغم من ان ظهور شبكة الانترنت وما نتج عنها من شبكات التواصل الاجتماعي والتي ادت لكسر احتكار الاعلام التقليدي، ولفتح المجال لكل من لا صوت له، في الوقت الذي نجد فيه بان الكثير من افراد المجتمع العربي قد غيروا نظرتهم وموقفهم من الانظمة العربية من موقف سلبي في بداية الامر الى ايجابي.

وصحيح بان المواطن العربي وبفضل الاعلام الجديد اصبح مالكاً لوسائله الخاصة لنشر ما يحلو له للتعبير ان رأيه نتيجة المساحة الواسعة من الحرية التي يتميز بها الاعلام الجديد، الامر الذي جعله مواطناً متلقياً ايجابياً، الا ان الحرية المتاحة في الاعلام الجديد جعلته مرسلا سلبياً في معظم الاحيان، وغير مدرك لابعاد الكثير من الامور، وغير واع بابعاد النتائج عند قيامه بنشر اي معلومة او خبر سواء بالصور او الفيديوهات او الرسومات.

كما ان الحرية المطلقة في هذا النوع من الاعلام جعلته يؤثر على الشارع العربي والرأي العام العربي بطريقة سلبية مما سبب الفوضى في الشارع العربي، والانفلات الاعلامي، نتيجة غياب الرقابة الذاتية.

كما ان الاعلام الجديد من خلال الحرية المتاحة فيه ربما يسعى لمحاولة إبعاد المواطن العربي سواء اكان متلقياً ام مرسلاً للخبر والمعلومة عن حقيقة (بانه يعيش استعماراً الكترونياً وانه قد تحول الى اداة من ادوات هذا الاستعمار الالكتروني الخطير).

وفي هذا الاطار يمكن القول بان الاحداث والمؤمرات والحروب التي مرت بها معظم الدول العربية كانت تحت مسمى "ثورات الربيع العربي" وهذه الثورات كانت منذ البداية قائمة على التفرقة القومية والطائفية بين الشعوب والمجتمعات.

فالتفرقة العنصرية عملية غير انسانية وغير اخلاقية تتناقض مع الانسان وكرامته، وهي عامل هام في انهيار الحضارات.

والجدير بالذكر بان الحضارة الغربية قامت على اسس عنصرية وقد كان تبريرها للعمليات الاستعمارية ضد شعوب اسيا وافريقيا هو (سيادة الرجل الابيض في تمدين البشرية) وما زالت وسائل الاعلام الغربية تتعامل مع الاقليات الدينية والعرقية باعتبارها تشكل خطرا على المجتمعات.

ولا شك بان الاعلام والمال بيد الصهيونية العالمية المسيطرة على الاعلام في العالم فقد حرصت الحركة الصهيونية على استمرار وتقوية سيطرتها على وسائل الاعلام في الكثير من الدول الغربية بخاصة فيما يسمى بـ "ثورات الربيع العربي"، بحيث سعت وما زالت في التأثير على الراي العام العالمي لصالحها وبما يخدم اهدافها ومخططاتها، وبذلك كسبت اسرائيل التعاطف الغربي لصالحها على مدى السنين.

والاستعمار الامريكي- الصهيوني بدأ اولا في العراق وسعى لتدمير حضارة العراق وتدمير نظامها، الا ان بعض القنوات الغربية قامت بشكف عمليات التضليل الذي اتبعته الادارتان الامريكية والبريطانية في الإعداد والتحريض لشن هذه الحرب، وكذلك في الكشف عن جرائم عدة ارتكبتها قوات التحالف في العراق.

ففي تقرير نشر في صحيفة معاريف الاسرائيلية عن دور شبكة الانترنت في الحرب العربية- الاسرائيلية جاء فيه: "ان على من لم يتجند حتى الان في الجيش الاسرائيلي وفقاً للامر العكسري رقم 8 ان يعتبر نفسه مجنداً وفقاً للامر نفسه في الحرب الاعلامية" ودعت مصادر اعلامية اسرائيلية الى تدمير مواقع العدو على الانترنت(4).

اما رئيس جهاز الامن العالمي الاسرائيلي (الشاباك) يوفال ديسكين فقد صرح ان الدولة العبرية تتعرض يومياً الى حوالي الف هجوم الكتروني في الدقيقة الواحدة، واعتبر ذلك حرباً إرهابية واسعة على اسرائيل(5).

وقد ذكرت مصادر حكومية اسرائيلية ان حوالي 40 مليون محاولة تمت لاستهداف مواقع الكترونية حكومية اثناء الهجوم الاسرائيلي على غزة، وان على رأس المواقع الاسرائيلية المستهدفة مواقع وزارة الدفاع والجيش ورئيس الدولة ورئاسة الوزراء ووزارة الخارجية[6].

والجدير بالذكر انه تم اختراق ونسف عدد من الصفحات لكبار رجال الاعمال الاسرائيليين، من قبل مجموعات من الناشطين الفلسطينيين والعرب ممن يعملون في مجال الهاكر، من خلال انشاء موقع لهم تحت اسم: (الجيش الفلسطيني الالكتروني)، كما قاموا باختراق احد المواقع الاسرائيلية لحجوزات الطيران، بحيث تم تعطيله لعدة ايام ما نتج عنه خسائر كبيرة.

ونستنتج مما سبق بان الاعلام الجديد بكل ادواته واشكاله اصبح منبراً سياسياً هاماً لكل لمن لا صوت له، وذلك عبر وسائل الاعلام بخاصة التقليدية منها بمختلف انواعها. ويعود السبب في ذلك ان المجتمع الافتراضي عبر شبكات التواصل الاجتماعي بخاصة (الفيسبوك) قدمت للمواطن العربي حرية التحدث ونشر المعلومات والاخبار وارسالها لاسماء مستعارة ومزيفة ومجموعات ومؤسسات افتراضية تعنى بالتغيير السياسي، وهذه كانت البداية بالتأكيد.

لكن على الرغم من ذلك الا ان الاعلام الالكتروني والاعلام الجديد وما يشمله من ادوات لا يمكن ان يغير الشارع العربي ويسيطر عليه بما يتماشى وسياساته وافكاره.

كما ان الاعلام التقليدي مهما ضعف امام منافسة الاعلام الجديد الا ان بعض وسائل الاعلام التقليدية في الوطن العربي كالاعلام المصري والاعلام السوري استطاعا ان يضبطا الانفلات الاعلامي والفوضى الاعلامية في الشارع العربي والتي يمارسها المجتمع الافتراضي من خلال مساعدة وتشجيع الاعلام الالكتروني والاعلام الجديد له بكل ادواته المتنوعة من مجموعات وافراد وسياسات دول، ومعارضة، وذلك من خلال الصد لكل الترويجات المتضمنة تزييف الحقائق، وتحجيم اتساع الشائعات في الشارع العربي، وتقليل الشكوك بالمصداقية التي

يقدمها الاعلام الرسمي على الرغم من وجود الرقابة عليه وغياب اتساع الحرية فيه الا ان هذه الامور لم تمنع من ان يؤثر هذا الاعلام التقليدي على الشارع العربي بطريقة ايجابية.

ولكن الثورة التكنولوجية الحديثة وثورة المعلومات في تتطور مستمر فان الاعلام الجديد ربما لن يبقى على حاله كما هو عليه الان.

المبحث الرابع

(الاعلام التقليدي والاعلام الجديد وموجات التغيير)

لا شك انه في ظل غياب او غفلة الاعلام التقليدي لعب (الفيسبوك) الذي يعتبر شكلاً من اشكال الاعلام الجديد دوراً رئيساً في إشعال ما يسمى بـ "ثورات الربيع العربي". لكنه لم يكن السبب الرئيسي في اشعال تلك الثورات وانما ساعد على اتساعها.

ففي الوقت الذي كانت وسائل الاعلام التقليدية في غفوة نجد ان الاعلام الالكتروني والاعلام الجديد قد قادا موجة التغيير في العالم العربي من عالمه الافتراضي، ونتيجة لذلك فقد تسبب الاعلام التقليدي الى موجات نقد عاتية بخاصة مع الاحداث التي مرت بها دول الربيع العربي.

وربما يعود السبب في ضعف الاعلام التقليدي امام الاحداث وثورات الربيع العربي هو الخضوع لتأثيرات الشارع العربي تارة ، وتارة في تفاعله مع الاحداث والتطورات كافة. ما جعل من الاعلام الالكتروني الوسيلة الاولى التي يعتمد عليها المواطنون لمعرفة ما يدور حولهم محليا واقليميا وعالميا من احداث.

وفي هذا السياق لابد من الإشارة هنا إلى اهم الظواهر التي تُمثل العلاقة ما بين الاعلام والشارع العربي خلال فترة ما يسمى بـ "ثورات الربيع العربية" وذلك على النحو الآتي:-

الظاهرة الاولى:

اعتماد وسائل الاعلام على "شهود العيان" و" "المواطن الصحافي": لا شك بان احد اهم وظائف الاعلام هو تنوير الرأي العام وتزويده بالمعلومات والاحداث اولاً بأول، لتجعله قادرا على تقدير المواقف واتخاذ القرارات على ضوئها.

والاعلامي هو وكيل للمجتمع المعلوماتي الذي يقوم بجمع المعلومات وانتاجها ونشرها لتساعد الناس على اتخاذ قرارات صحيحة. لكن الاعلام العربي

كان ضعيفا في مساعدة الناس في اتخاذ قرارات صحيحة وبصورة سريعة، حيث واجه صعوبات عدة في تغطية الاحداث وتحركات الشارع العربي وما شملته هذه التحركات من عنف وتظاهرات واعتصامات ازدادت حدتها وتصاعدت تدريجيا بداية ثورات الربيع العربي.

والاعلام العربي عموماً لم يكن جاهزاً للتعامل مع تحركات الشارع العربي التي كانت تزداد حدتها شيئاً فشيئاً، فقد انتشرت ظاهرة اعتماد وسائل الاعلام العربية على المواطن العادي الذي يمكن اعتباره "شاهد عيان" في قلب الحدث على الرغم من ان هذه الظاهرة تتعارض واخلاقيات المهنة الصحافية بخاصة انه من الضروري التحقق والتأكد من اي معلومة او خبر اضافة الى التأكد من مصادر الخبر قبل نقله الى الناس سواء اكان الخبر ام المعلومة يتضمن فيديوهات، او صوراً، او نصوصاً.

كما ساعد انتشار الاجهزة الذكية في دفع المواطنين انفسهم في تغطية الاحداث من خلال كاميراتهم بخاصة كاميرات الموبايلات التي يحملونها، حيث خصصت قنوات اعلامية عدة مواقع لتلقي المواد التي يقوم بتصويرها وارسالها المواطن العربي من ثم قيامه بارسالها الى القنوات، وبهذه العملية تحول المواطن العادي الى مواطن صحافي يشارك في نشر وتصوير الخبر وارساله عبر المواقع الالكترونية.

ويمكن القول بان ظاهرة اعتماد وسائل الاعلام على ظاهرتي" شاهد العيان"، و"المواطن الصحافي" ادت الى انتزاع الدور الهام الذي يقوم به الاعلام وهو (تنوير وتوجيه الرأي العام) بحيث باتت وسائل الاعلام اسيرة لما ينقله المواطنون كما باتت مجرد قناة يستخدمها المواطنون لبث واذاعة ونشر ما يريدون، وبذلك اصبح تأثير المواطن على الرأي العام اكثر تأثيرا من وسائل الاعلام. ومن الطبيعي ان تنشأ ظواهر اخرى مصاحبة للظاهرة الاولى وهي "حرب التقنيات".

الظاهرة الثانية: حرب التقنيات:

تشمل حرب التقنيات حروب الكليات، الفيديوهات، والصور، والصور المتحركة، والمؤثرات الصوتية والبصرية.

ونتيجة لتلك الحروب التي كانت تشن على وسائل الاعلام الرسمية وعلى الرأي العام بخاصة العربي من خلال المواقع الالكترونية وشبكات التواصل الاجتماعية المختلفة فقد سبب ذلك اختلالات في الرأي العام وبخاصة العربي، من حيث حالة تراجعها واعتذارها في بعض الاحيان عن نشر معلومات واخبار وصور وفيديوهات إتضح فيما بعد انها غير حقيقية وخالية من المصداقية. الامر الذي ساهم في مزيد من الضبابية لدى الرأي العام بخاصة مع ازدياد عدد وسائل الاعلام والتي تعتبر ظاهرة بحد ذاتها.

الظاهرة الثالثة: ازدياد عدد وسائل الاعلام وانتشارها:

لا شك بان ثورات الربيع العربي قد شهدت انفجاراً ملموسا في ازدياد عدد وسائل الاعلام والقنوات التلفزيونية. ففي الوقت الذي يتراجع فيه الاقتصاد القومي بكل ما يمثله من تداعيات على سوق الإعلانات في اعقاب ثورات الربيع العربي، شهدت مصر انطلاقة اكثر من (20) قناة تماثل عدد ما تم اطلاقه فيها خلال ال (خمس عشرة) سنة سابقة.

كما ان الثورة ادت ايضاً لانتشار صحف جديدة في مصر مثل (التحرير، والعدالة ، والحرية)، وبما ان تلك القنوات والصحف لا يوجد عنها معلومات كافية حول مصادر تمويلها إذن؛ من هم الذين يملكون تلك القنوات؟ وما هي اهدافهم؟ ومن هي الجهات المموله لهم؟ فربما يكون وراء تلك المشروعات الاعلامية افكار سياسية محددة كالفكر الطائفي او المذهبي، واهداف سياسية وهذه الظاهرة تفسر ابتعاد تلك الوسائل عن الدور الحقيقي وغيابها عن المهنية والموضوعية ومرتكزات الرسالة الاعلامية الناجحة التي تشمل الدقة والمصداقية والوضوح.

الظاهرة الرابعة: تحديات الاعلام الالكتروني

يبدو ان المنافسة ما بين سعي وسائل الإعلام إلى منافسة الإعلام الإلكتروني كانت كبيرة بخاصة ما يفرزه الاعلام الالكتروني من تحديات وضغوطات على وسائل الاعلام التقليدية وما يؤثره هذا الاعلام على الرأي العالم والشارع العربي.

وعلى الرغم من ان الاعلام التقليدي يفترض ان يتميز بالدقة والمصداقية والموضوعية، الا ان الخصائص التي يتحلى بها الاعلام الالكتروني من سرعة ايصال المعلومة، والسبق الصحافي، ومساحة الحرية الواسعة قد اثرت بشكل كبير على شريحة واسعة من افراد المجتمع العربي.

وربما لم يكن امام وسائل الاعلام التقليدية لمنافسة الاعلام الالكتروني ومواجهة تحدياته في ظل ثورات الربيع العربي سوى توظيف وسائل الاتصال الجديدة في الخدمة الإعلامية التي يقدمها الاعلام التقليدي والتي يعد خطوة هامة في انجاح الاخير. لان الاعلام الالكتروني وما يتميز به من خصائص وميزات استطاع ان يجبر الاعلام التقليدي على تطوير نفسه من حيث، التحديث والتجديد فيما يقدمه من خدمات اعلامية، اضافة الى اجباره على الاهتمام بعملية البث المباشر عبر شبكة الانترنت.

لكن في المقابل فان الاعلام الالكتروني سعى الى خلق حرب الكترونية على وسائل الاعلام التقليدية، فنجد ان الكثير من المواقع الاخبارية الالكترونية تنشر اخبارا ومعلومات معظمها غير صحيح من خلال بث فيديوهات مزيفة ومبالغ فيها. كما ان اصحاب معظم الصحف الالكترونية غير مهنيين وغير صحافيين وليس لهم علاقة بمهنة الصحافة ولا يلتزمون باخلاقيات المهنة الصحافية. الامر الذي جعل الرأي العام يتأرجح ما بين تصديقه للاعلام التقليدي ام للاعلام الالكتروني!.

كما ان المنافسة الشديدة ما بين تلك الوسيلتين جعلت الرأي العام في حالة عدم وضوح للرؤية بالشكل الصحيح، فازداد التزيف والتزوير للحقائق، وازدادت التدخلات بخصوصيات الاخرين واصحاب المناصب العليا.

كما نلاحظ ان اللغة العربية المستخدمة في معظم المواقع الالكترونية لغة ركيكة وغير مترابطة ما افقد اللغة العربية قيمتها. كما اننا نجد ان معظم المواقع الالكترونية وحتى المواطنين عبر شبكات التواصل الاجتماعية استغلت ثورات الربيع العربي في بث ونشر الاساءات للعائلات المالكة والحكام العرب بصورة غير متحضرة.

وعلى الرغم من ان الاعلام التقليدي كان يستخدم في بعض الاحيان عملية التضليل والتعتيم في الوقت الذي يتمتع به الاعلام الالكتروني من مساحة واسعة من الحرية، الا ان الاخير استخدم مقابل ذلك الشائعات والاكاذيب والتي تأثر بها اصحاب العقول الضعيفة واصحاب العقول المغلقة التي لا تقتنع الا باتجاه واحد وبحالة واحدة ما ادى عموماً الى ضعف رؤية الرأي العام للحقيقة.

كما ان للاعلام الالكتروني اهدافاً بعيدة المدى، فنلاحظ ان ثورات الربيع العربي ادت باصحاب بعض المواقع الالكترونية الاخبارية الى نشر اخبار ومعلومات تتماشى وافكارهم ومذاهبهم، فهناك من يميل للطائفية، وهناك من يميل الى الحزبية، وهناك من يميل الى أبعاد سياسية، وهناك من يميل الى اجندات خاصة. ما يدل على ان الاعلام الالكتروني عموما لا يحمل مرتكزات الرسالة الاعلامية الناجحة والمؤثرة بإيجابية بالمجتمع، ولا يحمل مبدءاً او مرتكزاً موحداً، ولا يحمل معايير المهنة الصحافية.

ولا شك ان ما يسمى بـ "ثورات الربيع العربي" زادت من حدة الاعلام الالكتروني وسخطه على الوسائل التقليدية والرد على كل خبر يصدر من الاخيرة بطرق مزيفة نتيجة الحرية الواسعة التي يتمتع بها. كما ان الاعلام الالكتروني فتح المجال للتفاعلية بصورة كبيرة امام جمهور الانترنت، بخاصة في ظل الاحداث الاخيرة التي شهدتها معظم الدول العربية، ما ادى الى المستوى المتدني التي وصلت اليه ردود الافعال من ناحية الجمهور.

ويمكن القول في هذا الاطار ان التلفزيون السوري استطاع ان يرد على الحرب الالكترونية وما تضمنته من دعايات مضللة، واكاذيب، وفبركة للصور وللفيديوهات، وتزييف للحقائق.

كما ان التلفزيون المصري استطاع ان يواجه القنوات الخاصة المتطرفة اثناء اغلاقها للمحافظة على امن مصر ولاضعاف عملية تأثير الرأي العام بها لما يمكن ان ينتج عنه من احداث ربما تنقلب الى دموية.

الظاهرة الخامسة: الرؤية غير الواضحة

ربما خاضت وسائل الاعلام التقليدية امتحانات عسيرة بخاصة ما تمر به الدول التي شهدت ثورات الربيع العربي من فترات انتقالية في ظل صراعات وازمات واحداث وصلت حدتها الى الدموية في بعض الدول العربية، بحسب ما يؤكده خبراء عدة في المجال الاعلامي، ما افقد الاعلام التقليدي الرؤية الواضحة والمحددة في كيفية التعامل والتفاعل مع الاحداث والازمات التي تمر بها معظم الدول العربية والصراعات التي يشهدها الشارع العربي، حيث كان الهم الاكبر والرئيس بالنسبة للاعلام التقليدي هو كيفية كسب الشارع الى صفه ما افقده البوصلة الاعلامية التي من خلالها يستطيع ان يوجه النخبة الاعلامية المتواجدة على الساحة.

وفي مؤتمر عقد في جامعة اليرموك اربد – الاردن، تحت عنوان: (الإعلام والتحولات المجتمعية)، قدم الباحث الدكتور نعيم فيصل المصري رئيس قسم العلاقات العامة بكلية فلسطين التقنية دراسة اعدها بعنوان: "استخدامات الطلبة الجامعيين لمواقع التواصل الاجتماعي وأثرها على وسائل الإعلام الأخرى".

وكشفت الدراسة أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي عبر شبكة الإنترنت من قبل المبحوثين أثر وأدى إلى انخفاض التعامل مع وسائل الإعلام الأخرى بدرجات متفاوتة جاء أكثرها على مطالعة واستعارة الكتب. كما أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي أثر سلباً على قراءة الصحف والمجلات وفقاً لإجابات المبحوثين، وعلى الاستماع إلى الإذاعات.

كما أشارت الدراسة أن نسبة كبيرة من المبحوثين لا تشارك بصور فعالة في الجوانب المرئية والصوتية. كما أن مشاركتهم المرئية من خلال مقاطع الفيديو جاءت متدنية قد يكون للسبب السابق باحتياجها لسرعات عالية وانتظار وقت طويل ليكتمل تحميلها او عدم معرفة المستخدمين كيفية رفعها وتحميلها.

وكشفت الدراسة أن أهم الموضوعات التي يفضل المبحوثون المشاركة والتفاعل معها خلال استخدام مواقع التواصل الاجتماعي هي السياسة والاخبارية إذ جاءت نسبتها 56٪، من ثم الثقافية والاجتماعية بنسبة 54٪ لكل منهما ، يليها

الدينية بنسبة 52٪، ثم المقاطع الفنية المأخوذة من المسرحيات والأفلام والأغاني والصحية والشباب بنسبة 38٪ لكل منها.

اما مقترحات الدراسة التي قدمها الباحث فقد أقترح مجموعة من المقترحات موجهة للمعنيين من القائمين على مواقع التواصل الاجتماعي ومؤسسات الإعلام بشكل عام وذلك بضرورة قيام القائمين على وسائل الإعلام التقليدية بتطوير أساليبها وخدماتها ومتابعة التحديث المستمر بما يواكب العصر الذي يتسم بالتفاعلية واللاتزامنية في ظل المنافسة الإعلامية لامتلاك تكنولوجيا الإعلام الحديثة وخاصة بعد ظهور الوسائل الإعلامية الجديدة، وفرض ضوابط وسن قوانين تنظم عمل شبكات التواصل الاجتماعي، والتنوع في المواد التي تتناولها تلك المواقع من قبل الافراد والمجموعات والمؤسسات المختلفة.

ويمكن القول في هذا الاطار اننا نشهد حربا استعمارية الكترونية زادت الاعلام الالكتروني والاعلام الجديد انفلاتا اعلاميا وفوضى اعلامية اثرت على الشارع العربي، حيث ادت لزيادة حدة الصراعات الطائفية والقومية والحزبية بين المجتمعات والدول العربية. الامر الذي ربما حوّل هذا الاستعمار من استعمار غربي – عربي، الى استعمار عربي - عربي فأصبحنا نستعمر بعضنا بعضاً.

ويمكن القول باننا شعوب لديها القدرة على التحول من النقيض للنقيض في لحظات اذا كان النقيض الثاني اقرب للمصلحة من النقيض الاول.

ان الفتنة وتزييف الحقائق والاكاذيب التي يشعلها الاعلام الجديد بكل اشكاله دفعت بالمواطن العربي على زيادة انتشارها عبر الاجهزة الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي.

فهناك من ساعد على انتشارها عن قصد، وهناك من ساعد على انتشارها من دون قصد، وهناك بعض الصحافيين والاعلاميين والمواقع الالكترونية التي ساعدت على انتشارها، لاعتقادها بمبدأ "حق المواطن الحصول على المعلومة"، من دون ادراك ووعي لابعاد تلك المعلومات وخطورتها وتأثيرها السلبي على الرأي العام المحلي والشارع العربي، ومن دون التأكد من صحتها ودقتها، ما زاد الفجوة بين افراد المجتمعات داخل المجتمع الواحد، وبين مجتمع وآخر في إشعال الفتنة.

والفتنة نار يشعلها "خبيث" وربما يكون هذا الخبيث مواطنا عاديا او مواطنا صحافيا، او حزبياً، او وسيلة اعلامية عربية كانت ام اجنبية، او مجموعة، او جماعة.

ويروج لها "حاقد" ربما يكون وسيلة اعلامية ايضا، صحافيا، او اعلامياً، او جهة، او منظمة، او جماعة، او حتى مواطنا.

ويصفق لها "الاحمق" وربما يكون الاحمق هو وسيلة اعلامية مستقبلة للفتنة، او مواطن عادي، او صحافي، او اصحاب العقول الضعيفة. ويحترق بها الغافل، والغافل ربما يكون فئة كبيرة من عامة الشعب (الشعوب العربية).

هوامش الفصل الاول

(1) مقال نشر في صحيفة العرب اليوم، بعنوان: "حروب الانترنت"، الكاتب، نواف الزو، بتاريخ: 17- 6- 2012.

(2) جريدة الرأي، بتاريخ: 4- 5 – 2012.

(3) محمود الرشيدي.(2012). الانترنت وFace book - ثورة يناير نموذجاً، الدار المصرية، القاهرة، ط1، ص ص: 69- 70.

(4) صحيفة العرب اليوم، مصدر سابق.

(5) المصدر نفسه.

(6) علي خليل شقرة.(2014). الاعلام الجديد (شبكات التواصل الاجتماعي)، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص:134.



الفصل الثاني

من العولمة إلى الاستعمار الإلكتروني

المبحث الاول

(العولمة طريق للاستعمار الالكتروني)

دعونا بداية نتناول العولمة بصورة موسعة قبل ان نقوم بشرح فيما يتعلق بالاستعمار الالكتروني، كون العولمة احد الاسباب الرئيسة التي ادت الى الاجتياح الالكتروني وبالتالي الى ما يسمى بـ "الاستعمار الالكتروني" الذي نشهده اليوم.

فلا شك ان للعولمة جذوراً اقتصادية ونتائج سياسية هامة تتعلق بالبيئة الدولية، وربما تعد خطوة اكثر رفاهية لعالم يطلب استقراراً وحياة اكثر رفاهية. حيث قدم الاعلام الجديد قيماً تشجع على الديمقراطية وحرية الانسان، كما وادت العولمة الى التجانس الثقافي الذي ربما يدينه الاغلبية.

ولا احد ينكر ان تكنولوجيا الاتصال ادت الى انتشار المعرفة وبالتالي حدّت من الرقابة بظهور قوانين جديدة تمنع الرقابة على وسائل الاعلام كظهور "الانترنت" وما نجم عنه من صحافة الكترونية الى اعلام رقمي الكتروني.

كما ان العولمة عملت على ازالة الحواجز الوطنية بين الدول، وغيرت سياسات الكثير من الدول في الوقت الذي لم تكن فيه تلك الدول جاهزة لتغيير سياساتها.

وقد حققت العولمة اندماج الشركات الكبيرة بالصغيرة وظهور مؤسسات عملاقة ربما تصل ميزانيتها ميزانية بعض الدول. اضافة الى ذلك فقد قلّصت العولمة السيادة الوطنية بنظام الخصخصة وبازدياد ادوار الشركات، واذا لم يوجد شركات منافسة فلن يكون هناك احتكار من قبل الشركات العملاقة.

وفي هذا الاطار فان علاقة الاعلام بكل ما سبق ذكره عن العولمة هو ان حتمية تكنولوجيا الاتصال غيرت الدول بالقوة في الوقت الذي لم تكن فيه تلك الدول جاهزة لتغيير سياسياتها، لكننا نجد بان الحكومات العربية لم تتغير لولا هذه الحتمية. وفي الوقت ذاته فقد سببت هذه الحتمية ضغوطات نفسية على الانظمة

والناس فازدادت بالتالي المخالفات وازدادت الصعوبة في وضع قوانين غير مقتنعين بها، وهذا ما سبب خطورة على المجتمعات الغارقة بانظمتها السلطوية والشمولية.

ومن نماذج الدول التي تمسكت بسيادتها: يوغسلافيا سنة 1999، والعراق التي شهدت حصاراً اقتصادياً سنة 1991 الى احتلال بغداد عام 2003 .

ويمكن القول بان العولمة تعني تغليب الشأن الامريكي على الشأن المحلي من خلال توظيف حالات سلبية نجمت عن تفاعلات العولمة لدول الجنوب بخاصة الدول العربية تحت ما يسمى بـ"العولمة".

والجدير بالذكر ان الهدف الرئيس والمركزي للسياسة الاعلامية الخارجية الامريكية هو محاولتها لكسب التدفق الاعلامي العالمي للمعلومات وسيطرتها على الموجات الهوائية.

وايضا فان الدول التي غيرت سياساتها الاعلامية بالقوة نتيجة حتمية تكنولوجيا الاتصال كان احد اسباب تغيرها هو عجزها عن مراقبة حدودها، اما السلع والمواد الاستهلاكية فقد اصبحت تسيطر وتتوغل وتحاول القضاء على القاعدة الاستهلاكية الوطنية لتلك الدول، وهذه ظاهرة من مظاهر الاستعمار الالكتروني. لذا لا يمكن للعولمة ان تتحقق الا من خلال دمج الشركات الاعلامية الصغيرة مع الشركات الامريكية العملاقة والمتواجدة في كل من مدينتي نيويورك وهولود في الولايات المتحدة الامريكية، حيث سنقوم بالفصول اللاحقة بشرح مفصل عن هذه الشركات العملاقة، حيث ادى هذا الدمج الى ما يسمى بنظام "الخصخصة".

ويمكننا القول بان العولمة مهدت الطريق الى ما يسمى بـ "الاستعمار الالكتروني" حيث ان هذا الاجتياح الالكتروني للدول النامية يمثل تقنية متطورة لأشكال الاستعمار القديمة حيث ان هذا االاجتياح الذي نشهده اليوم أشد خطورة وتوغلا من الاستعمارات التقليدية والذي سنقوم بشرح موسع عنه في الفصول اللاحقة.

❖ مفهوم العولمة Globalization

لا شك ان ما يزيد العولمة تعقيدا هو شموليتها في مجالات عدة وفي آن واحد. فهناك عولمات عدة منها العولمة السياسية والاقتصادية والاعلامية والاجتماعية. فهل يمكننا ان نفكك تلك المجالات عن بعضها البعض؟ كأن نفصل العولمة السياسية عن الاقتصادية عن العلومة الاعلامية وعولمة المجتمع؟

والجدير بالذكر ان مفهوم العولمة يركز على التقدم الهائل في تكنولوجيا المعلومات. والترابط المتزايد على الساحة الدولية المعاصرة وعلى الصعد كافة. ومن المؤكد اننا لن نستطيع تفكيك العلومة السياسية عن الاقتصادية عن العولمة الاعلامية عن العولمة الاجتماعية لان العولمة تشمل جميع تلك المجالات ولا يمكن فصل مجال عن الاخر.

ولا شك ان للعولمة جذوراً اقتصادية ونتائج سياسية وسيطرة اعلامية وتأثيرات مجتمعية على المجتمعات والدول، كما ولها ابعاد مختلفة على الساحة الدولية، لذا فان مفهوم العولمة ربما يكون مفهوماً معقداً وشائكاً حيث ان العولمة ظاهرة قديمة لكنها حديثة في التاريخ البشري بخاصة مع ظهور ثورات الاتصال الثلاث التي مر بها العالم. لذا فان المفهوم الصحيح للعولمة لا يمكن ان يكون بفصل المجالات عن بعضها البعض، بل يكتمل مفهومها في الاخذ بشموليتها في جميع المجالات وبتناولها في آن واحد.

وعند الحديث عن مفهوم العولمة يخطر بأذهاننا ما يسمى بـ "العالمية" و "القرية الكونية" التي صاغها العالم مارشال ماكلوهان في نظريته (الكونية) في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، ومصطلح "الرأسمالية" و "النظام العالمي الجديد" و "المعلوماتية" Info-financial ، و"الامّركة" حيث يشير هذا المصطلح الى ان الكثير من الدول الاوروبية اصبحت تتخوف من أمركة صناعاتها الوطنية وهي ذات وجه واحد سلبي وهو السيطرة والتوغل اقتصادياً وثقافياً وسياسياً واعلامياً في دول الجنوب.، اضافة الى مصطلح "نظام الاستعمار القديم" المباشر، و "نظام الاستعمار الجديد" غير المباشر والمعروف بالاستعمار الالكتروني.

وقد اختلف مفهوم العولمة في النصف الثاني من ثمانينات القرن الماضي من خلال ظهور ال "بروسترويكا غورباتشوف" وهو برنامج الاصلاح الاقتصادي - ثورة التغيير واعادة البناء التي قام بها السوفيتي (مخائيل غورباتشوف) وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفيتي سياسياً واقتصادياً والذي يعد انتصاراً على الليبرالية والرأسمالية.

ويمكننا القول انه كلما ازداد تطور تكنولوجيا الاتصال كلما اختلف مفهوم العولمة واصبح اكثر توسعاً واكثر شمولاً واكثر تعقيداً. فهي عملية مستمرة يختلف مفهومها باختلاف عصرها.

❖ **تعريف العولمة**

يبدو ان صياغة تعريف جامع للعولمة مسألة شاقة تحتاج الى جهد كبير ربما لا يستطيع ايصالنا الى تعريف موحد نظرا لتعدد تعريفاتها خاصة في عالم اليوم الذي نعيش. ونظرا لكونها من اكثر المفاهيم غموضاً. فنجد ان مفهوم العولمة سياسيا يختلف عن تعريفها اقتصاديا كما يختلف عن تعريفها اجتماعيا ايضا.

"ان العولمة كلفظة تعود في جذورها الى الكلمة الانجليزية Global التي تعني: عالمي او دولي او كروي، وترتبط احياناً بالقرية، ويصبح معنى المصطلح القرية العالمية Global Village اي العالم عبارة عن قرية كونية واحدة. اما المصطلح الانجليزي Globalization فيترجم الى الكوكبة الكونية، او العولم، ويتصل بها فعل "عولم" على صيغة فوعل وكانت الغلبة لكلمة العولمة لشيوع استخدامها"[1]. وهي ظاهرة قديمة ذات مصطلح جديد وذات تجليات جديدة لعل ابرزها الثورة المعلوماتية والاتصالية[2] .

اما تعريف العولمة فقد قام عدد من الباحثين بتعريف العولمة حيث قدم البروفيسور مالكولم ووترز (Malcolm waters) استاذ علم الاجتماع في جامعة تسمانيا باستراليا تعريفاً للعولمة بأنها: "عملية اجتماعية تتلاشى فيها حدود الجغرافيا وتذوب فيها حواجز الثقافة وتزداد فيها عملية الاندماج بين الشعوب"[3] .

ويرى ليفي (Levy) الذي اختزل العولمة بالتحديث ان عملية العولمة تنطوي على عمليات توجيه القيم (Value- orientation) في سياق عالمي (Universalistic) والتي تقوم على فلسفة ان الفرد يتصرف بحسب الحالة بغض النظ عن هذه الحالة.

اما أحد علماء السياسة الأمريكيين (جيمس روزانو) 1990 فيقول: "إنها علاقة بين مستويات متعددة ، لتحليل الاقتصاد والسياسة والثقافة والأيديولوجيا ، وتشمل: إعادة الإنتاج ، وتداخل الصناعات عبر الحدود ، وانتشار أسواق التمويل، وتماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتيجة الصراع بين الجماعات المهاجرة والجماعات المقيمة"[4].

كما يعرفها (برهان غليون) 1990 بأنها "ديناميكية جديدة تبرز دائرة العلاقات الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسرعة في عملية انتشار المعلومات والمكتسبات التقنية والعلمية للحضارة، ويتزايد فيها دور العامل الخارجي في تحديد مصير الأطراف الوطنية المكونة لهذه الدائرة المندمجة"[5].

ويتفق الاساتذه: برترون بادي، وبرهان غليون، والسيد يسين، وزكي العايدي، وأندري غارسيا على اعتبار مفهوم العولمة: "اداة تحليلية لوصف عملية التغيير الاجتماعي في مجالات مختلفة"، وانه عنصر اساسي في هيكل نظرية التغيير الاجتماعي العالمي، ذلك ان العولمة لا يمكن ان تتحقق دون حصول حد ادنى من التقاطع بين مختلف الاوضاع الاجتماعية – السياسية في العالم، انها ليست سوى نموذج ممكن للتغير: انها التوسع الاقليمي (بالمعنى اللفظي للعولمة) والتعميم لكل الانشطة الانسانية (كوكبة او شمولية) لنمط من العولمة ذو قيمة في تحليل البيئة الدولية إذ يجمع المراقبون للحياة الدولية على ان العمليات السياسية والاحداث والانشطة في عالم اليوم لها بعد كوني متزايد"[6].

ومن خلال ما سبق يمكن تعريف العولمة على انها ظاهرة قديمة ومستجدة في التاريخ الانساني في آن واحد، وهي لفظ قديم لمضامين جديدة، لكنها

جديده بمفهومها الحالي والذي يتمثل بنموذج (القرية الكونية)، وهي عملية مستمرة يختلف مفهومها باختلاف عصرها وتطورها.

كما يمكن ان تكون رديفاً (للأمركة)، وحلقة من حلقات تطور نظام الرأسمالي الذي يسعى لتحقيق مصالحه على حساب الشعوب الاخرى .

كما ان العولمة هي الانتقال من الاستعمار القديم المباشر من خلال الحروب الى طريق الاستعمار الالكتروني غير المباشر الذي يسعى للسيطرة على العقول بخاصة الضعيفة من دون اللجوء الى حروب مباشرة ، بل من خلال نشر القيم الامريكية وتسويقها الى دول الجنوب من دون اي حواجز او عوائق جغرافية ومن دون اي رقابة او سياسة حمائية.

❖ تاريخ العولمة

يرى الكثير من الباحثين والعلماء بان العولمة لم تنشأ في ليلة وضحاها ، بل هي عملية تراكيمة على مر التاريخ. وانه لا بد ان يكون هناك عولمات صغيرة قد مهدت الطريق الى عولمة اليوم.

ونجد ان الفرق بين العولمات الصغيرة والعولمة التي يشهدها العصر الحالي هي ان الاخيرة اكثر تسارعاً وتوسعاً وتحكماً بسبب تطور وسائل الاتصال المختلفة وحتمية تكنولوجيا الاتصال وظهور الانترنت.

ولا شك بان العرب الاوائل استمروا في تجارتهم عبر البلدان حتى عام 1600م، حيث كانوا من المطورين لانظمة التجارة، وكان مقرهم الرئيس منطقة الخليج العربي وجزيرة هرمز.

والجدير بالذكر ان بحر العرب سُمي بهذا الاسم لان العرب ركبوا البحر وقبضوا بأيدهم على (زمام الملاحة) بين الهند وبلاد فارس وسواحل افريقيا الشرقية، حيث كانت التجارة من اسباب المعيشة التي بلغها العرب في الهند واندونيسيا وافريقيا الوسطى.

والعرب سبقوا السابقين الى الثقافة والمعرفة قبل اكثر من اربعين قرناً. لكن البرتغالين نجحوا في صنع اسطول بحري عابر للمحيطات كالمحيط الاطلسي

الذي بامكانه حمل 100 قطعة مدفعية على متنه، من خلال تطوير برنامج التقانة البحرية (ساجرس) في القرن الخامس عشر بهدف تحدي نظام المتاجرة الدولي الذي كان يهيمن عليه العرب. والتي كانت آذنة لعصر الاكتشافات الجديدة.

ويمكن القول بان قيادة العولمة اصبحت في قبضة الدول الغربية في النصف الاول من القرن العشرين، حيث بدأت تلك الهيمنة في أوج قوتها إبان الاستعمار العسكري على الدول الضعيفة.

ففي النصف الثاني من ثمانينات القرن الماضي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي سياسياً واقتصادياً من خلال ظهور ال "بروسترويكا غورباتشوف" (برنامج الاصلاح الاقتصادي) اصبحت ثورة التغيير والاصلاح انتصاراً على الليبرالية والرأسمالية. من ثم تلاها سقوط (جدار برلين) عام 1989 حيث سعت الدول التي كانت تشكل (حلف وارسو) في محاولة للانضمام الى حلف الاطلسي، ومنها من انضم ومنها ما زال يقرع الابواب وربما لم يفتح له.

وتعتبر نتائج الحرب العالمية الثانية منعطفاً هاماً في تاريخ العولمة وربما كانت الهيمنة الفعلية ليست بالاستعمار العسكري، بل من خلال الهيمنة الثقافية (الغزو الثقافي)على دول الجنوب. ومع توسع تلك الهيمنة ثقافياً واعلامياً واجتماعياً بدأ يظهر ما يسمى بالاستعمار الالكتروني الذي يسيطر على معظم مجالات الحياة.

والجدير بالذكر ان الولايات المتحدة الامريكية قد قامت بمساعدة الدول الصناعة الغربية واليابان على النهوض والتطور ليس تعاطفاً معها، بل لانها كانت تمتلك استراتيجيات وخططاً بعيدة المدى لجعل الدول الاوروبية واليابان جزءا من سوق مفتوحة لتساعدهم فيها تلك الدول على استيراد الصناعات الامريكية، اضافة الى خلق فرص للاستثمار، واعادة تنظيم اسعار الصرف والعلاقات النقدية، ووسائل الدفع الدولية التي تمثلت بظهور صندوق البنك الدولي والبنك الدولي.

وقد اصبحت العولمة التي نعيشها اليوم اكثر سهولة وشمولا واتساعا من اي فترة سابقة في جميع المجالات كانماط العيش، وانتقال الافكار والثقافات بخاصة الغربية (الامريكية)، ورؤس الاموال، وتبادل الخبرات، والتقنيات باشكالها المختلفة.

ويرى استاذ الاعلام الدكتور عصام الموسى في منشور له في جريدة الرأي الاردنية بتاريخ 3- 8- 2013 :- بأن " أول من حاول ان يطبق العولمة (عولمة العالم) هو الاسكندر المقدوني الذي حاول ان يفتح العالم بقوة السيف (300 ق.م) ثم توفي وانقسمت امبراطوريته ومات حلمه قبل ان يكمله وهو مشروع احتلال واستعمار"[7].

ويؤرخ المفكرون لميلاد العولمة مع سقوط جدار برلين عام 1989م، وللتوضيح فان جدار برلين الذي تم بناؤه عام 1961م، كان يهدف الى تحجيم المرور بين برلين الغربية والمانيا الشرقية، حيث كان يفصل شطري برلين الشرقي والغربي والمناطق المحيطة في المانيا الشرقية.

ويؤرخ المفكرون بان هدمه بشكل شبه كامل ادى لولادة العولمة التي بدأت معها الانسانية مرحلة تاريخية فريدة، فنجد ان النظام الليبرالي الحر اصبح يهيمن في نهاية مرحلة المواجهات الباردة بين قطبي الوجود السياسي في العالم (امريكا والاتحاد السوفيتي سابقا)" .

وفي هذ الاطار التاريخي للعولمة نجد ان العولمة موجودة منذ القدم ولكن مفهومها في الماضي كان محدوداً بحيث يختلف عن مفهومها في الوقت الحالي، فكلما تطور العالم بتقنياته وكلما ازداد تطور تكنولوجيا الاتصال كلما اختلف مفهوم العولمة واصبح اكثر توسعاً واكثر شمولاً واكثر تعقيداً. فهي عملية مستمرة يختلف مفهومها باختلاف عصرها.

المبحث الثاني

(العولمة وابعادها)

قبل الانتقال الى العوامل والاسباب التي ساعدت على ظهور العولمة دعونا نتناول بداية الابعاد الرئيسة للعولمة حيث ظهر مصطلح "العولمة" في مجال التجارة والمال والاقتصاد اولا ليأخذ بعد ذلك ابعاداً اخرى تجاوزت دائرة الاقتصاد لتتوسع وتشمل مجالات الحياه كافة اقتصاديا واجتماعيا وفكريا وسياسيا ايضا، وذلك على النحو الآتي :-

1- البعد السياسي:

لا شك بان للعولمة نتائج سياسية على الساحة الدولية من خلال سياساتها وسيطرتها على العالم، والتدخل في الشؤون الداخلية لدول الجنوب وبخاصة الدول العربية، كما ان لها مصالح سياسية على الساحة الدولية، حيث يُعد البعد السياسي للعولمة من الجوانب الهامة بحيث يلعب دورا هاماً في إخضاع الشعوب وإذلالها من خلال اتخاذ جانبين وهما: الجانب العسكري وذلك باستخدام القوة العسكرية لتطويع الدول وتركيعها، والجانب السياسي- الدبلوماسي باستخدام سياسات الضغط والابتزاز عن طريق مؤسسات ومنظمات أنشئت من قبل الغرب لهذا الغرض.

فبعد سقوط ألمانيا برزت قوتان عظيمتان على الساحة الدولية هما (الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي)، ومن اجل إعادة ترتيب الأوضاع بعد الحرب العالمية الثانية فقد تم إنشاء منظمة الأمم المتحدة بشكل يلائم التوجهات الغربية والتي انبثق عنها مجلس الأمن الدولي الذي يتكون من (خمس عشرة) دولة من ضمنها خمس دول دائمة العضوية وهي: (أمريكا، الاتحاد السوفيتي ، فرنسا ، بريطانيا ، الصين). وتعتبر هذه الدول دولا نووية.

والجدير بالذكر أن جميع القوانين والأنظمة التي يطلق عليها أممية أو عالمية أو

دولية من قبل هذه المنظمات هي في الأصل قوانين غربية شرعت من قبل المشرع الغربي ولم يكن للشعوب النامية أو المستضعفة أي دور في صياغتها، ومع ذلك نجد أن الدول التي تدعي إنها إسلامية سارعت إلى الانضمام إلى هذه المنظمة والاحتكام إلى قوانينها.

ولان الغرب تنبه ومنذ البدء الى اهمية هذه المنظمة فلم يسمح بنقل مقرها إلى أي دولة أخرى، بل جعل مقرها في مدينة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية كي تبقى هذه المنظمة ملبيةً لحاجات الغرب التسلطية ولكي يتم السيطرة عليها بشكل دائم وكامل .

وقد ساعدت العولمة بشكل ايجابي بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية في اختراق الحواجز الجغرافية وكسر المسافات مما ساعدها اكثر على التغول والتدخل والسيطرة والتحكم في الكثير من الدول بخاصة دول العالم الثالث.

وربما سهلت العولمة الطريق امام ما يسمى بـ "الارهاب" الذي اصبح ظاهرة تتغلغل في معظم الدول سعياً لخدمة المصالح والاهداف التي تسعى لتحقيقها الولايات المتحدة الامريكية من خلال ما انتجته العولمة من تقريب للمسافات وكسر للحواجز الجغرافية وسهولة للاتصال والتواصل مع الافراد والجماعات والدول.

والعولمة في بعدها السياسي تعني فرض الولايات المتحدة الامريكية هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية على العالم، بخاصة على دول الجنوب والدول العربية من خلال تفوقها في مجال التكنولوجيا وقوتها العسكرية وامكاناتها الاقتصادية عدا عن نظرتها الاستعلائية الفوقية الى العالم والدول الاخرى من خلال هدفها الرئيس التي تسعى الى تحقيقه وربما نجحت في ذلك الا وهو (امركة العالم).

ويثبت لنا التاريخ ان ما جرى في العراق من حصار اقتصادي من ثم الى حرب الخليج، وما سمعناه من انقسامات في السودان واليمن ...الخ، وما شهدناه من ثورات ما يسمى (الربيع العربي) التي حصلت في تونس وليبيا ومصر وسوريا، يثبت لنا ان الولايات المتحدة الامريكية والصهيونية العالمية هي المسيطر الرئيس على العالم وبالتالي تقف بقوة في وجه كل من يعاندها من خلال فرض الحصار الاقتصادي او التهديد العسكري او الضرب المباشر.

وربما تكون الابعاد السياسية للعولمة قد ساعدت ايضا الولايات المتحدة الامريكة في انجاح مخططاتها في ارسال المقاتلين من مختلف الجنسيات الى سوريا التي شهدت احداثا دموية، من خلال المجموعات المختلفة الجنسية التي دخلت سوريا وساعد على دخولها السياسة الامريكة تحت مسمى (ثورات الربيع العربي).

2- البعد الاقتصادي:

لا ننكر ان للعولمة جذوراً اقتصادية من خلال ظهور النظام الاقتصادي العالمي، ونظام الخصخصة والرأسمالية وسيطرة الشركات العملاقة الامريكية على الصناعات المحلية لدول العالم الثالث، حيث تمتلك تلك الشركات اموالا ضخمة تصل ميزانيتها ميزانية دول. ومن هنا نستطيع القول ان السوق العالمية هي المتحكمة من خلال صندوق البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية اضافة للبنك الدولي.

ونجد ان الاقتصاد الدولي يتجه لمزيد من الوحدة على الصعيد الدولي، بينما تتجه السياسة نحو مزيد من التفكك والتفتت. فالبعد الاقتصادي للعولمة يسعى لحركة نشطة وحرة ومتسارعة ومستمرة للمبادلات العالمية المالية والتجارية كإلغاء الحدود والحواجز التشريعية والجمركية امام حركة تنقل السلع ورؤوس الاموال الدولية، حيث تعتبر الاخيرة (رأس المال الدولي) اهم محركات الاقتصاد العالمي ما يعني ان العولمة تعني (الامبريالية) وهي اعلى مراحل تطور رأس المال، اضافة الى تزايد سيطرة الشركات متعددة الجنسيات على حركة التجارة والاستثمار والانتاج العالمي والتي تسعى الى تغيير انماط الاستهلاك ما جعل الدول النامية اكثر اعتماداً على الواردات والابتعاد عن الصناعات المحلية ما زاد من حالة الفقر والعجز.

3- البعد الثقافي:

لا شك بان العولمة عدا انها نظام اقتصادي فهي ايضا نظام جديد من العلاقات بين الثقافات وهذا النظام الذي يعكس صراعات الهيمنة الرأسمالية في بنيتها العميقة اثر بشكل كبير على ثقافات الدول بخاصة دول العالم الثالث والدول العربية من خلال التقليد الاعمى لكل ما هو غربي حيث تسعى الشركات العملاقة

المتمركزة في كل من نيويورك وهولوود للقضاء على الثقافات الوطنية والقضاء على اللغة الام من خلال الاعلانات والدعايات والافلام وغيرها... الخ، وسنقوم لاحقاً بشرح مفصل فيما يتعلق بهذا الجانب.

كما نجد ان هناك خللا في التوازن في مفهوم (الامركة) والتي تعتبر احد اركان العولمة ما بين انتشار الثقافات الغربية في الحياة اليومية وما بين احياء الثقافات في العالم اجمع.

وفي هذا الاطار يمكن القول بان العولمة التي انتجتها ثورة المعلومات في بعدها الثقافي تلعب دوراً رئيسا في دمج الدوائر الثقافية المختلفة، وإنشاء فضاء ثقافي مشترك ما يسمح لمنتجات الثقافة الأمريكية أن تروج وتنافس منتجات الثقافات الأخرى إلى حد كبير.

4- البعد الاتصالي والتكنولوجي :

يتمثل هذا البعد في تطور تكنولوجيا الاتصال التي نتج عنه التدفق المعلوماتي الحر وسيطرة وكالة الانباء العالمية وبالتالي اختلال التوازن ما بين دول الشمال ودول الجنوب، ولعل ابرز ادوات تكنولوجيا الاتصال يتمثل في الشبكة العنكبوتية (الانترنت) التي نتج عنها الاعلام الالكتروني.

5- البعد الاعلامي:

تسعى العولمة من خلال ابعادها الاعلامية الى التطور الساحق والسريع في مجالات الاعلام والاتصال والصناعات الالكترونية فمن اعلام تقليدي الى اعلام الكتروني الى اعلام الكتروني رقمي حيث ادت الى عولمة الاعلام بخاصة الاعلام العربي بجميع عناصره التي تحوي (المرسل - الرسالة - القناة – المستقبل - الهدف وعملية رجع الصدى ايضا). وسوف نركز في الفصل اللاحق على هذا البعد الهام من خلال شرح مفصل يتناول البعد الاعلامي وتأثره بالعولمة.

ويمكن القول بان للعولمة سلبياتها وايجابياتها لكن هذه الابعاد التي تمثلت بها العولمة فرضت تحديات كبيرة ومعوقات كثيرة واشكاليات معقدة تمثلت بالاستعمار الالكتروني الذي سيطر على اعلام النظام العربي.

وعلى الرغم من ان العولمة تتسارع اقتصاديا وتكنولوجيا وراء تقليل المسافات بين الدول والشعوب الا ان السياسة تخلق فجوات عدة بين الدول ما يؤثر على الفرد ما بين ادراكه ككائن بشري وما بين تصارعه عالمياً للبحث عن مكانة خاصة له، بحيث تسيطر العولمة المحلية (الامريكية) على العولمة المحلية في الدول العربية والعالم من خلال اعطائها الطابع المحلي طابعا عالميا لتحقيق اهدافها ومصالحها نتيجة امتلاكها الشركات العملاقة ومنافذ عالمية عدة.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بان ظاهرة العولمة بابعادها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والاتصالية والايدولوجية والاعلامية ايضا تشير إلى التفاعلات والعلاقات بين الدول على المستوى العالمي، وزيادة كثافتها كونها عملية تزيد من حجم كثافة العلاقات على الصعد كافة عبر الحدود بحيث تزيد من التأثيرات المتبادلة بين ما هو عالمي وبين ما هو محلي من خلال عملية تغيير الانماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، اضافة الى السعي لتغيير القيم والعادات السائدة بخاصة في الدول العربية كما تسعى الى ازالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية ايضاً وذلك في اطار تدوير رأسمالي جديد برؤية امريكية.

وفي هذا الاطار يمكن القول بان العولمة تعني (الامبريالية) وبذلك فهي تعني الاستعمار والهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والايدولوجية بخاصة على دول الجنوب والمجتمعات النامية عبر تخطي الحدود الجغرافية بطريقة الكترونية ما يجعلنا نقول ان العولمة هي الطريق للاستعمار الالكتروني.

❖ **عوامل ظهور العولمة**

لا بد لنا ان نوضح العوامل التي ساعدت على ظهور انتشار العولمة كظاهرة كونية فمنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو سياسي، ومنها ما هو ثقافي وذلك على النحو الاتي:-

اولا- تطور تكنولوجيا الاتصال:

ادى التطور الهائل في تكنولوجيا الاتصال الى ظهور الانترنت ووسائل الاتصال الحديثة والقنوات الفضائية والاعلام الالكتروني من ثم الاعلام الرقمي

الالكتروني وما رافقه من تدفق معلوماتي هائل. بحيث مكنت هذه الوسائل المعطى التكنولوجي وجعلته يتمحور حول اللامادية والسرعة والآنية والشمولية ...الخ، في تبادل المعلومات والافكار.

والجدير بالذكر بان التكنولوجيا لم تسلم من ظاهرة العلومة الا بمستويات اخف، حيث ان تكنولوجيا الاعلام والاتصال لم تحدد مسارا للعولمة بل مهدت الطريق ويسّرت لها سبل الوصول بصورة اسرع.

ثانيا- العامل السياسي:

كان للعامل السياسي دور بارز في ظهور العولمة من خلال ما يلي:-

1. الاستعمارات التقليدية المتلاحقة (الاستعمار العسكري والاستعمار الديني- المسيحي، الاستعمار التجاري).
2. محاولات الولايات المتحدة الامريكية لتفكيك ما يسمى بالدول الكبرى مثل الاتحاد السوفيتي.
3. زيادة التحالفات والتكتلات الدولية والاقليمية (الاسيان – الاتحاد الاوروبي – النافتا) ... وغيرها.
4. ظهور الليبرالية الجديدة التي غزت العالم وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتربع الولايات المتحدة الامريكية على عرش العالم مما ادى الى تحولات اقتصادية كبيرة.
5. كسر الحواجز الوطنية بين الدول.

ثالثا- العامل الاقتصادي:

- **التنوع:** لعب العامل الاقتصادي في زيادة كبيرة في درجة تنوع السلع والخدمات المتبادلة بين الدول، اضافة الى تنوع المجالات.
- **الاستثمار** التي تتجه اليه رؤوس الاموال من بلد الى اخر.
- **تركز الثورة في ايدي عدد قليل من الدول:** ان تركز الثروات في عد قليل من الدول جعلها اكثر احتكارا واكثر تغولا وتأثيرا من غيرها.

❖ **المجـال المصـري والـصناعي والـنفط:** حيـث نجـد ان هنـاك تحالفـات استراتيجية لشركات عملاقة عالمية تلعب دورا كبيرا في المجال المصرفي والصناعي ومجال النفط .

❖ **ظهـور معـايير الجـودة العالميـة:** لقـد اصـبحت بعـض الـدول تتخـوف مـن امركـة صناعاتها المحلية بخاصة مع ظهور معايير الجودة العالمية الامريكية التي طغت على صناعات الدول.

❖ **الحركـة التجاريـة والاسـتثمارات الاجنبيـة المتزايـدة:** لقـد انخفضت القيـود علـى التجـارة والاسـتثمارات. فبعـد الحـرب العالميـة الثانيـة اصـبحت الـدول تعتمـد علـى الضـرائب الجمركيـة في تنظيم التجـارة كمـا وحققـت تقـدما كـبيرا في تحريـر التجارة الدولية في ظل رعاية منظمة "الجات" التي لجأت الى تطبيق الحمايـة غـير التعريفيـة ، حيـث تلتـزم الـدول المتقدمـة بتخفـيض ضـرائبها الجمركيـة في اطـار المفاوضات معها. لكن الوضع اختلف بالنسبة للدول النامية حيث استمرت القيود التعريفية وغير التعريفية في كثير من تلك الدول رغم تطبيق بعض الدول التحرير الاقتصادي بدرجة كبيرة مثل المكسيك.

❖ **ظهور منظمة التجـارة العالميـة:** ادى ظهـور منظمـة التجـارة إلى اعتقـاد النـاس بـان العولمـة هـي منظمـة التجـارة العالميـة فقـط، في حـين ان العولمـة اشمـل واكـبر مـن ذلك ، والجدير بالذكر ان منظمة التجارة العالمية أداة قويـة ناجحة بحيث تعمل على تهيئة أوضاع مناسبة للدول الصناعية ، وتمرير حلول ومقترحات تـصب في مـصلحة تلـك الـدول، اضـافة الى ايجـاد الحلـول فيمـا يتعلـق بالمـشكلات الاقتصادية ، وتقديم مقترحات تصب في مصلحة تلك الدول.

رابعاً- العامل الاجتماعي:

يلعب البعد الاجتماعي دوراً كبيراً ومؤثرا على الشعوب والمجتمعات بخاصة شـعوب الـدول الناميـة والـشعوب العربيـة المستهدفة لكـل شـيء غربـي. حيـث تـسعى العولمة على تغليب الجوانب المادية في الحياة على اي قيمة مطلقة بحيث تعمل على عملية اختزال الانسان لبعده الاستهلاكي وحتى الشهواني من خـلال مـا نـشاهده مـن

دعايات واعلانات ومسلسلات وبرامج تلفزيونية تكون بطولتها المرأة التي تعمل على تقديم السلع الاستهلاكية من خلال التركيز على استخدام جسدها بهدف تعظيم المنفعة المادية، حتى اننا نجد في بعض المحطات التلفزيونية اللبنانية اصبحت المرأة تعمل كأعلامية رغم انها ليس لها علاقة بالاعلام فلا نجد فيها اي مضمون للرسالة الاعلامية او الشخصية الاعلامية فهي عبارة عن عرض ازياء واستخدام للجسد في اثارة النفوس الضعيفة ليس الا، ما يجعلنا نفتقد لرسالة هادفة ومضمون هادفة ولشخصية اعلامية قوية ومتمكنة.

وقد ساعد العامل لاجتماعي للعولمة الى الغاء النسيج الاجتماعي والحضاري للشعوب بخاصة العربية، كما انها سعت لتدمير الهويات والثقافات القومية للشعوب، بالاضافة الى تعميق التناقض بين المجموعات البشرية من خلال الصراع على المصالح ما بين الشعوب والدول.

وفي هذا الاطار يمكن القول بان العولمة تنطوي على درجة عالية من العلمنة، وبذلك فان العولمة هي الطريق للاستعمار الالكتروني.

المبحث الثالث

(العولمة والهيمنة)

لا شك ان للعولمة اسباباً كثيرة تجعلها تهيمن على العالم من خلال الهيمنة السياسية بشقيها العسكرية والدبلوماسية وهي على النحو الآتي:-

1- الاتفاقيات والمعاهدات السياسية :

تسعى الدول الكبرى لعقد اتفاقيات ومعاهدات دولية وايجاد تحالفات وتكتلات فيما بينها كتحالفات (حلف شمال الاطلس، وحلف وارسو، وغيرها) حيث تعادي تلك الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية كل من يقف في وجهه ايدولوجيتها. كما تعمل على عقد اتفاقيات للدفاع المشترك عن الدول النامية بحجة حمايتها والدفاع عنها، من خلال انشاء قواعد عسكرية وهذا ما شاهدنا في قطر والسعودية والعراق وغيرها من الدول، حيث ان هذه الطريقة تعتبر من الطرق الجديدة للاستعمار غير المباشر.

2- التدخل السياسي:

تسعى امريكا بشكل مستمر للتدخل في شؤون الدول المضطربة وذلك عن طريق فرض قرارات من قبل منظمة الامم المتحدة تحت ما يسمى (بقوات حفظ النظام) التابعة لها والتي تكون بقيادة غربية بحجة تهديدها للامن والسلم الدوليين او دعمها للجماعات الارهابية، ما يعني احتلالا عسكريا مباشرا لبعض الدول الضعيفة والدول الغنية بثرواتها النفطية.

3- خلق التوترات العالمية :

تسعى الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية الى خلق شحنات من التوترات بخاصة في منطقة الشرق اوسطية الغنية بالثروات النفطية. اضافة الى ايجاد الذرائع للتدخل السياسي والعسكري لضمان امن اسرائيل. كما

وتعمل على فرض الاسلحة والمعدات العسكرية على دول الجنوب (النامية والفقيرة) لتضمن تبعية تلك الدول لها عسكريا.

4- التجنيد العسكري:

وهنا، لا نعني التجنيد الوطني (دفاع الجندي عن وطنه)، بل يعتبر هذا النوع من التجنيد لصالح خدمة امريكا واهدافها حيث تقوم الولايات المتحدة بانقلابات عسكرية في بعض الدول بخاصة دول الجنوب والدول العربية لزعزعة استقرارها من خلال تدريب ضباط مجندين لخدمة مصالحها بحيث يطبقون الاوامر، من ثم ارسالهم الى بلدانهم ليكونوا عملاء للغرب وهذا ما حصل في معظم الدول التي شهدت ثورات ما يسمى الربيع العربي ومنها مصر وسوريا وغيرها من الدول.

5- اسلوب الضغط:

تسعى الدول العظمى (امريكا) بوسائل الضغط السياسي على بعض الدول من خلال بعض التقارير التي تتضمن: (انتهاك حقوق الانسان، الانظمة الجائرة والقامعة، انتهاك الحرية والديمقراطية) وغيرها الى ابتزاز تلك الدول بالضغط عليها للقيام بالاصلاحات والسعي نحو الحرية والديمقراطية والانفتاح عن طريق السعي لاسقاط انظمتها كما فعلت في مصر وفي سوريا وتونس وليبيا وغيرها من الدول. ونجد انها تستخدم حق النقض الفيتو في اي قرار يخالف مصالحها ولا يتماشى مع اهدافها.

6- الهيمنة الالكترونية:

لقد اصبحت الدول العظمى تخطو خطوات اكثر سيطرة وتوغلاً من ذي قبل، فبعد ان كانت الهيمنة واخضاع الشعوب تتمثل باسقاطها القنبلتين الذريتين على مدينتي هورشيما ونكازاكي اليابانيتين في الحرب العالمية الثانية عام 1945، تأتي هذه الهيمنة الجديدة الاكثر خطورة والاكثر توغلا والاكثر تأثيراً على الدول النامية بخاصة الدول العربية بصورة سريعة من خلال اخضاع هذه الدول للرأسمالية والهيمنة العالمية الامريكية واستغلال النظام الدولي الجديد بقالب جديد وباستعمار جديد يطلق عليه (الاستعمار الالكتروني).

7- الهيمنة الاعلامية:

ان اهم ما تسعى اليه الولايات المتحدة الامريكية هي السيطرة على الاعلام في دول الجنوب والدول العربية، والهيمنة عليها بكل الاشكال والصور من خلال شركاتها الكبرى المسيطرة على الاعلام في العالم اضافة الى وكالة الانباء العالمية التي لا تعتمد التوازن في المعلومات ما بين دول الشمال ودول الجنوب بحيث تسير المعلومات باتجاه واحد من دول الشمال الى الجنوب فقط، عدا عن فتح قنوات فضائية امريكية خاضعة للفكر الغربي- الامريكي تحت مسميات عربية، وهذا هو الاستعمار الالكتروني حيث سيكون للجانب الاعلامي مساحة واسعة في شرح مفصل عن تلك الشركات وكيفية الهيمنة الاعلامية ونتائجها ومخاطرها على دول الجنوب والاعلام العربي.

❖ اهداف العولمة:

لا شك بان العولمة هي نتاج الحضارة الغربية، التي تجسدها الولايات المتحدة الأمريكية ما بعد اربعة امور وهي: (الرأسمالية، والحداثة، الايديولوجيا، وما بعد سيادة الدولة القومي).

فكما ان للعولمة اهدافاً ايجابية الا ان اهدافها السلبية تلعب دورا مؤثرا وكبيرا على حياة الشعوب والدول بخاصة دول الجنوب، حيث انها تسعى الى ابعد من الربح والتجارة والاسواق الحرة ونبدأ اولا بالاهداف الايجابية التي تسعى العولمة الى تحقيقها وذلك على النحو الآتي:-

1- تسعى العولمة للتركيز على قيم حضارية معينة (كالحرية في اتخاذ القرارات والمشاركة وحق الانسان في التعليم والعيش الكريم واحترام آدميته ايضا.

2- الاندماج والاعتماد المتبادل بين الدول والشعوب في المجالات كافة السياسية والاقتصادية والتكنولوجية، من خلال وجود طابع عالمي للبحوثات ونظريات التعلم وممارسات التعليم.

3- تسعى العولمة لتحقيق تزايد اعداد العلماء واعضاء هيئات التدريس من دارسين ومدرسين في الجامعات وصروح العلم.

4- تزايد وتفعيل شبكات الاتصال بين مختلف المعاهد والمراكز والجامعات في انحاء العالم كافة.

5- تسعى العولمة لتحقيق المشاركة الفعالة بين الباحثين في مختلف حقول العلم والمعرفة من خلال انعقاد المؤتمرات والندوات بالتعاون مع المنظمات الدولية. كما تسعى الى تنظيم برامج ثقافية وتربوية من خلال المنظمات العالمية مثل (اليونسكو) وغيرها.

6- تحسين وتطوير الاداء الفعال واعطاء الفرص لاصحاب المواهب وحثهم على الابداع والابتكار.

7- تحرير التجارة العالمية كالسلع ورؤوس الاموال من خلال العمل على توحد الاتجاهات العالمية والتقارب فيما بينها.

8- توسيع فرص التجارة العالمية من خلال زيادة الانتاجية، اضافة الى تدفق المزيد من الاستثمارات الاجنبية.

9- السعي الى حل المسائل ذات الطابع العالمي مثل: (مشاكل البيئة – اسلحة الدمار الشامل، الارهاب، المخدرات ... الخ .

اما اهدافها السلبية التي تسعى العولمة لتحقيقها فقد تكون هذه الاهداف مغلفة بغلاف غامض وغير واضح لمحاولات سعي الولايات المتحدة الامريكية على السيطرة بخاصة العسكرية والاقتصادية على الدول والشعوب كافة تكمن على النحو الآتي:-

1- السعي لتحويل العالم الى قرية كونية صغيرة ومتوحدة تحت ادارة غربية.

2- هيمنة الشركات الامريكية العملاقة على اقتصاديات العالم

3- السيطرة السياسية والعسكرية على دول العالم وشعوبها.

4- السيطرة الاجتماعية من خلال التخلي عن العادات والتقاليد والمبادىء والقيم بتغليب كل ما هو غربي.

5- السعي لتدمير الهوية القومية والتخلي عن الثقافة العربية من خلال سيطرة الثقافة الغربية.
6- الغاء النسيج الحضاري والثقافي للدول وبخاصة الدول العربية
7- تفتيت الكيان القومي للدول وخلق الصراعات فيما بينها.
8- القضاء على اللغة العربية من خلال السيطرة الثقافية والاجتماعية.
9- السيطرة الاعلامية خاصة التحكم والسيطرة على الاعلام العربي.

ونستنتج مما سبق ذكره عن اهداف العولمة سواء الايجابية ام السلبية الى ان العولمة تحاول جاهدة رفع الشعارات التي تنادي بالحرية والديمقراطية وحقوق الانسان وازالة الحواجز وتقريب المسافات بين الدول ... الخ، وغيرها من الشعارات البراقة لكنها في الحقيقة تخفي وراء تلك الشعارات الكثير من المحاولات الخبيثة كتوحيد العالم تحت اطار ليبرالي شامل يسيطر عليه المشرعون الذين يعتقدون بان لهم الحق في قيادة العالم والتحكم به والسيطرة عليه من خلال مساعدة وتعاون مع الدول والقوى الاقتصادية، والمنظمات الدولية كمنظمة التجارة العالمية، والبنك العالمي، وصندوق النقد الدولي، والشركات متعددة الجنسيات، والمنظات غير الحكومية مثل (الجمعيات المحلية والوطنية او الدولية) .

ويمكن القول ان الهدف الرئيس الذي تسعى اليه العولمة هو (هيمنة العقول) في دول الجنوب وبالاخص الدول العربية بقالب "الامركة" وذلك من خلال تجسيد الثقافات الغربية والغاء شخصيتنا الوطنية والقومية وتدمير لغتنا وقيمنا وعاداتنا وتقاليدنا وتشويهها بالتقليد الاعمى لكل ما هو غربي.

المبحث الرابع
(نظرية الاستعمار الالكتروني ونظرية النظام العالمي)

ان كلمة "الكترون" كلمة صغيرة في حجمها ولفظها لكنها كبيرة في عمقها ومعناها، مثل ما بين الشمس في مظهرها والشمس على حقيقتها.

وقبل ان نتعمق بالاستعمار الالكتروني لا بد لنا اولا ان نتناول نظريتي الاستعمار الالكتروني والنظام العالمي كي تكون الرؤية واضحة للقارىء من حيث، توضيح الدول المركزية والنامية والاقل نمواً، وكيفية تقسيم العالم اعلامياً الى ثلاث فئات والمتمثلة بالرسم.

لا شك اننا تعودنا في مناهجنا الدراسية ان ندرس مادة التاريخ التي تتناول الاستعمار باشكاله المختلفة كالاستعمار العسكري والاستعمار الديني والاستعمار التجاري لكننا لم نقرأ ونسمع بصورة اوسع شمولا عن ما يسمى بـ"الاستعمار الالكتروني" الذي تغلغل في الدول النامية عموماً والدول العربية على وجه الخصوص، بحيث اصبح يسيطر على عقولنا وسلوكياتنا ومدارسنا وجامعاتنا ومؤسساتنا وكل ما يتعلق بحياتنا على الصعد كافة، كما اصبح يتغلغل في عقول افراد مجتمعنا العربي ابتداءً من الطفل فالطالب فالاسرة فالمجتمع ككل.

مخطىء من يظن بان وسائل الاعلام تدور من فراغ، بل تسعى لتحقيق اهداف وغايات معظمها يكون مبطناً وغامضاً، فلا تظن عزيزي القارىء وعزيزي المستمع وعزيزي المشاهد بان وسائل الاعلام تسعى لنقل الحقائق والاحداث فقط، بل ان اهدافها اكثر من ذاك وذاك فهي تحاول وتسعى جاهدة للتأثير على عقول البشرية من خلال ما تنشره وما تبثه عبر رسالتها الاعلامية التي تحوي المسلسلات والبرامج والفيديو كليبات والصور ...الخ وغيرها.

فما هو هذا الاستعمار ؟ وما هو شكله ؟ وكيف بدأ ؟ وكيف استطاع ان يسيطر على عقول الكثيرين بخاصة ضعفاء العقول؟ وعبر اي الطرق اجتاحنا ؟

وهل التطور التكنولوجي ساعد على هذا الاستعمار ام العولمة ؟ وهل لوسائل الاعلام دور في اجتياحه وتغلغله في دول الجنوب؟ .

لا شك ان الاستعمارات التقليدية التي مرت بها معظم دول العالم بخاصة منطقتنا العربية تحررت بقوة السلاح والجهاد والتضحيات الكبيرة ولكن كيف لنا ان نتحرر الان من هذا الاستعمار الجديد والخطير على امتنا ؟ الذي بات يسيطر على عقولنا وثقافتنا العربية وعاداتنا وتقاليدنا على صغارنا وكبارنا بكل اشكاله ووسائله (السينما والراديو والتلفزيون والانترنت) حيث تلعب هذه الوسائل دور الوسيط والمثقف لدول العالم الثالث اضافة الى سيطرة ادواته التسويقية على صناعاتنا الوطنية لصالح الشركات العملاقة المتمركزة في امريكا بهدف تحويلها الى قاعدة استهلاكية لها.

لقد لعب الاستعمار الالكتروني في تذويب وتدمير القدرات الاقتصادية وتقليص السيادة الوطنية بحيث ادى الى ظهور قوانين جديدة في الوقت الذي لم تكن فيه دول العالم الثالث مهيئة وجاهزة لتقبّل سياسات وقوانين جديدة وبالتالي ولدت ضغوطا جديدة لدى الافراد. فالدعاية الاعلامية في معظم الدول الغربية لعبت دورا بارزا في هذا الشكل من اشكال الاستعمار من خلال العمل على تقليص شخصية الانسان وكل من يعارض اهدافها اضافة لاستغلال العقول الضعيفة وتزويدها بافكار جاهزة عن طريق فرض الافكار والمعلومات من شركاتها العملاقة المسيطرة. حتى ان بعض الدول كفرنسا واستراليا وبريطانيا وكندا تهتم بآثار هذا الاستعمار تخوفا من أمركة صناعاتها الثقافية.

وفي هذا الاطار ربما نتساءل! لماذا يستخدمون التكنولوجيا بشكل حضاري ولابعاد عميقة المدى ويسيطرون عليها، بينما نستخدمها نحن بشكل غير حضاري ولا ندرك ابعادها ونتركها تسيطر علينا وعلى انماط حياتنا؟ . فمجتمعنا العربي المهزوز القيم ومفكك الاسس ماذا يملك لاطفاله ولاجياله الحالية سوى حصيلة المئات من الفوضى والغوغائية والصراع والقلق؟ .

فالشيء الوحيد الذي يمكن لعالمنا العربي المقصر ان يمنحه للغرب هو شيء واحد اسمه "القيم" ونحن اليوم للاسف اصبحنا نتخلى عن الشيء الوحيد الذي تبقى لدينا .

ومن المؤكد ان الاستعمار بكل اشكاله مسؤول عن تدمير البشرية. ونحن اليوم نذيب انفسنا في محلول من العالمية دون ان ندري خطورة هذا الذوبان وخطورة هذا المحلول.

❖ **مفهوم الاستعمار الالكتروني**

ان الإجتياح الالكتروني الغربي للدول الناميّة يمثل تقنية متطوّرة لأشكال الاستعمار القديمة وهذه التقنية أشد خطورة من اشكال الاستعمار القديمة. فالاستعمار عموماً ظاهرة هدفها سيطرت الدولة القوية على الدول الضعيفة عن طريق احتلالها واخضاعها بالقوة السياسة - العسكرية من ثم بسط نفوذها واستغلال ثرواتها الطبيعية ومحاولة وتدمير تراثها الحضاري والثقافي عدا عن تحطيم كرامة الشعوب واذلالها.

فبعد ان غمرت قلوب الشعوب العربية فرحة الجلاء حين تخلصت من استعمار العثمانيين الذي استمر حوالى 400 عام، وتلاه الاستعمار الاجنبي، لم يخطر ببال الدول والشعوب بان هناك استعمارا سوف يأتينا في يوم من الايام بحلة جديدة وبأثواب مطرزة ومزركشة عن ذي قبل.

ان هذا الاستعمار الجديد لم يفكر حينما طرد من الارض وعاد الينا من الفضاء ان يحمل معه صواريخ او معدات او اي آلات للحرب، فهو لم يأت بجنود احتلال ولم يأتينا من اي ارض، بل ان هذا الاستعمار الخطير سعى للتفكير بطرق شيطانية خبيثة في كيفية الرجعة الينا. فجاء الينا من الفضاء يحمل معه اسلحة جديدة كالعولمة، والتكنولوجيا باشكالها.

ولم يأت ومعه جنود احتلال بل قام بتجنيد الاعلام وبخاصة الاعلام العربي، ومعظم الفضائيات العربية لصالحه ولخدمة اهدافه. ولم يأت هذا النوع من الاستعمار ليغزو ارض دولة ما، بل جاء ليغزو العقول البشرية ويؤثر عليها في كل مجالات الحياة وعلى الاصعدة كافة.

ولا شك بان هذا الاستعمار الجديد جاء لمحاولة طمس اللغة العربية وبعد فشله في طمسها حاول طمسها من خلال ما تنشره تلك الفضائيات المجندة لصالح الغرب من خلال الرسالة الاعلامية المقدمة وما تحويه من برامج ومسلسلات واغاني ...الخ وغيرها. كما ان شبكات التواصل الاجتماعي ومنها الفيسبوك والمدونات لعبت دوراً بارزاً في المساعدة على اضعاف اللغة العربية.

فنجد ان الاعلام العربي بمختلف انواعه قد تأثر تأثرا كبيرا بتلك الفضائيات من خلال ما يقدمه اليوم من تقديم محتوى برامج شبيهة بالبرامج المقدمة في الاعلام الغربي، بخاصة الاعلام الامريكي المسيطر. كما وان معظم المؤسسات الاعلامية العربية تقوم على شراء برامج للاطفال لا تتعلق بواقعنا العربي ولا ترتبط بقيمنا ولا بعاداتنا وتقاليدنا وثقافتنا وعقيدتنا ولا بلغتنا ايضا، والتي تزرع في نفوس اطفالنا النزعة العدوانية والعنف والضرب، كما وتجعل اطفالنا يسلكون سلوكاً غربياً عجيباً بتقليدهم الاعمى لكل ما يأتينا من الغرب.

اضافة الى ذلك نجد ان الاغاني والفيديو كليبات العربية التي تُبث عبر القنوات الفضائية العربية اصبحت تأخذ الاتجاه والمسار الغربي من خلال ما نشاهده من محتويات معظمها خلاعة ولا يتناسب مع قيمنا واخلاقنا، بحيث اصبح تسويق الفيديو كليبات لاجل الربح فقط وليس لاجل امتاع الاذن والنفس.

وهنا يمكننا القول بانه وللاسف فان معظم المؤسسات الاعلامية العربية تعمل على تشجيع الثقافات الغربية وتسمح بتوغلها في اعلامنا العربي، ونتائج هذا التوغل ازدياد الخلل والضعف في الرسالة الاعلامية العربية التي اصبح معظمها رسائل اعلامية "معلومة" وربما مشوهة ايضا.

وفي هذا الاطار يمكننا القول: بان الاستعمار الالكتروني هو استعمار فضائي للسيطرة على العقول والتأثير على الاتجاهات والرغبات والاعتقادات وانماط الحياة والاستهلاك من خلال العولمة وثورة تكنولوجيا المعلومات، وبمعنى ادق يعني (الهيمنة وامركة ثقافة الشعوب) بخاصة دول الجنوب والدول العربية في مجالات الحياة كافة من خلال الشركات متعددة الجنسيات والفضائيات وتكنولوجيا الاتصال.

ولا بد لنا ان نوضح للقارىء ان هناك ثلاث نظريات للاعلام الدولي في العالم، كي تكون متابعته وتركيزه ومفهومه لكل الفصول بشكل منظم بعيدا عن العشوائية التي ربما تشتت افكاره. وهذه الاطر على النحو الآتي:

الاطار الاول: نظرية الاستعمار الالكتروني

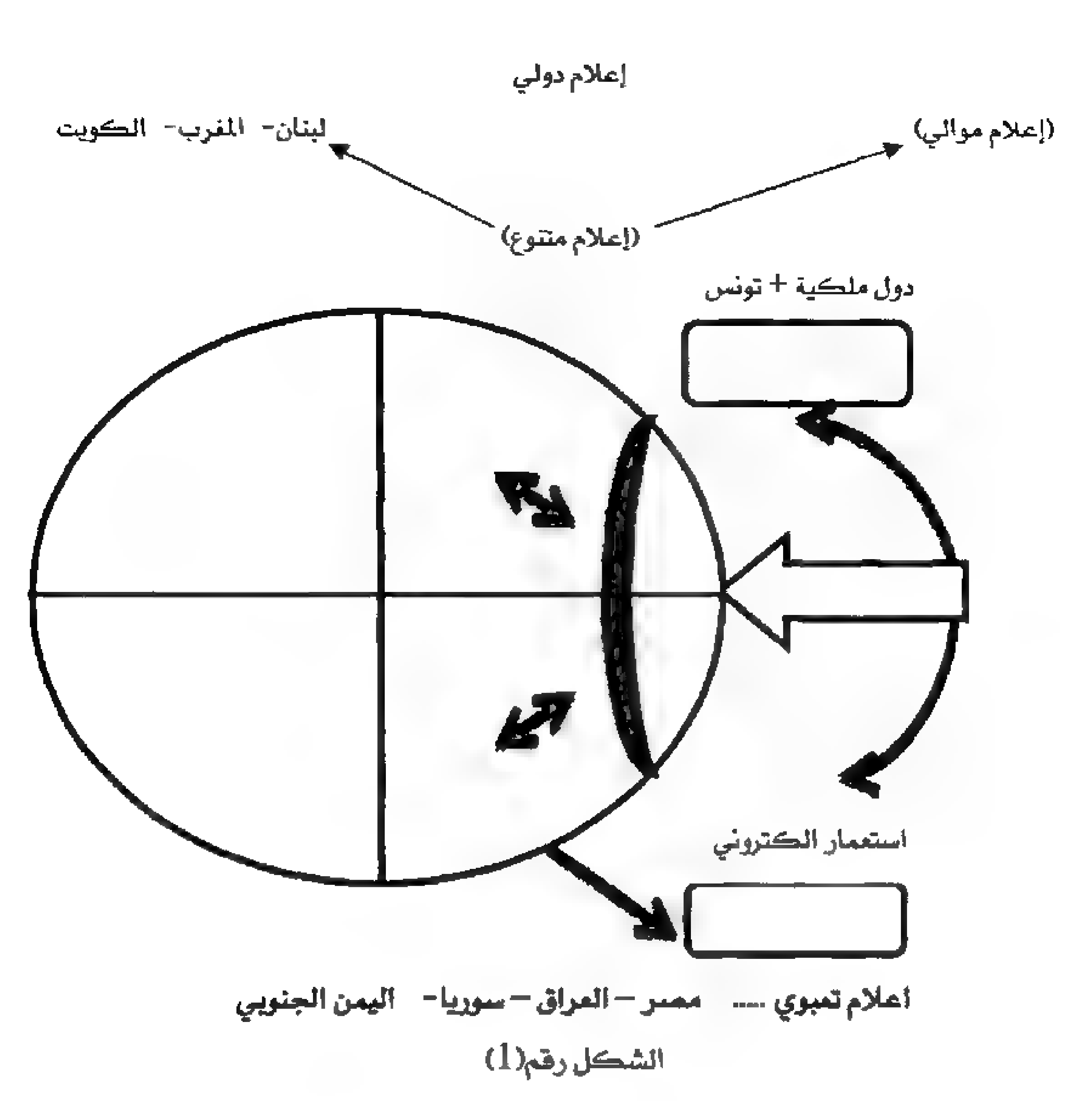
الاطار الثاني: نظرية النظام العالمي

الاطار الثالث: النظام الاعلامي العالمي الجديد

وفي هذا الفصل سوف نتناول الاطارين المتمثلين بالنظرية الاولى والثانية. اما الاطار الثالث والمتمثل بنظرية "النظام الاعلامي العالمي الجديد" فسوف نقوم بشرح مفصل عنه في الفصل الرابع من هذا الكتاب حيث وجه هذا النظام نداءات ولا يزال نتيجة التدفق الحر للمعلومات الذي يسير باتجاه واحد من دول الشمال الى الجنوب طريقة غير متوازة وغير عادلة.

كما ظهر هذا النظام لايجاد حلول في قضية اختلال التوازن ما بين دول الشمال والجنوب من خلال التدفق الحر للمعلومات غير العادل وغير المتوازن.

ولا بد لنا بداية ان نوضح بشكل مختصر مفهوم الدول الهامشية " الدول الاقل نمواً ، والدول شبه الهامشية "الدول النامية" قبل الخوض بشرح الاطر المتمثلة بتلك النظريات، وذلك من خلال الشكل رقم(1) الذي يوضح الاعلام الدولي على النحو الآتي :-



الشكل رقم(1)

لقد قام (وليم روو) بتقسيم العالم الى اربعة انظمة اعلامية حيث يوضح الشكل رقم (1) الانظمة الاعلامية الاربعة بشكل مختصر على النحو الآتي:-

1- النظام السلطوي: حيث السلطة المطلقة للملك ورقابة صارمة وضغوطات على الافكار الحرة.

2- النظام الشمولي: حشد الناس وراء السلطة والقيادة ورقابة صارمة

3- النظام الليبرالي: حرية ورقابة على السلطة

4- نظام المسؤولية الاجتماعية: الحرية المسؤولة والرقابة الذاتية

ويتمثل الاعلام العربي الدولي بنوعين هما: -

1- **اعلام شبه الهامش:** (الدول النامية) حيث وضع "وليم روو" لبنان ومصر كجزء من الاعلام عبر الحدود واعتبره انه يتحرك جزئياً بحيث لا نعلم الى اين والى اي مدى يتحرك.

وقد اعُتبرت لبنان من الدول شبه الهامشية لانها تقوم بتصدير نسبة كبيرة من الصحف الى البلاد العربية، كما تعتبر الصحف اللبنانية وحدة متكاملة وتقدم للقراء اكثر الاراء تنوعاً (صحف متعددة)، وتتمتع ايضا بتباين الاراء والمعلوماتية الوافية، والتعددية والتوازن والموضوعية، وبسقف حرية عالي. كما ان الصحافي النموذج لا ينحاز لمساعدة مالية. كما تمارس الصحف مبدأ الرقابة الذاتية. وثلاثة ارباع سكان لبنان يقرؤون الصحف وهم من الطبقة المتعلمة. والجدير بالذكر ان هناك صحفاً تتمتع بدعم سعودي ولبناني.

وتتمثل الدول الهامشية بـ :-

- تمثل 20 في المائة من العالم.
- تنتمي اليها النمسا والبرازيل والصين والدنمارك وفنلندا والمجر وبولندا والسويد والسويسرا وسنغافوره وكوريا الجنوبية ومصر والهند والارجنتين والمكسيك وتشيلي ومالطا وسلوفينيا وفنزويلا وغيرها من الدول، بالاضافة الى مصر التي تعتبر دولة شبه هامشية.
- تعمل على ممارسات تقترب من ممارسات الدول المركزية، وممارسات تمثل ممارسات الدول الهامشية.

2- **اعلام الهامش:** (الدول الاقل نمواً) كالدول الشمولية والدول الاقل نمواً والتي تسمى بدول العالم الثالث. وتتمثل بـ :-

- تسمى تلك الدول بـ "دول العالم الثالث".
- ينتمي للدول الهامشية اغلب دول آسيا، وافريقيا، والاتحاد السوفيتي، وامريكا اللاتينية. في دول العالم الثالث مثل قارة افريقيا، واغلب دول آسيا، وامريكا الجنوبية.
- تتصف بالضعف والامية والجهل

- اهتمام وسائل الاعلام بها ضعيف، حيث لا يُنشر عن تلك الدول الا القليل من الاخبار.
- الدول الهامشية دول مستهلكة فقط
- تتمتع بوفرة العمالة، اما الاجور فهي منخفضة.
- انتاج تكنولوجي متدني
- استغلال كبير للايدي العاملة في تلك الدول.
- بعض الدول تعمل على حظر الاستراد من الغرب مثل ايران، والعراق زمن النظام السابق (صدام حسين). كما ان سوريا ايضاً ما زالت تحظر هذا النوع من الاستراد. كما ان معظم الدول الهامشية لم تحقق نجاحات ملموسة في مجال التصنيع الذي يعد ركناً اساسياً لمواكبة التطور والتقدم. الامر الذي ادى الى ان تكون دولا مستهلكة فقط.

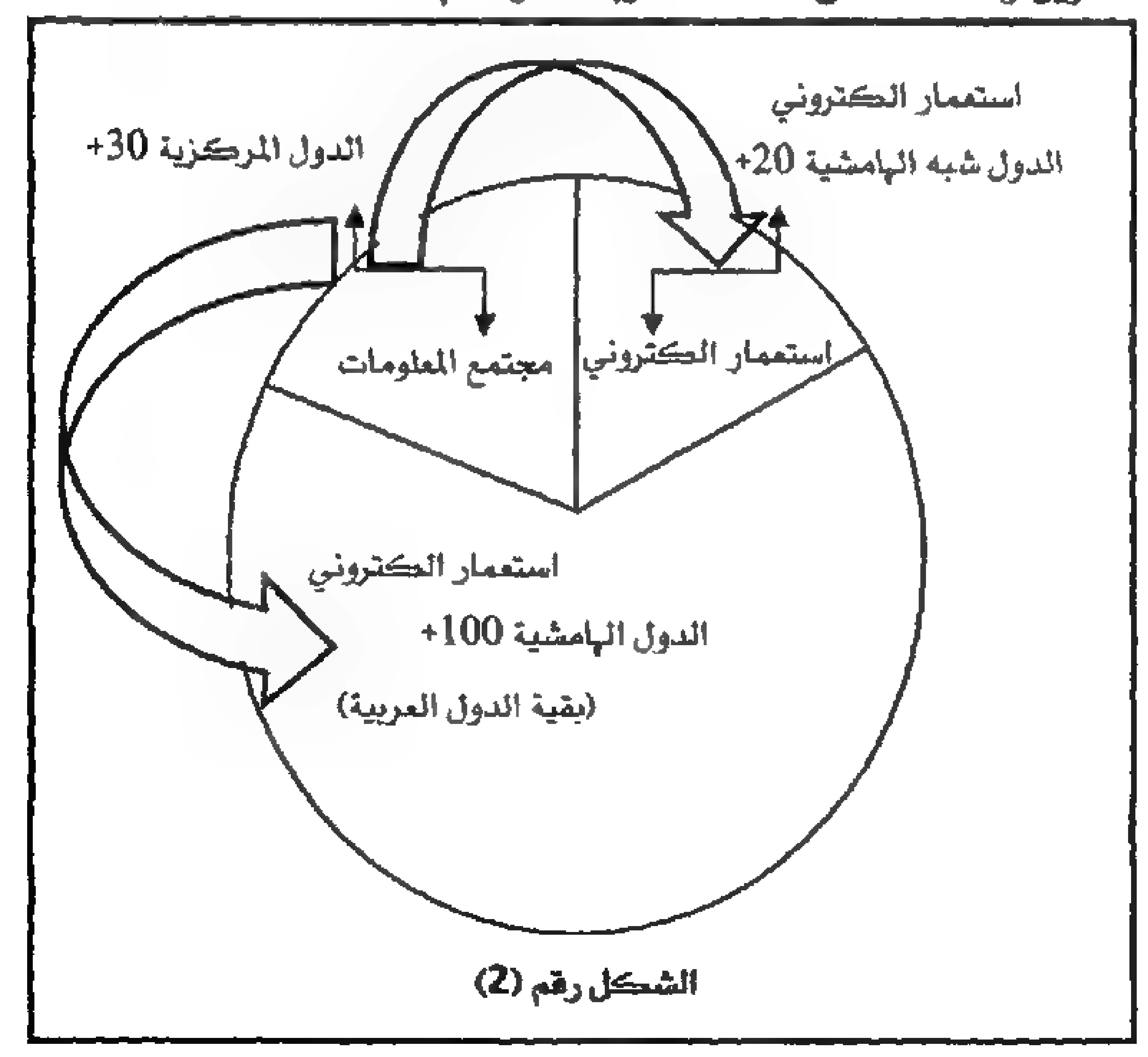
والجدير بالذكر ان اهتمام وسائل الاعلام العالمية بهذه الدول ضعيف حيث ان الاخبار عبر وسائل الاعلام العالمية تركز في اغلب الاحيان على الجوانب السلبية لهذه الدول كالكوارث الطبيعية والانقلابات وغيرها

وللاشارة هنا الى ان النمسا والبرازيل والصين والدنمارك وفنلندا والمجر وبولندا والسويد والسويسرا وسنغافوره وكوريا الجنوبية ومصر والهند والارجنتين والمكسيك وتشيلي ومالطا وسلوفينيا وفنزويلا وغيرها من الدول، بالاضافة الى مصر هي دول شبه هامشية.

❖ اما الدول المركزية :(الدول العظمى) فان من اهم مجموعة الدول المركزية هي الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي، واليابان، وتملك هذه الدول القوة لتحديد صياغة القوانين التي تحدد علاقاتها مع مجموعة الدول الاخرى. وتتمثل بـ:-

- تمثل تلك الدول 30 في المائة

- تملك هذه الدول والتي تعد الولايات المتحدة، والاتحاد الاوروبي، واليابان من اهم مجموعاتها القوة لتحديد صياغة القوانين التي تحدد علاقاتها مع مجموعة الدول الاخرى.
- تملك انتاج تكنولوجي ضخم ورؤوس اموال كبيرة وضخمة .
- تخلق هذه الدول قوة عالمية تعود بالربح والدخل الوفير اليها.
- تدافع عن علاقتها بالدول الهامشية وشبه الهامشية.
- توفر التكنولوجيا، والبرمجيات، والسلع والبضائع، ورأس المال للدول الهامشية وشبه الهامشية.
- تعمل على استغلال العمالة الرخيصة واجبارها على العمل.
- وتخشى الدول مركزية اخرى مثل استراليا وكندا ونيوزلندا من الانزلاق الى الدول شبه الهامشية التي تعد المجموعة الثانية اذا لم تتمكن من جذب التمويل والحفاظ على العمالة المدربة اللازمة لها.



الشكل رقم (2)

والشكل رقم (2) يوضح تقسيم الدول الى ثلاثة اقسام كما يوضح مدى نسبة تغول الدول المركزية على الدول شبه الهامشية والدول الهامشية[8].

يوضح الشكل رقم (2) الفئات الثلاث في دول العالم (الدول المركزية والهامشية وشبه الهامشية، حيث اصبحت الدول المركزية تتوسع اقتصاديا داخل الدول الهامشية وشبه الهامشية، وهذه الدول تتفاوت بالتقدم الاقتصادي والثقافي والتقني والاجتماعي والرأسمالي ...الخ .

ونستنتج مما سبق بان الدول شبه الهامشية والدول الهامشية تخضع لنظرية الاستعمار الالكتروني من قبل الدول المركزية المسيطرة ، وكلما اقتربت الدول شبه الهامشية نحو الدول المركزية قل تاثير الاستعمار الالكتروني عليها.

اما بالنسبة للدول الهامشية فمن الصعوبة اقترابها من الدول المركزية نتيجة ما تتصف به من فقر وأمية وضعف بالامكانات والبنى التحتية والجهل .. الخ.

والجدير بالذكر ان بعض الدول مثل كندا واستراليا وبريطانيا تتخوف من تغول الاستعمار الالكتروني خوفاً من أمركة صناعاتها الثقافية.

وقبل الخوض في الإعلام الدولي والنظام العالمي الجديد بشرح اكثر تفصيلا ودقة، لا بد لنا اولا ان نتناول اطارين هامين يساعدان في تقييم الاهداف والتيارات والمستثمرين الاساسيين في مجال الاعلام الدولي وهما (نظرية الاستعمار الالكتروني) و(نظرية النظام العالمي) على النحو الآتي:-

الاطار الاول

نظرية الاستعمار الالكتروني Electronic Colonialism Theory

تعكس هذه النظرية الكثير من الاهتمامات المعاصرة. وتفترض هذه النظرية ان المنتجات الثقافية التي تنتجها الدول الغربية وعلى رأسها امريكا تملك قدرة التأثير على الثقافات المحلية، وفي وسائل الاعلام المختلفة في الدول التي تستورد وتستقبل تلك المنتجات الاجنبية وبخاصة الدول النامية ودول العالم الثالث.

وفي الاشارة هنا الى ان اول من اعتمد نظرية الاستعمار الالكتروني "Thomas L. Mcphai"، وذلك للمساعدة على تقييم الاهداف والتيارات والمستثمرين الاساسين في مجال الاعلام الدولي.

وتركز هذه النظرية على جانبين اساسيين هما:-

1- التحولات الاقتصادية :

لقد استطاعت مؤسسات الاعلام الدولية ان تشارك في عمليات بيع السلع والخدمات لجمهور عالمي عن طريق التحولات الاقتصادية، وهذه المؤسسات تنظر للتحولات الاقتصادية على انها مصدر للدخل يوفر بعض العائدات التي يمكن ان تساهم في زيادة اسهم السوق وزيادة الفوائد لملاك تلك المؤسسات والمساهمين فيها ايضاً، حيث تتم هذه العمليات بالتعاون مع منظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، اضافة للمؤسسات المعنية بالاعلانات والمؤسسات الدولية والجماعية الاخرى.

2- الاثار الاجتماعية والثقافية:

والمقصود بالاثار الاجتماعية والثقافية وهي الاثار المرتبطة بالممارسات الاقتصادية، وانماط الاستهلاك، وصياغة الاتجاهات كتوجه المستهلكين الصغار الى المنتجات الاجنبية مثل القصص، والكتب، والقصص الكرتونية والتي يولد معظمها النزعة العدوانية لدى الاطفال، عدا عن الرسوم الهزلية، وافلام الفيديو، والبرامج والموسيقى، بحيث تقدم تلك المنتجات احلام بعيدة عن الواقع المعاش في الدول الاخرى. وهذه الثقافات المقدمة لا تنسجم مع بيئة الدول الاخرى ولا تتناسب ومناخات الدول المستهلكة لتلك المنتجات وهي الدول الهامشية وشبه الهامشية.

وهذه الاثار في تزايد مستمر من قبل الشركات متعددة الجنسيات التي تصدر منتجاتها الثقافية والاجتماعية. وكلما ازداد أعداد المستهلكين ازدادت الارباح خارج حدود مراكزها واماكن استقرارها ما يؤدي مع مرور الوقت الى ازدياد الاثار الثقافية والاجتماعية بطريقة سلبية على الدول المستهلكة.

ومن خلال نظرية الاستعمار الالكتروني، يمكننا فهم النتائج بعيدة المدى لمنتجات وسائل الاعلام التي تسوقها الشركات متعددة الجنسيات للعالم وبخاصة تلك المنتجات والتي يتم تصديرها الى الدول الهامشية وشبه الهامشية.

ويمكننا القول بان نظرية الاستعمار الالكتروني قد تم استخدامها لفهم افعال وردود افعال الدول الهامشية وشبه الهامشية، بينما نظرية النظام العالمي تطورت ليصلُح استخدامها في مجال الاعلام الدولي.

والجدير بالذكر ان بعض التيارات الاساسية في العالم نجحت في بناء الامبراطوريات التي ظهرت في فترات زمنية بعينيها من خلال اربعة عهود تحققت العولمة من خلالها وهي:

العهد الاول: الاستعمار العسكري

يتمثل هذا النوع من الاستعمار بالسيطرة العسكرية التي بدأ قبل الميلاد الى 100 سنة ، وقد ظهر في عهد الرومان الاغريق ليشمل ما يسمى اليوم بـ "اوروبا" وشمال افريقيا.

العهد الثاني: الاستعمار الديني- المسيحي

بدأ الاستعمار المسيحي من عام 100- 1600، حيث شهد هذا العهد انطلاق الحملات الصليبية التي بدأت عام1095 في القرون الوسطى واستمرت على مدار 200 عام وادت للتوسيع الشرقي وتأسيس المستعمرات الاوروبية الجديدة في الشرق الاوسط، وقد قامت بمصادرة اراضي المسلمين عندما اصبحت الحضارة الغربية هي المسيطر الرئيس والقوة الدولية في تلك الحقبة من الزمن.

العهد الثالث: الاستعمار التجاري

لا نريد ان نخوض بتفاصيل الاستعمار التجاري ولكن سوف نتناول هذا العهد بشكل مختصر وصولا الى هدفنا الرئيس وهو الاستعمار الالكتروني.

بدأ هذا العهد من عام 1600- 1950 في القرن السابع عشر ومنتصف القرن العشرين، واطلق عليه الاستعمار التجاري الذي كان يعتمد على البضائع والمنتجات نتيجة الثورات الصناعية والذي كان يبحث عن العمالة الرخيصة، حيث تأثر هذا العهد بالعديد من الاختراعات الميكانيكية.

وقد اصبحت قاراتا آسيا وافريقيا والقاراتان الامريكيتان والكاريبي ايضا اهدافاً للقوى الاوروبية التي تبحث عن مواد خام وسلع غير متوفرة لديها مقابل ما تقدمه من ادارات استعمارية، ودين، ومهاجرين، وقوانين، وانظمة تعليم، وفلسفة، وثقافة، ولغة واساليب حياة باشكال مختلفة حتى لو لم تتفق مع انماط حياة الدول التي قامت باستعمارها.

ومن خلال المؤسسات العابرة للحدود او الشركات متعددة الجنسيات سعت الدول الصناعية الى توسيع درجة تأثيرها بشكل كبير لكن البحث عن عمالة رخيصة ومواد خام وتوسيع للاسواق ظل هو العنصر المشترك والهام في كل مراحل هذا النوع من الاستعمار.

والجدير بالذكر ان الاستعمار التجاري كان يضم القوانين والاعلانات وحقوق الملكية والتعاقد وهذا ما ساعد الدول الصناعية في اظهار قوتها قياساً بمستعمراتها الضعيفة.

ولا ننسى ان احد العناصر الاساسية للاستعمار التجاري هو اختراع المطبعة على يد الالماني (يوحنا جوتنبرغ) في منتصف القرن الخامس عشر، حيث اعُلن بداية العهد الاعلامي الجديد بعد ان قدم جوتنبرغ 200 نسخة من انجيل جوتنبرغ والتي نفدت بسرعة كبيرة رغم ثمنه المرتفع.

وقد كان استخدام المطابع في البداية لنشر المواد الدينية ومن ثم ظهرت الصحافة الشعبية التي تم بيعها باسعار زهيدة، ومن ثم خضعت تلك المطابع لسيطرة الكنيسة الكاثولوكية الرومانية، كما تسلطت بعض الانظمة الملكية عليها.

ولا شك بان الحربين العالميتين الاولى والثانية حددتا نهاية التوسع العسكري، بحيث مكنت الدول الصناعية في الغرب من التحكم في الطرق والمؤسسات والمنظمات الدولية، والممارسات التجارية ايضاً.

اما في خمسينيات القرن العشرين فقد ساعد المناخ الاقتصادي والتجاري الشركات متعددة الجنسيات للعمل على توسعة الاسواق الداخلية والخارجية وتوحيدها في قاعدة واحدة. وفي نهاية هذا العقد وبداية الستينات ظهر تغييران

اساسيان كانا لهما تأثيرات هامة على المجتمعات الصناعية وغير الصناعية، بحيث مهدا الطريق لظهور التوسع التجاري الامبراطوري. وهذان التغييران هما: (ظهور القومية) بخاصة في الدول النامية، والثاني تمثل في التحول الى (اقتصاد المعلومات) في الغرب وذلك من خلال تكنولوجيا المعلومات والكومبيوتر لنقلها، والذي كان يعتبر تحدياً للحدود الوطنية والعوائق التكنولوجيا التي تعوق عملية الاتصال والتواصل ما ادى الى استعمار جديد حل محل اشكال الاستعمارات القديمة (العسكري، والديني- المسيحي، والتجاري) الا وهو الاستعمار الالكتروني.

العهد الرابع: الاستعمار الالكتروني

بدأ هذا النوع الجديد والخطير من عام 1950 الى الوقت الراهن، ويُمثل هذا الاستعمار علاقة الاستقلال التي ارادتها وسعت اليها الدول النامية بالغرب. واعتمدت هذه العلاقة التركيز على عملية الاستيراد فقط وما تحويه من مواد استراد للبرامج وادوات اتصال ولغات واستقدام للخبراء والمهندسين والفنيين ما ادى لظهور قيم وعادات وثقافات جديدة تتعارض وثقافات وقيم الدول النامية، وهذا ما جعل تلك الدول تتخوف من هذا الاستعمار المتغول بأشكاله الجديدة اكثر من الاستعمار التجاري.

فبينما كان يسعى الاستعمار التجاري للبحث عن العمالة الرخيصة كان الاستعمار الالكتروني يسعى ولا يزال للتأثير على العقول بخاصة الضعيفة من خلال التأثير في الاتجاهات والثقافات والرغبات والسلوكيات وانماط الحياة المختلفة. كما ان الدعاية الاعلامية والتي سنشرح عنها لاحقا ما هي الا ترجمة لنظرية الاستعمار الالكتروني.

ويمكننا القول بان نظرية الاستعمار الالكتروني قد تم استخدامها لفهم افعال وردود افعال الدول الهامشية وشبه الهامشية بينما نظرية النظام العالمي تطورت ليصلُح استخدامها في مجال الاعلام الدولي.

ونستنتج مما سبق ان العولمة لم تتحق الا بمرورها بالمراحل الاربع السابقة .

الاطار الثاني

نظرية النظام العالمي World – System Theory

تخضع نظرية النظام العالمي المعاصرة الى (حتمية تكنولوجيا الاتصال) التي مهدت الطريق لوجود الحتمية الاقتصادية، حيث اجبرت حتمية تكنولوجيا الاتصال الدول بخاصة دول العالم الثالث على تغيير سياساتها بالقوة. حيث ان هذه الدول تفترض التطور والتقدم في حال اتبعت ثقافة وقيم ولغة وانماط الدول المركزية.

وتشير هذه النظرية الى (تدفق المعلومات في اتجاه واحد) من الشمال الى الجنوب ما يؤدي الى اختلال التوازن ما بين دول الشمال ودول الجنوب. ومثال على ذلك وكالات الانباء العالمية المسيطرة بحيث تعمل على تدفق المعلومات الى دول العالم وبذلك تكون تلك المعلومات في اتجاه واحد من الدول المركزية الى الدول النامية والاقل نمواً، حيث لا يمكن رفض تلك المعلومات والاخبار التي تأتينا من تلك الوكالات المسيطرة. اضافة الى المنتجات الثقافية والاجتماعية المسيطرة علينا وعلى عقولنا وانماط حياتنا.

ولقد طور "ايمانويل وولرستين" نظرية النظام العالمي، وقد اعتمد بعض الباحثين هذه النظرية في مجالات محددة كدراسة التربية المقارنة ودراسة الاتصال عن بعد.

وتقوم هذه النظرية على تجزئة العالم الى ثلاثة اجزاء وهي: الدول المركزية والدول شبه الهامشية والدول الهامشية.

1- الدول المركزية :

تملك هذه الدول والتي تعد الولايات المتحدة، والاتحاد الاوروبي، واليابان من اهم مجموعاتها القوة لتحديد صياغة القوانين التي تحدد علاقاتها مع مجموعة الدول الاخرى. بحيث تخلق هذه الدول سيطرة عالمية تعود بالربح والدخل الوفير اليها، كما انها تدافع عن علاقاتها بالدول الهامشية وشبه الهامشية، وتوفر التكنولوجيا والبرمجيات ورأس المال والسلع والبضائع للدول الهامشية وشبه

الهامشية، كما تتمتع برؤوس اموال ضخمة واجور مرتفعة وانتاج تكنولوجي عالي، واستغلال العمالة الرخيصة.

2- الدول النامية (شبه الهامشية):

تتفاعل هذه الدول مع الدول المركزية وتتعامل معها ومن هذه الدول: النمسا والبرازيل والصين والدنمارك وفنلندا والمجر وبولندا والسويد وسويسرا وسنغافوره وكوريا الجنوبية وتايوان ومصر والهند والارجنتين والمكسيك وتشيلي ومالطا وسلوفينيا وفنزويلا، وغيرها من الدول التي تسعى الى الانضمام الى الاتحاد الاوربي، بالاضافة الى مصر هي دول شبه هامشية.

ولا تملك الدول شبه الهامشية القوة السياسية والمؤسسات الاقتصادية اللازمة كي تنتمي الى الدول المركزية، بحيث تحاول هذه الدول الاقتراب من ممارسات الدول المركزية وممارسات تتمثل بمارسات الدول الهامشية.

3- الدول الهامشية (الاقل نمواً):

تعتبر دول العالم الثالث دول هامشية كالدول الشمولية، وقارة افريقيا، واغلب دول آسيا، وامريكا اللاتينية. وسبق وان شرحنا عن هذه الدول وماا تتصف به من جهل وفقر وامية ...الخ، عدا عن قلة اهتمام وسائل الاعلام بها.

وبعض الدول كانت تحظر الاستراد من الدول الغربية مثل العراق زمن النظام السابق (صدام حسين) كما ان سوريا ايضاً تحظر هذا النوع من الاستيراد. كما ان معظم الدول الهامشية لم تحقق نجاحات ملموسة في مجال التصنيع الذي يعد ركناً اساسياً لمواكبة التطور والتقدم. الامر الذي ادى الى ان تكون دولا مستهلكة فقط.

كما انها تتصف بوفرة العمالة والاجور المنخفضة وانتاج تكنولوجي متدن واستغلال كبير للايدي العاملة من قبل الدول المركزية والدول شبه الهامشية.

والجدير بالذكر ان اهتمام وسائل الاعلام العالمية بهذه الدول ضعيف حيث ان الاخبار عبر وسائل الاعلام العالمية تركز في اغلب الاحيان على الجوانب السلبية لهذه الدول كالكوارث الطبيعية والانقلابات وغيرها.

وتشير نظرية الاعلام العالمي الى التوسعة الاقتصادية التي بدأت تنطلق من مجموعات صغيرة في الدول المركزية الى الدول الهامشية وشبه الهامشية، بحيث تتفاوت هذه الدول في درجات التقدم الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي والتقني والرأسمالي ايضا. كما ان العلاقات بين هذه الدول غير متساوية.

وتفسر تلك النظرية التوسعات التي تحققت في الاعلام الدولي حيث لعبت وسائل الاتصال الجماهيري (كالصحافة والسينما والراديو والتلفزيون) بدور الوسيط والمثقف لدول العالم الثالث.

وتعتقد نظرية النظام العالمي بان الرخاء الاقتصادي سيتحقق للدول النامية والاقل نمواً كلما اتجهت تلك الدول في دعم الرأسمالية وتوسيع اسواقها لتقترب من الدول المركزية، بحيث ان هذا الاقتراب سيؤدي الى توسيع الاسواق، وزيادة المنتجات الثقافية في الدول المركزية، لكنه سيحتاج بالتالي الى مستهلكين واسواق خارجية تعود بالارباح على الدول المركزية.

كما تعتقد هذه النظرية ان المنتجات الاعلامية للدول المركزية ستحل في العادة محل المنتجات الاعلامية المحلية في الدول النامية والاقل نمواً.

والجدير بالذكر ان المواد والسلع تنقل بواسطة الاعلانات والدعايات، ومن خلال بعض البرامج الجماهيرية التي يتم انتاجها في الدول الغربية من ثم تصديرها للدول الاخرى عن طريق نظام الاتصال الجماهيري الذي يسوّق المنتجات الاعلامية ويخلق الخيارات الثقافية المختلفة.

ولا بد لنا ان نفهم وندرك ان رفض القيم الثقافية والاقتصادية والاجتماعية مثل (الاقراص المضغوطة والمدمجة والافلام والبرامج والكتب والفيديو كليبات... وغيرها) والتي تأتينا من الدول المركزية (الدول الغربية) وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية سيؤدي الى عدم تطويرها وعدم تحقيق مبيعات عائدة بالنجاح للدول المركزية، ولكن للاسف فان دول العالم الثالث وبخاصة الدولة العربية في ارتفاع مستمر من استراد المواد والسلع الثقافية وغيرها من الدول المركزية وهذا ما نطلق عليه (الاستعمار الالكتروني).

❖ **العلاقة ما بين النظريتين**

لا شك بان هناك علاقة جوهرية ورابطاً قوياً بين نظريتي الاستعمار الالكتروني والنظام العالمي، بحيث تفسران تلك النظريتان العناصر الاساسية للاعلام الدولي.

النظرية الاولى: (نظرية الاستعمار الالكتروني) تؤكد على ان تصدير برامج وسائل الاعلام تنقل عدداً كبيراً من القيم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، كما تنقل قيماً سياسية ودينية في بعض الاحيان.

وتركز نظرية الاستعمار الالكتروني ايضاً على ما يحدث للافراد والجماعات في الدول شبه الهامشية وبخاصة الدول الهامشية من خلال ما يتعرضون له بشكل مستمر للمنتجات الاعلامية المقدمة لهم من الشركات متعددة الجنسيات المتمركزة في كل من نيويورك وهوليود.

كما تهتم تلك النظرية بالاثار والنتائج الايدولوجية التي يحدثها الاعلام الدولي في الافراد والجماعات في تلك الدول من خلال المنتجات الخارجية التي تقدمها الشركات متعددة الجنسيات من حيث التاريخ الخارجي والشخصيات الخارجية والعادات والقيم والتقاليد والانماط والثقافات والاذواق الخارجية ايضاً وكيفية مواجهتها مع الثقافات المحلية بخاصة المرتبطة بدول العالم الثالث.

كما تنظر هذه النظرية على ان الافراد والجماعات خاصة في الدول الهامشية (دول العالم الثالث) على انهم مستهلكون للمنتجات الاعلامية فقط، بحيث تحسب الفائدة الكلية منهم بحجم ما يمثلونه في اسهم السوق.

وفي هذا الاطار يمكننا القول بان مؤسسات الاعلام الدولي تسعى جاهدة الى خلق مستعمرات الكترونية تتكون من مجموعات بشرية تتغلغل في العالم بهدف زيادة اسهم السوق وفوائد الارباح. الامر الذي يؤكد اننا نعيش عصراً استعمارياً .

النظرية الثانية: (نظرية النظام العالمي) وتقوم على توسعة اهدافها من خلال تجزئة العالم الى ثلاث فئات وهي: دول مركزية، ودول شبه هامشية، ودول هامشية، بحيث تسعى المؤسسات الاعلامية في الدول المركزية الى تنظيم علاقاتها

وتحقيق نتائج ايجابية منتظمة مع الدول شبه الهامشية، بينما تكون العلاقة اقل مع الدول الهامشية.

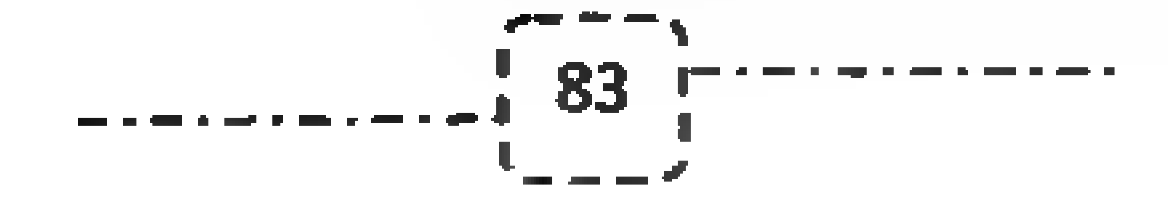
كما وتركز نظرية النظام العالمي على الابعاد الاقتصادية الكبيرة وعلى السياسات الاعلامية وطرق تحليلها وطرق اتخاذ القرارات فيها، بحيث تعمل على نقل التحليل الى قطاع الاقتصاد الذي بدوره يعزز ويدعم النظام العالمي الذي من خلاله تدار الصناعات الاعلامية.

ويمثل الاعلان الذي سنشرح عنه لاحقاً حالة فرعية في نظرية النظام العالمي بحيث اصبحت معظم وسائل الاعلام وسائل تجارية في المقام الاول، كما ان الاعلان يلعب دوراً بارزاً ومؤثراً في نجاح المغامرات الاعلامية الجديدة.

لذا فان الرخاء الاقتصادي لا يحصل عليه الا الشخص الاجنبي والدول الاجنبية من خلال توسعة الدول المركزية للمشاريع التجارية داخل الدول الهامشية وشبه الهامشية. حيث ان الشركات متعددة الجنسيات هي من يحقق ذلك الرخاء .

والجدير بالذكر ان بعض الدول مثل كندا واستراليا وبريطانيا تتخوف من آثار الاستعمار الالكتروني ومن أمركة صناعتها الثقافية.

وفي تقرير لمجلة "ماكلين" الكندية الاسبوعية عام 1999 كتبت تقريراً بعنوان " الواجهة الشمالية" لخصت فيه الموقف قائلة: "يبحث النجوم عن ادوار جيدة، وتبحث الاستوديوهات عن توفير المال وانتاج التسلية الجيدة، ويمكنهم تحقيق كل ذلك اذا انتجوا افلامهم في الشمال الابيض العظيم"(9). وذلك بعد ان كان الكنديون قد انتقدوا مراراً وباستمرار التأثير الثقافي لوسائل الاعلام الامريكية حيث كانوا يتخوفون من انتشار وسائل الاعلام الامريكية الى البيوت الكندية، خاصة وان كندا دولة مركزية قريبة من الولايات المتحدة الامريكية، لكنها رحبت بصناعة هوليود السينمائية وبشبكات التلفزيون الامريكية بعدما تبين لها ان الهدف الاساسي من وسائل الاعلام هو تحقيق الارباح وتوسيع الاسواق. وقد اصبحت مدن تورنتو مونتريال وفانكيوفر مواقع اساسية لشركات فرص العمل سنوياً وساهمت في الاقتصاد الكندي ببلايين الدولارات.



نستنتج مما سبق بان الدول المركزية هي بمثابة المنتج والبائع للاخبار الدولية من خلال وكالات الانباء العالمية المسيطرة في العالم والتي تعمل على اختلال التوازن المعلوماتي ما بين دول الشمال ودول الجنوب، بينما تقف الدول الاخرى وبخاصة الدول الهامشية موقف المستهلك فقط الذي يعتمد على المعلومات المتدفقة التي تقوم بانتاجها الدول المركزية المسيطرة في العالم.

ويمكن القول بان الاستعمار الالكتروني الذي اضحى يسيطر على انماط حياتنا كلها ربما يجعلنا نقف بضع دقائق نفكر كيف يمكننا الان ان نواجه الصراع مع اي دولة تعتبر عدواً لنا؟. فالصراع لم يعد يكفي القتال والجهاد والانتصار للتفوق عليها، وانما يتحقق ذلك الانتصار بالعلم والايمان والمعرفة. فالحرب الحديثة الان لم تعد حرباً بين جيشين في جبهة، بل هي وان جاز التعبير مباراة حضارية بين شعبين.

ويمكن ان نتعلم درساً كبيراً من روسيا التي لم تمنعها ايدولوجيتها من سياسة الوفاق مع امريكا، فامريكا برغم عدائها للشيوعية الا انها دقت ابواب الصين ووافقت على انضمامها الى هيئة الامم ومجلس الامن الدولي.

وعلى سبيل المثال، فان اليابان قامت من غير موارد طبيعية، بل نهضت وتطورت من خلال مادتين خطيرتين هما: الارادة والتنظيم بحيث جعلت العالم كله مورداً لما تحتاجه من مواد اولية بأحسن الاسعار، كما انها اصبحت سوقاً كبيراً يشتري مصنوعاتها.

وهنا نستطيع القول بان اليابان تقترب من الدول المركزية، فكلما زاد اقترابها كلما قل تأثير الاستعمار الالكتروني عليها.

والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو تأثير التطور التكنولوجي والالكتروني على عروبتنا وقيمنا وعاداتنا وتقاليدنا ؟.

فعلى سبيل المثال، نجد بان الحضارة العصرية التي نشهدها اليوم دخلت بيوتنا وتغلغت في مجتمعنا العربي حتى انها تغلغلت بمائدتنا التي ظلت شرقية،- ولكن من حيث النظام اصبحت غربية وهذا بحد ذاته استعمار الكتروني على

سلوكياتنا وانماط حياتنا، حيث نجد ان العروبة اليوم تذاب بمحلول من العالمية.

واليوم تصل سرعة الطائرة الصاروخية الى 400 ميل في الساعة، وسرعة كبسولة الفضاء الى 18،000 الف ميل في الساعة، وخلال خمس سنوات انتقل العربي من الجمل الى عصر الصاروخ، كما ان مكالمة الهاتف الدولية التي كنا ننتظرها لدقائق طويلة اصبحت الان مجانية ومتطورة بالصوت والصورة والفيديو ايضا، ما يدل على السرعة التكنولوجية الهائلة التي وصل اليها عالم اليوم.

وعلى الرغم من أن العولمة أدت لوجود تكنولوجيا الاتصال وهي خطوة لتحقيق الرفاهية لعالم أكثر أمانا واستقراراً، الا أن هذه التكنولوجيا مهدت الطريق لوجود الحتمية الاقتصادية التي تقوم على تجزئة العالم الى ثلاثة أجزاء (الدول المركزي والدول النامية والدول الأقل نمواً) وفي هذا الاطار نستنتج بان نظريتي الاستعمار الالكتروني والنظام العالمي تطبقان في مختلف دول العالم باشكال مختلفة واهداف متعددة، كما انهما مجتمعتين وتصفان وتفسران العناصر الاساسية في الاعلام الدولي.

ويمكننا القول بانه يجب علينا ان نلتف الان حول قاسم مشترك وهو: تكنولوجيا حديثة، واقتصاد سليم، وجيش مشترك لمواجهة هذا النوع من الاستعمار الجديد والخطير الا وهو الاستعمار الالكتروني.

هوامش الفصل الثاني

(1) عبد الجليل كاظم والي، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، **مجلة المستقبل العربي**، العدد: 275، يناير 2002، ص 59.

(2) السيد ياسين.(2001). العولمة والطريق الثالث، دار ميريق للنشر والمعلومات، القاهرة، ص:23.

(3)Malcolm Waters, Globlaliztion, Key Ideas, London and NewYork: Routledge, 1995,p:3

(4) الامام فخر الدين الرازي- التفسير الكبير او مفاتيح الغيب، ط1- مجلد11، الجزء 12- 22 (بيروت دار الكتب العلمية سنة 1990).

(5) المصدر ذاته، ط3، المجلد 14، الجزء 27، (بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1990).

(6) السيد يسين، في مفهوم العلومة، **المستقبل العربي**، العدد288، شباط 1988، ص 60.

(7) عصام الموسى، مقال نشر في **جريدة الرأي الاردنية**، بتاريخ: 12- 4- 2013

(8) ثوماس مكيفل.(2005). الاعلام الدولي، النظريات والاتجاهات الفكرية، ترجمة: حسني محمد ناصر وعبدالله الكندي، دار الكتاب الجامعي، العين: ط1، ص:45.

(9) **Macleans, 11 October 1999.**



الفصل الثالث

الاستعمار الإلكتروني.... عصر الشيطان

المبحث الاول

(خطورة الاستعمار الالكتروني)

شهدت هذه الحقبة من الزمن الذي نعيشه طفرة كبيرة في مجالي الاعلام والاتصال حتى ان الكثيرين اصبحوا يؤمنون بان امتلاك القدرة على استخدام الكومبيوتر والتكنولوجيا باشكالها المختلفة من المؤشرات الهامة للتنمية البشرية. واصبحنا دون ارادة منا نخضع لهذا الاستعمار الالكتروني.

لا نستطيع ان ننكر بان "الاستعمار الالكتروني" الذي أتانا من الفضاء له ايجابيته وسلبياته، فمن الناحية الايجابية فقد ساعدنا هذا الاستعمار على الاتصال والتواصل مع الاخرين بكل سهولة ويسر، . فقد ساعد على تقليل تكاليف الحبر والورق في الصحف الورقية وعناء وصولها بين منطقة ومنطقة اخرى وبين دولة واخرى. كما انه وفر على الكثيرين دفع مبالغ مادية كبيرة كانت تدفع لاجل اجراء مكالمات خارجية من دولة لاخرى، بينما اصبحت المكالمات والمراسلات الان "مجانية" من خلال برامج " الفايبر" و "التانجو" و "الماجك جاك" وبرنامج "السكايب"، والتي سنقوم بتوضيحها لاحقاً.

وقد وفرت لنا هذه البرامج ايضا متعة التسلية والترفيه والراحة النفسية عند مشاهدة اصدقائنا واقربائنا ومعرفة اخبارهم والاطمئنان عليهم من خلال المراسلة الالكترونية وما تحويه من صور وفيديوهات وتسجيلات مباشرة بالصوت والصور ما يشعرنا بتقريب المسافات فيما بيننا وبانهم حاضرون معنا طوال الوقت.

وهذا الاستعمار افاد الكثيرين في استخدام المعرفة ونقلها من شخص لاخر ومن دولة لاخرى بكل سهولة ويسر. كما افادنا في معرفة واستكشاف الحقائق والاتصال والتواصل مع الاخرين من دون تعقيد ما وفر علينا الوقت والجهد. اضافة الى ان استخدامه ساعد الاجهزة الامنية في سرعة الوصول الى الاحداث ومراقبتها

ونشرها عبر الفضائيات، ومراقبة الاشخاص وملاحقتهم اضافة الى سرعة التواصل مع المواقع والاحداث وكل ما يجري حولنا. الامر الذي منحنا الطمأنينة والراحة النفسية لوجود الامن والامان.

حتى ان عملية التجسس الالكترونية لها سلبياتها وحسناتها ايضا من خلال التجسس على تحركات العدو، والتجسس على المجموعات الارهابية وتفادي وقوع الاحداث والجرائم والقتل والتفجيرات ايضا.

لكننا لا نستطيع ان ننكر ايضا ان سلبيات هذا الاستعمار فاقت ايجابيته بكثير، حيث ان سلبياته اضرت بصحتنا اطفالنا كنا ام صغارا ام شبابا ام كبار السن، ما ادى بنا الى شلل دماغي وجسدي وفكري. استعمار يحاول طمس لغتنا العربية وهويتنا وثقافتنا وحضارتنا، والقضاء على قيمنا ومبادئنا وسلوكياتنا ايضاً.

نعم انه الاستعمار الالكتروني الذي حولنا الى مغارات مهجورة وجمد طاقاتنا واحلامنا وابداعتنا. استعمار يحاول مع الوقت ان يحولنا الى تماثيل متبلدة الشعور ومستسلمة لكل شيء، استعمار اصاب اجسادنا وضر بصحتنا، استعمار اصاب عقولنا واذهاننا، استعمار اصابنا بشلل دماغي وجسدي، استعمار جعلنا نشعر بالخوف والقلق والفراغ والوحدة برغم كل الاشياء المتوفرة من حولنا، استعمار يجعلنا نلهث لكي نصل لكننا لا نصل مهما وصلنا.

ان هذا الاستعمار الجديد وان جاز التعبير هو عصر "الشيطان"، نعم انه عصر الشيطان الذي بدأ يتحكم بالعقول وبخاصة العقول الضعيفة، واصبح من دون ارادة منا نخضع له ولاوامره ولكل جديد يحمله ويقدمه الينا من دون عناء ومن دون جهد.

نعم انه عصر الشيطان الذي استسلم له الكثيرون منا، وما زال الكثيرون على طريق الاستسلام له، حيث يقوم بتقديم كل الاغرات التكنولوجية المتعددة الاشكال ومختلفة الاحجام والالوان.

شيطان بات يتحكم بمادياتنا وعاداتنا وقيمنا وسلوكياتنا وانماط حياتنا، وحتى مشاعرنا اذ اصبحنا نسير خلفه ونطيع اوامره من دون تفكير بمدى خطورته علينا وعلى اجيالنا الحالية واجيال المستقبل.

عصر شيطاني اعاق حركة تقدمنا الى الامام. عصر شيطاني قتل ابداعتنا وطاقتنا الانتاجية وحولنا الى آلة اوماتيكية، والى مجتمعات اتكالية،. واوقف عجلة النمو في عقولنا وداخل مجتمعاتنا فأصبحنا شعوباً مستهلكة مستسلمة ضعيفة امام كل ما يسمى (بالامركة).

والاسئلة التي تطرح نفسها في هذا الاطار، هل ان ظهور الكم الهائل من الفضائيات والاذاعات والتطور الذي طرأ على اجهزة الاتصالات وبخاصة اجهزة الموبايلات. وظهور مواقع الكترونية مختلفة الشكل والمضمون والاهداف اثر على تطور دول العالم الثالث عموماً والامة العربية على وجه الخصوص؟ .

وهل نعتبر ان التطورات التكنولوجية الاتصالية ساعدت على تقدمنا الى الامام ام الى رجوعنا للخلف وراء كل ما هو غربي ؟

وما هي مخاطر الاستعمار الالكتروني علينا؟ وهل اثر الاستعمار الجديد على تدمير لغتنا الام وثقافتنا وحضارتنا وسلوكياتنا وقيمنا ومبادئنا وانماط حياتنا ؟

❖ ما بين ايجابيات الماضي ومتغيرات الحاضر

ان السؤال الذي يطرح نفسه الان! ما هو مستقبل اجيالنا الحالية والمستقبلية في ظل الاستعمار الالكتروني؟ فربما هناك اختلافات كبيرة وشاسعة تعاني منها اجيالنا خصوصا الحالية ما بين ايجابيات الماضي ومتغيرات الحاضر.

فبين التقاليد والموروثات والانفتاح الذي يشهده عالمنا اليوم نجد ان معظم ابنائنا في المجتمعات العربية يجدون صعوبة في التكيف مع هذا الانفتاح خاصة مع المتغيرات السريعة التي حتماً أدت الى خلق مشاكل كبيرة ولا سيما على الصعيد الاسري.

ولا شك بان الحضارة العصرية دخلت بيوتنا، ففي الوقت الذي ظلت فيه مائدتنا شرقية في الوقت الذي تغير فيه نظامنا بحيث اصبحت غربية.

والحقيقة ان الاجيال الحالية تعاني اكثر مما كانت تعانيه الاجيال الماضية، فعلى الرغم من المتاعب والمشقات والصعوبات التي كانت تواجه الاخيرة الا انها لم تكن تعرف القلق والصراعات الداخلية والتشتت الذهني. بينما نجد ان

اجيال اليوم تعاني الاضطرابات العصبية والقلق والتشتت في الافكار وعدم التركيز في امور كثيرة.

واجيال الماضي كانت تحفظ جداول الضرب والجمع والطرح وتجيد عملية الحساب، بينما اجيال اليوم لا تستطيع حفظها نتيجة الاجهزة الالكترونية والتطور السريع الذي حولهم الى آلات. فهل نلغي الارقام لان الالة تحسب؟ وهل نلغي الحروف لان الالة تكتب؟

وعلى الرغم من ان اجيال الماضي درسوا وتخرجوا من مدارس حكومية. وعلى الرغم من المناهج المتواضعة التي كانوا يدرسونها الا اننا لا نستطيع ان ننكر ان هذه المدارس خرجت اجيالا صاعدة وخرجت رجالا ما زال التاريخ يذكرهم الى يومنا هذا. بينما نجد ان المدارس التي يشهدها عصرنا الحالي ولا سيما الخاصة منها اصبحت معظمها تجارية واصبحت المادة تسيطر على اهم شيء يمكن ان نستثمر فيه اجيالنا الا وهو العلم، بحيث نجد ان هذه المدارس معظمها يركز على امور ونشاطات مماثلة للغرب وللثقافات الغربية كالسباحة والحفلات والالعاب المختلفة اضافة التركيز على الجوانب الترفيهية باشكالها المختلفة والتي ربما تزيد حصصها عن المواد والمناهج الاساسية.

ولو تم مقارنة اجيال الماضي باجيال اليوم لوجدنا فرقاً شاسعاً بينهما، فالاول كان جيلا يعتمد عليه بكل شيء، كان جيلا ناضجا فكريا، جيلا يتحمل المسؤولية، جيلا تحمل المشقات والصعوبات والمتاعب، جيلا مفكرا ومثقفا حيث كان يواجه الصعوبات في البحث عن المعرفة، بينما اجيال اليوم فمعظهم لا يتحمل المسؤولية ولا يعتمد عليهم، فثقافتهم هي ثقافة الانترنت وبحوثاتهم الجامعية المقدمة لاساتذتهم تكون اما عن طريق شرائها من المعاهد او عن طريق نقلها ونسخها جاهزة من خلال الانترنت.

ولو نظرنا لاجيال اليوم نجد ان منها من يحمل علماً من دون ثقافة ولا معرفة، ومنها من يحمل ثقافة الانترنت، ومنها من لا يحمل علما ولا ثقافة، والقليلون هم من يحملون العلم والثقافة معاً.

لا شك ان الادراك يأتي من بوابات الحواس، لان اول سلم المعرفة هو الادراك ، فامتزاج الحواس بالتجربة يصبح معلومة، والمعلومة تكّون معلومات من ثم تتكون المعرفة. وتتكون المعرفة حين تتلقى الحواس بالمعلومات التي تتفاعل لتكون الثقافة. فاذا كان الاستعمار الالكتروني قد سيطر على عقولنا وعواطفنا إذن فهو كذلك قد سيطر على حواسنا وبما ان حواسنا تتلقى المعلومات فهي بالتالي لن تتلقى الا كل ما هو غربي وتقليد اعمى بخاصة للثقافة الامريكية.

والمعرفة عموماً هي موضوعية بحد ذاتها وتقوم على قواعد ثابتة بينما السلوك الذاتي يتقلب بتقلب الظروف لذا فان سلوكياتنا من قول وفعل تتقلب بتقلب ظروفنا، ونحن اليوم نعاني هذه التقلبات السريعة نتيجة العولمة والتطور التكنولوجي وبخاصة الاستعمار الجديد الذي اثر على ادراكنا بشكل سلبي واثر على سلوكياتنا المستقبلة بتقلب ظروفنا فنجد ان معظمنا اصبح لا يملك قيمة ثابتة او معيار ثابت او مبدأ ثابت لحياته وعلى جميع الاصعدة.

وعلى الرغم من ان اربعينيات القرن الماضي وحتى القرن العشرين لم يشهد نسبة تعليم عالية بين افراد مجتمعاته ولم تكن عدد المدارس او الجامعات الخاصة متوفر كعصرنا هذا، الا ان اجيال الماضي كانت اجيالا مثقفة، اجيالا تحمل سلاح الثقافة والمعرفة، اجيالا صنعت الثورات وحررت البلاد من الاستعمار البريطاني والاستعمار الفرنسي، اجيال خلقت ثورات بكل ما تحمله الكلمة من ثورات، بعكس الثورات التي شهدتها معظم البلاد العربية وما اطلق عليها بـ "ثورات الربيع العربي"، حيث نجد ان الاستعمار الحقيقي هو الاستعمار الالكتروني المسيطر على افكارنا وعلى العقول الضعيفة والعقول غير المدركة لابعاد وخطورة ما يجري في منطقتنا العربية.

استعمار خلق الذعر وخلق الحقد وخلق القتل ونزف الدماء بين ابناء المجتمع الواحد، استعمار دمر روح الانتماء وروح الوطنية لدى الكثيرين، استعمار فكك اوطان وفكك مجتمعات وفكك افراد المجتمع الواحد، استعمار دمر الفكر ودمر العقيدة ودمر الانسانية ودمر اللغة والثقافة، استعمار قضى على

حضارتنا وعلى قوميتنا العربية، وفكك الوحدة الوطنية، استعمار يحاول القضاء على هويتنا العربية، استعمار لا مفر منه، على عكس الاستعمار التقليدي الذي دفع بأبناء المجتمع الواحد الى زرع روح الانتماء الحقيقي والوحدة القومية والشجاعة صاحبة القرار التي رفضت الاسترزاق والخيانة.

وهناك سؤال يطرح نفسه، لماذا ومع توفر كل وسائل الراحة والرفاهية لاجيال اليوم وتوفر الاجهزة التكنولوجية في كل بيت اصبحت صروح العلم لا هيبة لها ولا قيمة خاصة مع تنامي ظاهرة "العنف الجامعي" والذي لم يسبق للاجيال الماضية ان شهدتها او سمعت بها ؟

ولماذا كان للاستاذ هيبة وللمعلم قيمة بينما اليوم لا هيبة ولا قيمة لمعلم او استاذ جامعي؟ ولماذا كثر الغش والتلاعب اثناء الامتحانات وبخاصة الامتحانات المصيرية للطلبة؟.

ففي الماضي لم تكن هناك اجهزة خلويات ذكية التي تحتوي "الواتس آب، و"الفايبر"، و" السكايب"، و"التانجو" وغيرها ...الخ، لكن كان هناك قيم واخلاق، بينما اجيال اليوم فالكثيرون اعتمدوا على الاجهزة الذكية في قاعات الامتحان وبدلا من ان يفكروا بالاجتهاد الذاتي لتحقيق النجاح اصبح اغلبهم يبحث عن المنازل والمحلات التي تمتلك شبكة الانترنت من ثم محاولة معرفة الرقم السري كي يتم الشبك فيما بينهم وبين الاجهزة في قاعات الامتحان باستخدام "الواتس أب". وهناك من حاول البحث عن طرق جديدة كاستخدام خطوط وارقام دولية مختلفة والويرليس ايضا.

اما طفولة الاجيال الماضية فكانت بريئة حيث كان تقديم هدية ال 10 قروش تدخل البهجة والسرور الى قلوبهم. اما في عصرنا الحالي فالاطفال لا تسعدهم القروش ولا حتى الدنانير. وقد كانت الالعاب المفضلة بالنسبة لاجيال الماضي لعبة " السلم والحية" ولعبة "القفز بالحبال"، ولعبة "الطباشير" ولعبة "التخفي عن البعض". وهذه الالعاب البريئة لا تعادلها في هذا الزمن كل الالعاب الالكترونية والانترنتية والاجهزة الذكية.

ولا ننكـر بـان الرسـائل الالكترونيـة "المـسجات" و "الـبلاك بـيري" و"البرودكاست" استعمار الكتروني بحد ذاته حيث اصبحت تلك الوسائل نافذتنا الوحيدة على العالم. وعلى الرغم من انها كاذبة ولا تحمل المصداقية والوضوح الا ان الكثيرين يترقبون من خلالها كل ما هو جديد ويصدقون كل ما يصل اليهم.

ولا شك بان هناك اشياء كثيرة على الرغم من بساطتها الا انها استطاعت ان تدخل البهجة والفرح لاجيال الماضي. فالرسائل الورقية القديمة كان لفرحة استلامها من البريد فرحة لا يعادلها اي فرحة في هذا الزمن كان لها طقوسها الجميلة التي تحتوي: الاسم، والعنوان الواضح الصريح، وتبدأ بالتحية، وتنتهي بكلمة "المخلص" او "المخلصة للابد".

كان للرسائل الورقية وزن ثقيل من حيث اللغة وتسلسل الافكار وطريقة التعبير. بينما نجد ان رسائل هذا العصر رسائل الكترونية معظمها لا يحمل اسماً صريحاً او عنواناً واضحاً، بل تحمل في مضمونها لغة ركيكة ضعيفة وافكارا غير متسلسلة وفقرات غير متناسقة. كما لا تحمل في بدايتها التحية وربما تنتهي بشطبك من قائمة الاصدقاء من دون اعتذار او سبب مقنع.

وفي الماضي كان للثقافة قيمة وكان للشاعر بصمة وكان للاديب فكرة وكان لالقاء الشعر نكهة. وكانت لاجيال الماضي هوايات متشابهة ومشتركة، اما اليوم فلا أحد يشبه الاخر ولا أحد مشتركا مع الآخر في شيء.

ولا شك ان الاجيال الماضية ما زالت تذكر اعلان الناجحين عبر الاذاعات والتلفزيونات والتي كان لها رهبة وقشعريرة ما زالت تسري في اجسادهم كلما تذكروا تلك اللحظات.

كما ان اشرطة الفيديو القديمة كان لها مكانة خاصة في المحافظة عليها وان تكرار الشريط لاكثر من مرة كان يمنح الاجيال الماضية متعة لم يعد لها الان اي اثر. كما ان الفرحة باستلام الصور على الرغم من انها كانت بالاسود والابيض والتي كان الكثيرون ينتظرون تحميضها واختيار الالبومات لها كان فرحة لا يعادلها فرحة. بينما صورنا الالكترونية والتي تفتقر الى الخلفيات والالبومات اصبحت بلا سرية وبلا خصوصية ومعظمها بلا لون ولا معنى.

ولا ننكر ان الملابس الجاهزة افسدت على الكثيرين اذواقا وتصاميم كانوا يختارونها بانفسهم للخياطين. بينما مرورنا اليوم على الاسواق الكبيرة والمولات الضخمة على مدار الساعة افقدت معظمنا عادة الاستمتاع بالتسوق خاصة مع ظهور المواقع التسويقية عبر الانترنت.

اما الافلام العربية القديمة فقد تركت بصمات مؤثرة عند المشاهد، فهناك مشاهد عدة ربما بقيت عالقة في اذهان الكثيرين الى يومنا هذا. فقد كانت تلك الافلام تصور الواقع الحقيقي، وكانت تحمل هدفا حقيقا مؤثرا، بينما نجد ان معظم افلام اليوم لا تحمل نكهة ولا بصمة ولا هدف.

واجيال الماضي كانت تتمتع بقيم افضل من الاجيال الحالية فبين موروثات وعادات وتقاليد قديمة من جهة وواقع جديد مليء بالمتغيرات السريعة التي تهب علينا من كل جهة يعيش ابناؤنا في حالة صراع وتناقض كبيرين ما يؤكد ان حالات التفكك الاسري التي نراها في بعض الاسر ناتجة عن ظاهرة (التقليد) حيث يقوم افرادها بتقليد لكل ما هو غربي ويتأثرون بثقافة الغير بشكل سلبي، حيث تفتقر معظم الأسر الى الحوار ما بين الاباء والابناء، فالحوار مطلوب داخل الاسرة من ثم يأتي دور وزارة التربية والتعليم في صوغ مناهج تربيوية للطفل على عدم التمييز والاعتماد على النفس من ثم يأتي دور المدرسة في تعليم الابناء على الانفتاح المدروس وتقبل الاخر لقطع الطريق على التيارات والمعطيات الجديدة المنبثقة من العولمة التي أدت الى تراجع الكثير من القيم التي تربت عليها اجيال من الامهات والاباء.

ومن المفترض ان تأخذ الاجيال الحالية القيم والثوابت فهذه لا تتغير في اي زمان وفي اي مكان. كما من الضروري على الاسر ان تطلق ابناءها للانخراط في المجتمع لكي يتمكنوا من التمييز بين ما هو ايجابي وما هو سلبي لايجاد التوازن اللازم في الحياة لان المجتمع يربينا اكثر مما تربينا العائلة، فاذا كانت العائلة تخاطب عواطفنا فان المجتمع يخاطب عقولنا ما يجعلنا اكثر تحملا للمسؤولية واكثر انفتاحا بشكل منطقي بعيدا عن العواطف وبعيدا عن كل ما يؤثر علينا بشكل سلبي بخاصة مع التطور التكنولوجي السريع الذي يشهده عصرنا الحالي.

فان نستورد من الدول العظمى التكنولوجيا والطائرات والصواريخ والاجهزة امر لا مفر منه، لكن لماذا في غمرة ركضنا الاعمى وراء كل ما هو غربي لا نستورد منهم الا لقاحاتهم وافكارهم السلبية؟، لماذا يستخدمون التكنولوجيا بشكل حضاري ولابعاد عميقة المدى ويسيطرون عليها، بينما نستخدمها نحن بشكل غير حضاري ولا ندرك ابعادها ونتركها تسيطر علينا وعلى انماط حياتنا؟ . فمجتمعنا العربي المهزوز القيم ومفكك الاسس ماذا يملك لاطفاله ولاجياله الحالية والمستقبلية سوى حصيلة المئات من الفوضى والغوغائية والصراع والقلق؟ .

فالشيء الوحيد الذي يمكن لعالمنا العربي المقصر ان يمنحه للغرب هو شيء واحد اسمه "القيم" ونحن اليوم للاسف اصبحنا نتخلى عن الشيء الوحيد الذي تبقى لدينا. واصبحنا نذيب انفسنا في محلول من العالمية التي لا نعرف نهايتها.

ونستنتج مما سبق بان كل الاشياء اصبحت ملوثة من حولنا، فالواقع الذي نعيشه اكبر من قدرتنا على استقباله واستيعابه، واقع اختلط فيه الحابل بالنابل وخذلتنا الكثير من العلاقات، والكثير من المواقع الالكترونية، والكثير من وسائل الاعلام، والكثير من السياسيين، والكثير من رجال الدين، والكثير من رجال الادب واصبحنا نبحث عن الحقائق عبر الاجهزة الالكترونية وعبر شبكات التواصل الاجتماعي وقللنا البحث في داخل انفسنا وداخل اعماقنا.

واصبح جوجل اكثر وفاءً منا واسرع علماً برحيل اقربائنا واصدقائنا، واصبح مجتمعنا يشعر ببرود مرير امسى يتسرب الينا من عالم اصبحت انفاسه متوقفة على اجهزة الالكترونية واسلاك الكترونية.

❖ الاستعمار الالكتروني وخطورة على اللغة العربية

اللغة وسيلة التواصل الاجتماعي والحضاري، انها الاداة المعبرة عن منجزات العقل وابداعاته، ووعاء الفكر وشريان الحضارة ودليل الوجود لاي امة.

وقد اصبح تطور تكنولوجيا الاتصال يشكل تهديدا خطيرا على التنوع الثقافي واللغوي، اضافة لسيطرة واحتكار الشركات العالمية متعددة الجنسيات

بخاصة على دول العالم الثالث، ما ادى لتعريض الذاتية للخطر الناجمة عن التبعية الفكرية والثقافية التي لا تقل عن التبعية السياسة.

وصحيح ما يقال بان اللغة العربية ليست لغة انتاج علمي ولا نحتاجها لاي بحث علمي متطور، وربما لا تحتاجها الجامعات، ولا المطارات. لكن السؤال الذي يطرح نفسه اين سنستخدمها اذا كان هذا هو الواقع ؟ وهل هناك واقع اخر؟ بالتأكيد نعم، هناك واقع اخر حيث تقول البحوثات والتقارير العلمية: ان اتقان اللغات الاخرى يتطلب اتقان اللغة الام، اما الابداع باللغات الاخرى فهو شرط اساسي لاتقان اللغة الام.

وعلى سبيل المثال. فان الشاعر العظيم جبران خليل جبران عندما بدأ الكتابة بدأها بلغته الام (اللغة العربية) فكان كل خياله وافكاره وباطنه وما وراء فلسفته نابع من محيطه القروي البسيط، حيث كان من خلال سماع صوت معين او فكرة معينة او او حاسة معينة.

وعندما بدأ يكتب بالانجليزية كان لديه مخزون فكري كبير، حيث ان القارىء لكتاباته لم يشعر بالفرق ما بين كتابات جبران باللغة العربية وما بين كتاباته باللغة الانجليزية لانها حتما هي نفس الرائحة ونفس الشعور ونفس الاحساس الصادق. فهذا الشاعر الكبير الذي ابدع باللغة الانجليزية هو نفسه الذي ابدع بلغته العربية.

ويقولون اذا اردت ان تقتل شعباً فالطريقة الوحيدة هي (قتل لغته) وهذا الواقع لا تعرفه ولا تدركه الا الشعوب المتطورة والدول المتقدمة كالالمان وامريكا وروسيا وفرنسا، التي تسعى جاهدة لسن القوانين لحماية لغتها بحيث تعمل على تقديسها والعمل على الانتاج بها حيث تدفع مبالغ هائلة لتطويرها. فلا يمكن لأي امة ان تدعي الاستقلال اذا كانت تحت سيطرة الاحتلال الفكري مهما كان هذا الفكر حيث لعبت الشركات متعددة الجنسيات في نقل ثقافتها ولغاتها من خلال امتلاكها قاعدة استهلاكية حقيقة على المستوى الدولي.

ونجد ان الدول التي بدأت بالتطور والسعي لتنمية بحوثاتها لملاحقة الدول المتطورة سعت للمحافظة على لغتها واعتبرتها جوهرة ما بين يديها تحافظ عليها كلما صعدت درجة نحو سلم التطور والتقدم.

فاللغة ليست مجرد كلام يقال او يكتب بل انها تمثل مراحل معينة من مراحل حياتنا وعاطفة مرتبطة بنا وبمفردات ومصطلحات لغتنا الام، كأن نكتب او نتحدث عن الانتماء، مفهوم الحرية، ذكرى الاستقلال، الوطنية فهذه المصطلحات بالتأكيد مرتبطة بمراحل معينة من حياتنا وبعاطفتنا وبأحساسينا واتجاهاتنا ايضاً ولو قلنا هذه الكلمات او تحدثنا بها بلغة غير لغتنا فلن نشعر بنفس الاحساس والشعور والانتماء لان هذه التعابير تذكرنا باشياء مرتبطة بتاريخنا وحضارتنا وثقافتنا وجهادنا ضد الاستعمار.

❖ لغتنا العربية في خطر

ان الاستعمار الاكتروني اصبح يشكل خطورة كبيرة على اللغة الام الا وهي لغتنا العربية، بحيث اصبحت لغتنا العربية تضمحل امام هذا النوع من الاستعمار الخطير الذي يسعى الى تهميشها شيئا فشيئا واضمحلالها رويدا رويدا في معظم مؤسساتنا وجامعاتنا وبين ابنائنا وطلابنا وحتى في اعلامنا، بحيث تناسينا ان لغتنا العربية هي التي تجسد انماط التفكير والسلوك الحضاري والاخلاقي وهي اللغة الرئيسة للتخاطب والحوار، وهي التي تمثل انتماءنا لوطننا ولعروبتنا، ونجد بان الجانب الاعلامي مقصر بحق اللغة العربية بخاصة مع ظهور الاذاعات الخاصة والقنوات الفضائية، فالغاية من الكلام والمحادثة في وسائل اعلامنا هي ايصال الرسالة واقناع الناس بها، والاقناع لا يكون بالحجة والمنطق والبرهان فحسب، بل بسحر المنطق وجاذبية الكلام المرتكز على قوة اللغة ورزانتها، بخاصة ما يتضمنه النص الاذاعي والتلفزيوني.

فكيف للرسالة الاعلامية ان تكون قوية ومقنعة من دون الاستناد الى لغة عربية رصينة وقوية، وكيف يمكن للرسالة الاعلامية ان تحافظ على جمال وقوة

مضمونها اذا افتقدت اللغة العربية السليمة. فمهزلة ان تكون تسمية عناوين اغلب البرامج التلفزيونية والاذاعية في اعلامنا العربي بلغة غير عربية.

وفي هذا الاطار لا نريد التقليل من شأن اللغات الاخرى واستخدامها لان اللغات الاخرى ادوات قيّمة للاتصال والتواصل الانساني والتبادل الثقافي ولكن ان تكون على حساب لغتنا بحيث تؤدي الى تخلخل قواعدها وتفكيك فهذا عيب مشين. فما نسمعه وما نقرؤه من حروف وكلمات عربية ركيكة ومتخلخلة يجعلنا نضع اللوم على الآباء قبل الابناء وعلى المدارس قبل الجامعات، وعلى اعلامنا العربي قبل المؤسسات والذي يعتبر حلقة الاتصال والتواصل الرئيسة.

فمتى يحقق اعلامنا العربي وظيفته كاملة في الحفاظ على اللغة العربية ؟ حيث ان وسائل الاعلام تلعب دوراً كبيراً في اطار التنمية اللغوية لان اللغة حجر الاساس في العملية الاعلامية وكلما كانت سليمة في ايصال رسالتها كلما كان اعلامنا ناجحاً ورسالتنا واضحة خالية من الشوائب ومقنعة ايضاً.

فما أحوجنا في هذا الزمن الذي هبط فيه مستوى كل شيء ان نتمسك بشيء واحد ونرتقي به ألا وهو لغتنا العربية، التي باتت تتقرض شيئا فشيئا وتبعث على اليأس، حيث بات ضعفها يفسد السنتنا ويعطل افكارنا ويشل من قدراتنا الذهنية.

وقد قال ابن خلدون في اللغة العربية: "ان اللغة بغلبة اهلها وان منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الامم". فكيف لنا ان نقول عن انفسنا باننا عرب ونحن لا نحسن استخدامها بشكل سليم وصحيح؟

ان العرب لديهم سلم من الدرجات في علاقتهم مع اللغة القومية، فالبعض يتقنها والبعض يحسن القليل منها والبعض يتعثر والبعض يتلعثم بها والبعض يخجل منها ويصمت.

ولا شك بان الاعلامي يعتبر وسيطا ما بين الوسيلة الاعلامية والناس اذ يفترض به ان يُعلّم الناس ليس عن طريق القراءة فحسب، بل عن طريق الاستماع ايضا، وقد قيل في الشعراء كلمات شعرية تصف طبقات الشعراء وعلى ضوئها

صنف الاعلاميون، الشعراء فيما أرى إلى أربعة: شاعر يجري ولا يجرى معه، وشاعر يركض وسط المعمعة، وشاعر لا تستحي ان تسمعه، وشاعر لا تستحي ان تصفعه لذا فان حضارة وثقافة اي امة كانت لغتها.

ولو نظرنا للشعب الفرنسي مثلا لوجدناه يُحسن في لغته في أي من مستوياتها ، ومثله الشعب الالماني والانجليزي وشعوب اخرى، ما يدل على انه لا يوجد شعب بالعالم علاقته بلغته القومية مهتزة إلا الشعوب العربية التي هي خليط لحضارات ولغات يونانية ورومانية وتركية...الخ . .

وما نشهده اليوم من استخدام للغة العربية عبر الوسائل التكنولوجية (كالهواتف النقالة والانترنت وما يتضمنه من رسائل إلكترونية) بطريقة شوهت اللغة وحروفها ومكانتها هو قمة المهزلة. لغة حروفها عجيبة غريبة كأن نكتب مثلا كلمات عربية بحروف غير عربية.

والمشكلة اننا نحن الذين نشجع على انقراضها، فاستخدامنا لهذه الوسائل لا يعني ان نشوه لغتنا ونضعف من قيمتها ومكانتها، فقمة المهزلة تكمن في عدم قدرتنا على تكوين جملة عربية مفيدة نستطيع من خلالها ايصالها للاخرين. فلماذا نستحي بلغتنا؟ ولماذا لا نتكلم جملة عربية واحدة إلا وادخل معظمنا فيها كلمات غير عربية؟ وكأن استخدامنا لها نطقا وكتابة سيقلل من شأننا ومكانتنا، بينما استخدامنا للغات اخرى كما يعتقد الكثيرون سيرفع من شأننا.

كلنا يعلم ان اتقان اللغات الاخرى ضرورة في يومنا هذا ولكن هذا لا يعني أن نشوه استخدام لغتنا العربية بهذه الصورة . فعار علينا ن لم نتحدث بلغتنا ونتقنها ونحسن التعبير بها. وعلينا ان نعتز ونفتخر بلغتنا العربية التي تعبر عن انتمائنا لعروبتنا فهي عنوان هويتنا وثقافتنا وادابنا وفنونا، كما انها دليل وجودنا على هذه الارض.

وفي هذا الاطار هناك سؤال يطرح نفسه، كيف لنا ان نطالب بوحدتنا العربية ونحن نعجز كل العجز عن تحقيق وحدتنا اللغوية ؟ بخاصة في ظل الاستعمار الالكتروني الذي يسعى الى طمس لغتنا واذلالها. فبدلا من ان نواجه هذا الاستعمار بالمحافظة على لغتنا، للاسف نحن من نساعد على هذا الطمس وهذا الاذلال للغتنا.

❖ دور النشر في خطر

"انا خير جليس لك في كل زمان ومكان"، فانا لا ارهق بصرك، ولا صحتك، ولا تحتاج مني لصيانة دائمة، ولن اكلفك شيئا سوى غلافي وثمن اوراقي.
نعم، هذا ما ينادي به الكتاب اليوم الذي اصبح يشعر انه في خطر حقيقي في ظل الاستعمار الالكتروني، والتحولات الكبيرة التي طرأت على المجتمع وعلى الاقتصاد وما طرأ على قطاع تكنولوجيا المعلومات، حيث اصبحت اجهزة الحاسوب والادوات الالكترونية قادرة على تحقيق الاتصال والبيع المباشر.

فكما ان الصحف الورقية تتساءل عن مستقبلها امام تزايد انتشار الصحف الالكترونية فالحال نفسه في دور النشر والمكتبات التي تيقظت لمخاطر البيع والشراء الالكتروني والذي يمكن ان يؤدي الى اغلاقها او تراجع نسبة مبيعاتها بخاصة وان تكلفة الحبر والورق وتشغيل المطابع اصبحت عالية وعويصة في ظل الظروف الاقتصادية العالمية التي اثرت على مجتمعاتنا اقليماً ومحلياً، وادت بدور النشر لرفع اسعار الكتب، ما دفعها للتساؤل عن مستقبل الكتاب الورقي امام العولمة وتحدياتها.

وقد اشارت بعض التقارير لعام 2010 الى زيادة مبيعات الكتاب الالكتروني في الولايات المتحدة الامريكية، بينما واصلت مبيعات الكتاب الورقي انخفاضها.

والجدير بالذكر انه لا تتوفر في الوطن العربي دراسات او احصائيات لحجم وعدد الكتب التي تنشر سنويا، وبالتالي لا يوجد تقديرات لمدى تأثر استهلاك الكتاب الورقي.

والسؤال الذي يطرح نفسه في ظل ما نشهده من استعمار الكتروني، من المسؤول عن تراجع بيع الكتاب الورقي في الوطن العربي، الزائر ام دور النشر؟ ام المكتبات العامة نفسها؟ ام سهولة الشراء الالكتروني؟.

علينا ان ندرك ان التطورات التكنولوجية ليست وحدها السبب في تراجع مبيعات الكتاب الورقي وحسب، بل تقع المسؤولية ايضا على الجامعات والمدارس

والصحف الورقية ودور النشر والمكتبات، كما ويوضع اللوم ايضا على شعوبنا العربية عموما التي لا تقرأ. لذا علينا ان نحافظ على تراثنا الادبي وتراثنا المطبوع من خلال التشجيع على القراءة والبحث عن المعرف وحب العلم كي لا نفقد القدرة على تربية ابنائنا واجيالنا القادمة، لذا فمن الضروري على دور النشر والمكتبات العامة ان تسرع الان لمواجهة هذه المنافسة بطرق ذكية، كبناء علاقة ثقافية مع الصحف الورقية اليومية لنشر كل ما هو جديد، وان يتم التواصل بين الجامعات والمدارس ودور النشر والمكتبات بحيث تكون العلاقة تشاركية من والى، بقيام المدارس والجامعات على تحفيز الطلبة على شراء من ثلاثة الى خمسة كتب على الاقل في السنة لتشجيعهم على القراءة والتثقيف لان مفهوم العلم لم يعد علماً اكاديمياً فحسب، بل هو محصور في دائرة مغلقة فالعلم الحقيقي في التثقيف بكل جوانب الحياة.

ومن الضروري ان تسعى المدارس والجامعات الى تخصيص ساعة اجبارية في الاسبوع على الاقل لجميع الطلبة كمادة اساسية كمادة الرياضة والفن وغيرها، بحيث تسمى هذه المادة "ساعة للقراءة والتثقيف" وكما قال شاعر النيل: "انا البحر في احشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي"، واتمنى ان نعلم اجيالنا الغوص في وريقات الكتاب.

كما يجب ان تخصص دور النشر يوما في السنة لتشجيع شراء الكتب وقرائتها تحت مسميات كثيرة كمسمى: "نرفض ان ينقرض الكتاب".

❖ **مفهوم الثقافة ما بين الامس واليوم**

مع التطور التكنولوجي السريع الذي يشهده العالم في القرن الحادي والعشرين اصبحت ثقافتنا للاسف ثقافة «الانترنت» فاين ذهبت قيمة الكتاب؟ لا شك اننا لا نستطيع الاستغناء عن تكنولوجيا الاتصال لكن قراءة الكتب لها ميزة خاصة فهي تفيدنا في القدرة على التصفح، وتمنحنا القدرة على تطوير لغتنا العربية التي نعتز بها ، وتمنحنا القدرة على تحريك العقل والذهن والمشاعر بعكس الانترنت الذي يحرك عقولنا بشكل آلي. وليس المهم ان نقرأ الكتب لكن الاهم ان نعرف

ماذا نقرأ فالذين يقرأون الكتب والمجلات التي لا قيمة لها هم لا يقتلون وقتهم فقط بل يقتلون انفسهم ايضا فلنضيء اذهاننا بالمفيد لنستفيد. فاذا كانت المعرفة كمًا فان الثقافة كيف، ولا تصبح المعرفة ثقافة الا بعد ان تتكيف مع استعدادات الشخص وظروف البيئة المحيطة به. والثقافة تأتي من خلال انتاجنا اليومي، تأتي من خلال تعمقنا في هذه الحياة، تأتي من خلال علاقاتنا وتجاربنا مع الاخرين لان الحياة سلسلة من التجارب التي لا تنتهي والتجربة هي افضل معلم للانسان.

ونلاحظ ان النظرة الى الفرد المثقف لم تعد كما كانت في الماضي ، ففي الماضي مثلا كانت النظرة للفرد الذي لا يعرف تفاصيل الحرب العالمية الاولى وتواريخ المعارك التي حدثت واسماء الشعراء والمعلقات السبع وما الى ذلك من مواضيع واحداث هي نظرة سلبية وبذلك يعتبر شخصا يفتقر الى الثقافة.

ومفهوم الثقافة اليوم هو ان نعرف شيئا من كل شيء. ويعتبر تصفحنا للصحف اليومية بحد ذاته ثقافة، واعمالنا التي نقوم بها في العمل ونستفيد منها، وتبادل المعلومات مع الاخرين هي ثقافة. فهي اشبه بسطح البحر الذي لا نستطيع ان نرى على سطحه سوى السفن والمراكب ولكن كلما تعمقنا الى اعماقه وجدنا ما هو الافضل والمفيد.

ولقد اعجبني ما قاله العقاد: "اني احب القراءة لان حياة واحدة لا تكفيني فمهما اكلنا فلن نأكل الا بمعدة واحدة، ومهما لبسنا فلن نلبس باكثر من جسد واحد، لكنه بزاد الفكر والشعور والخيال يستطيع المرء ان يجمع الحيوات في عمر واحد".

❖ الاستهلاك ما بين السيطرة والعبودية

تمهلوا، فلا نقصد هنا استهلاكنا للسلع التموينية ولا استهلاكنا للطاقة او المياه، اذ لم يعُد مفهوم الاستهلاك مفهوما تقليديا مقتصرا على السلع والبضائع او الطاقة والمياه وغيرها، بل اتسع هذا المفهوم ليتحول لا شعوريا الى ما يُعرف بمفهوم "الاستهلاك الاتصالي".

وعلى الرغم من ان النزعة الاستكشافية هي نزعة طبيعية في الانسان الذي يتسم بكونه كائنا فضوليا الا ان استخدامنا للانترنت لاجل الفضول والتسلية عموما واستخدامنا لبعض المواقع الالكترونية خاصة هو بحد ذاته استهلاك لأوقاتنا.

وما نشاهده عبر القنوات الفضائية لكل ما يأتينا من الغرب من أفلام وبرامج، ومتابعتنا لكل حلقة من حلقات المسلسلات التركية وعدم تفويتنا لاي لقطة منها هو استهلاك لثقافتنا ولاوقاتنا ولافكارنا ولعاداتنا ولتقاليدنا واستهلاك لعلاقاتنا الاجتماعية وتواصلنا الاجتماعي مع الآخرين.

ولا شك ان القرن الحادي والعشرين شهد ثورة اتصالية متشعبة وسريعة ساعدت على استثارة فضول جميع البشر واخبارهم وتثقيفهم ايضا، ولكن على اية حال فان الاستهلاك من حيث جوانبه الاتصالية ترك آثاره البعيدة في الكيان الاقتصادي والاجتماعي وفي التقاليد والآداب العامة وفي المعايير السلوكية المختلفة على المجتمعات كافة وان اختلف هذا التأثير الاستهلاكي من مجتمع لآخر، ولا يمتد تأثيره البعيد على أذواقنا وعواطفنا وحسب، بل وحتى انماط تفكيرنا وعلاقتنا الاجتماعية ونظرتنا الى الحياة، وهذا التأثير الذي يمارسه الاستهلاك كوسيلة اتصالية من الصعب تحديده.

ولا شك ان هناك فجوة عميقة وكبيرة بين دول الشمال الغنية ودول الجنوب الفقيرة، لذا فان التسلط والهيمنة هي العلاقة التي تحكم المنتج والمستهلك وبالتالي تفرض الدول الغنية ومواردها واحكامها وادراكاتها وثقافاتها على المنظومات الثقافية في دول العالم الثالث.

ومن هنا استطيع القول: إن اهم المخاطر والتحديات التي تواجه الثقافة العربية في وقتنا الحالي هي المخاطر الناجمة عن شيوع النموذج الاستهلاكي في الوطن العربي من اقراص وفيديوكليب وافلام وألبسة ومجلات وحتى بعض المواقع الالكترونية وغيرها، حيث ان هذا النموذج الاستهلاكي يسعى الى خلخلة وتمزيق بنى الثقافة العربية بما تحمله من قيم وانماط وقواعد عن ذاتية ثقافتنا

وخصوصيتها، حيث نجد ان النموذج المصنوع المقدم قد اصبح هو البديل المُعاش وهذا نتيجة سيادة المنتج الشمالي (دول الشمال) المسيطر على عبودية المستهلك الجنوبي (دول الجنوب) في ظل ترد واضح للوضع السياسي والاقتصادي المُعاش في الوطن العربي.

❖ **حقوق المرأة في ظل العصر الشيطاني**

ليست صورة المرأة العربية وحدها المشوهة في الدول الغربية، وانما صورة الانسان العربي رجلا كان او امرأة.

يافطات كثيرة كُتب عليها "حقوق المرأة" نراها وما زلنا في الشارع العربي وعبر وسائل الاعلام العربية وفي الكثير من المؤتمرات والندوات والجلسات الخاصة التي تتحدث وتطالب بحقوق المرأة". الا تعتقدون ان المرأة العربية تطالب بحقوقها وبتحررها اكثر من اللازم وكأنه الشاغل الوحيد في قضايا العالم؟ فماذا تريدين أيتها المرأة ولما تظلمين الرجل دائما؟

ان «آنديرا غاندي» رئيسة وزراء الهند سابقا على الرغم من تحررها ومناداتها لحرية المرأة الا انها بقيت ترتدي «الساري» فالمهم هو جوهر التحرر لا قشوره.

وفي هذا الاطار لا بد من التطرق لقضية الرجل ليس تحيزا له وانما تحيز للواقع المؤلم الذي يعيشه كلا الطرفين رجل وامرأة على حد سواء. فالرجل العربي عملاق ممزق من الداخل يعيش فترة تناقض رهيبة مع ذاته، والرجل في جميع الاحوال لا يستطيع الاستغناء عن المرأة ولا يستطيع ان يُدبر نفسه في حال المرض او في حالة ان المرأة تركت له الاطفال فهو اثناء عزلته ووحدته هو بحاجة للمرأة.

والرجل مسؤول عن تجهيز البيت والاثاث وتوفير المبالغ للزواج والاجور، والمصاريف والخدمات، والبحث عن الوظيفة خصوصا في هذه الايام الصعبة. اما المرأة بوجه عام فهي ليست بحاجة لان تكون مسؤولة فكل شيء يأتيها على الجاهز.

ومعظم نساء اليوم لديهن شغالة اذ اصبحت شيئاً من اساسيات المنزل. والمرأة اليوم بيديها قرار الطلاق "الخلع". كما لها الحق والفرصة ان تتعرف على

الرجل وتتفاهم معه قبل الارتباط بخاصة مع ظهور شبكات الواصل الاجتماعي، ففي الماضي كانت الفتاة او المرأة شيئاً شحيحاً ونادراً اذ لم تكن بحاجة الى عمليات تجميل وترويج لبضاعتها، او بذل مجهود كبير لاجتذاب الرجل لانها كانت رائجة والرجل كان مجذوباً من تلقاء نفسه. اما اليوم ومع ظهور المواقع الالكترونية والفضائيات اصبحت المرأة مستسلمة وضعيفة أمام الترويج والاعلان التي تدفعها لتغيير شكلها ومظهرها الخارجي.

ولا ننسى انه ومع ظهور الاستعمار الالكتروني فان هناك الكثير منهن دمرن بيوتا، وحطمن قلوبا وخربن اجيالا ، وضيعن اطفالا. فالمرأة المنهمكة عشرين عاما بتربية ابنائها، نجد ان امرأة اخرى ربما تضيعها خلال عشرين ثانية.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الاطار لماذا لا يطالب مجتمعنا العربي بحقوق الطفل اولا قبل ان يطالب بحقوق المرأة ؟ لماذا لا يطالب بحقوق الرجل قبل ان يطالب بحقوق المرأة ؟

نعم، الرجل الذي يدافع عن حقوق ارضه ووطنه ويقتل ويموت ويستشهد من اجل الوطن، فهل سمعنا في ايامنا هذه ان امرأة عربية استشهدت لاجل الوطن؟ هل سمعنا ان فتاة عربية جُندت كفتيات الغرب لتنزل الى ارض المعركة ؟ هل سمعنا ا ن فتاة او امرأة عربية استشهدت وماتت لاجل استرجاع الوطن ؟ فلا تنسي ايتها المرأة ان الرجل الذي تظلمينه هو زوجك وشقيقك وابنك وابن عمك وابن خالك وقريبك وصديقك.

ولا شك ان المرأة العربية كانت ولا زالت لها مكانتها الرفيعة في بلداننا العربية ولها احترامها وتقديرها. فلماذا لا نطالب جميعنا بالعيش الكريم والحياة الرغيدة والامن والاستقرار والحرية ؟ لماذا لا نطالب بحقوق الانسان ؟ فالمجتمع ليس مقتصرا على المرأة لان المجتمع يعني امرأة ورجل وكلاهما مكمل للآخر، بخاصة في هذا الزمن الذي نعيش حيث ان الاستعمار الالكتروني يستهدف الرجل والمرأة على حد سواء.



وقد كثُر الحديث عن «العنف الاسري» وعن «حالات الاغتصاب» ضد المرأة، فهل اساليب العنف مقتصرة فقط على المرأة ؟ فإذا كان بعض الرجال وهي فئة قليلة في مجتمعنا، يستخدمون العنف ويسيؤون التعامل مع المرأة فان الصهيونية والغرب استخدموا ولا يزالوا يستخدمون جميع اساليب العنف في اعضاء بلادنا العربية ويغتصبون اعماق جسد امتنا العربية. فيجب علينا ان نطالب بحقوق الانسان العربي رجل وامرأة وطفل بخاصة في ظل الاستعمار الالكتروني الذي يجتاحنا. واذا كانت هناك فئات كبيرة في مجتمعاتنا العربية تعتقد بان الرجل ظلم المرأة، فليس وحده من ظلمها وانما ايضا الاستعمار، والارهاب، والتخلف، والطبيعة فهذه الامور كلها لا تستهدف المرأة وحسب، وانما تستهدفنا جميعا بحيث ظلمت المرأة والرجل معا.

فما نشهده في مجتمع اليوم من تحرر واضح لاسلوب الفتيات في اختيار الثياب والمظهر وطريقة الحديث والعلاقات واللجوء لعمليات التجميل بكل اشكالها، ما هو الا ترجمة طبيعية لايقاع العصر السريع المتنوع ، فمتغيرات هذا الزمن تكاد تسقط رقابة الامس المتشددة بالاضافة للموجة الجديدة التي بدأت تجتاح جيل فتيات اليوم وهي موجة "الاسترجال".

ولقد اصبح الصراع واضحاً بين الجديد والقديم، فالغزو الثقافي الآتي من الغرب له دور كبير في اعادة المتغيرات في مظهر فتيات اليوم، وهناك ايضا فهم خاطىء لتحرر المرأة وحريتها، فالتحرر لا يعني ان تنسى طبيعتها كأنثى لان قيمتها الاجتماعية تنبع من تصرفاتها المنضبطة وعدم تخليها عن حيائها. فمسألة التحرر تعود لعدة عوامل كثيرة منها مدى استعداد الفتاة وتهيئتها وشخصيتها والظروف المحيطة بها، والقيّم التي تتبناها ومدى ارتباطها بأسرتها ولا سيّما (امها).

وفي ظل الاستعمار الجديد الذي نقوم بتقليده بشكل اعمى ومن دون ادراك لابعاد الامور، المطلوب ان تظل الانثى انثى ، فالقضية لا ان تتحول المرأة الى رجل بل ان تتحول الى انسانة كاملة الانوثة بمظهرها وجوهرها اي عدم تنكرها للطبيعة.

ومن الضروري كي نكون مجتمعا متكاملا ان تطالب المرأة بحقوق الرجل وان يطالب الرجل بحقوق المرأة ايضاً حتى نحقق التوازن والعدالة ليس في مجتمعنا فقط وانما في الدول العربية جميعها. فحواء ليست وحدها التي أنزلت من جنة النعيم الى الأرض القاحلة، بل هي وآدم ليتعبوا ويشقوا ويقاسوا ويعيشوا في هذه الحياة بحلوها ومرها. ولا تنسي أيتها المرأة ان اجمل ما فيك هو اختلافك عن الرجل.

وفي هذا الاطار من الضروري ان تكون النظرة للرجل نظرة تكاملية وليست نظرة تماثلية. وعلينا ان ندافع عن صورتنا العربية وان نحاول جاهدين ابرازها بمجتمع متكامل بالقيم والمبادئ والاخلاق بخاصة في ظل الاستعمار الجديد الذي اجتاح عقولنا ومنازلنا وسيطر على افكارنا وسلوكياتنا وانماط حياتنا اليومية.

المبحث الثاني

(الاستعمار الالكتروني والاجهزة الذكية)

لا شك ان القرن العشرين كان قد شهد تطورا تكنولوجيا كبيرا ، حيث ظهرت بداية التسعينيات اجهزة الخلويات التي تقوم على ارسال المكالمات واستقبالها ، اضافة الى كتابتها وارسالها واستقبالها ايضا. بينما شهد عصرنا الحالي تتطورا متسارعا وملموساً في الاجهزة الخلوية من حيث الشكل والنوع والبرامج التي تحتويها.

وليس من من المستغرب أن تنخفض بشكل كبير نسبة استعمال الهواتف التقليدية التي اقتصرت على تقنية الاتصال والرسائل النصية. واستبدالها بالهواتف الذكية التي تتطور باستمرار مثل سامسونج، نوكيا ، اي فون، وبلاك بيري، وغيرها .

ولا شك بان الاجهزة الذكية والانترنت وشبكات التواصل الاجتماعية واهمها (الفيسبوك) وما نجم عنها من مواقع تجعلنا نستسلم امامها حيث عملت على تقييد الكثيرين وربما وان جاز التعبير قيود الكترونية شيطانية .

فما نشهده اليوم من تطور تكنولوجي هائل وسرعة في تطور اجهزة الاتصال يجعلنا نتساءل الي اين وصلنا؟ والى اي مدى استفدنا من هذا التطور التكنولوجي؟ وهل اثر علينا بشكل سلبي اكثر منه ايجابي؟ وما هو مستقبل اجيالنا والاجيال المستقبلية في ظل هذا العصر الشيطاني ؟

هذه الاسئلة التي يعتريها الغموض سوف نحاول الاجابة عليها من خلال هذا الجزء من الكتاب ونبدأ اولاً بالانترنت من ثم اجهزة الموبايلات الحديثة والتي تعتبر من احد ادوات الاستعمار الالكتروني، والتي اطلق عليها "الاجهزة الذكية"، وربما سميت بـ "الذكية" لانها استطاعت ان تخدر عقولنا وتشل حركتنا وتحد من تطورنا نحو الافضل..



❖ **الهواتف الخلوية**

ادت المنافسة القوية على الساحة المحلية والعالمية الى نمو وتسارع في قطاع الهاتف الخلوي والى تدني في الاسعار مع تحسينات كبرى في نوعية الاداء فتحول الهاتف الخلوي من دوره الاساسي كخدمة باهظة الثمن يستفيد منها رجال الاعمال وحدهم الى وسيلة اتصالية عادية متداولة كسائر الاجهزة الاخرى.

وتوفر البطاقات المدفوعة الثمن مسبقا عدة خدمات منها: الاشتراك المعلوماتي، ويعني الاشتراك في تقديم الخدمات البنكية ومعرفة الرصيد والراتب والخصم الشهري، بالاضافة لتقديم معلومات عن الحالة الجوية، والاسهم، والابراج، واخر الاخبار، وخدمة الرسائل القصيرة، حيث تستخدم في المجالات الاعلامية من خلال تقديم برامج اذاعية او تلفزيونية كبرامج المسابقات والبرامج الترفيهية المقدمة التي تتواصل مع المستمعين والمشاهدين عن طريق الرسائل القصيرة.

وينفرد الهاتف الخلوي بخصائص وخدمات وايجابيات، لا يستطيع الهاتف العادي ان يوفرها. ولا شك ان الهاتف الخلوي هو سلاح ذو حدين، فباستطاعتنا ان نستخدمه بشكل جيد وباستطاعتنا ايضا ان نسيء استخدامه، وهذا يعود للتربية الجيدة والعادات والتقاليد التي تربى عليها الشخص، كما ان بيئة الشخص ومحيطه يلعبان دوراً هاماً في كيفية استخدامه بطريقة جيدة ومفيدة.

ولا ننكر ان للاجهزة النقالة ايجابيات عدة، الا ان سلبياتها وخطورتها واضرارها ربما تفوق حسناتها اذا لم نجيد استخدامها بطريقة صحيحة وسليمة ومن هذه السلبيات:-

1- سرعة العطب والعطالة
2- المبالغ العالية المترتبة على الفاتورة الشهرية
3- غلاء فاتورة التصليح
4- سوء الاستخدام: حيث يقوم البعض باستخدامه للمباهاة وسد الشعور بالنقص.

5- يتيح الفرصة للمراهقين وحتى في مختلف الاعمار تبادل الصور الجنسية والرسائل الفاضحة ما يسبب فسادا اخلاقيا.

6- يعمل على تشتت في الافكار خاصة لدى المراهقين، وعدم التركيز في الواجبات المدرسية.

7- استخدامه كسلاح ضد بعض الشباب، واستخدامه في تصوير الفتيات في الاماكن العامة، وبذلك يكون قد عمل على الغاء الخصوصية لدى الافراد.

8- يمكن للهاتف الخلوي ان يستخدم كأداة تسجيل لاصوات اشخاص ما، ما يؤدي الى خلق مشاكل مع الاخرين، بخاصة اذا استخدم مصيدة لهم .

9- اضاعة الوقت: يمكن للهاتف النقال ان يعمل على اضاعة الوقت الثمين لدى الشخص من خلال استخدامه في ارسال الرسائل الترفيهية، والتحدث من دون أي ضرورة.

10 - بحاجة الى شحن: فاذا انتهى شحن الهاتف النقال لا يمكننا الاتصال والتواصل.

11- الحوادث الكثيرة والمتكررة نتيجة استخدام الهاتف النقال اثناء قيادة السيارات.

12- الازعاج: ان صوت رنين الهاتف النقال قد يسبب ازعاجا وارباكا، بخاصة في المحاضرات والمؤتمرات التي تحتاج الى الهدوء والتركيز.

13- التأثيرات الصحية على الانسان: ان التعرض المستمر للاشعاعات الكهرومغناطيسية الموجودة في الهاتف النقال يمكنه ان يسبب العقم للنساء والرجال.

14- استخدامه المفرط يسبب امراض سرطانية في الدماغ، حيث اثبتت دراسات عدة ان استخدام سماعات الاذن لها تأثيرات سلبية على قلب الانسان ودماغه.



15- ان الاشعاعات الكهرومغناطيسية الصادرة عن الهاتف النقال تصيب خلايا الجسم ما يؤدي الى ضعف الخلايا والشعور بالارق والخمول والتوترات العصبية.

❖ الاجهزة الذكية:

سميت تلك الاجهزة "بالذكية" كونها تحتوي "الواتس آب، و"الفايبر"، و"التانجو"، كما يمكن تنزيل برامج اخرى، ويمكن للمستخدم استخدام جوجل والفيس بوك والايميل والخرائط والقاموس وادوات البحث المختلفة، والالعاب وغيرها من خلال تنزيل تلك البرامج الموجودة في الاجهزة

ودعونا بداية بان نقوم بتعريف بعض التقنيات الاكثر استخداما في تلك الاجهزة والتي تعتبر من اشكال الاعلام الجديد وذلك على النحو الآتي:-

1- الواتسآب:

يمكن من خلال هذه التقنية ارسال صور وارسال اشكال متحركة وفيديوهات ومقاطع صوتية مجاناً اذا توفرت شبكة الانترنت.

وقد أعلن المدير التنفيذي لتطبيق "واتسآب" جان كوم، خلال المؤتمر العالمي للهواتف المقام في مدينة برشلونة في إسبانيا، أن شركته تفكر في تقديم خدمة للمكالمات الهاتفية من ضمن التطبيق خلال الربع الثاني من العام الحالي، وعلى هواتف الآيفون والأندرويد. وأشار "كوم" إلى أنه عاش مع أسرته في روسيا، وأن خطوط الهاتف لم تكن متوفرة أمام الجميع لكن أسرته كانت تملك خطاً، ليصبح ملكية مشتركة بين سكان المجمع الذي قطن فيه وعائلته وأن الجيران كانوا يدقون باب منزلهم لاستعمال الهاتف والتواصل مع أحبائهم وعائلاتهم، وأضاف "كوم" قائلاً: "لهذا نرغب بإضافة المكالمات الصوتية للتطبيق، لكي يتمكن الناس من الحفاظ على تواصلهم مع أصدقائهم وأحبائهم في أي مكان حول العالم. ويأتي هذا بعد عدة أيام من بيع التطبيق مقابل 19 مليار دولار لشركة موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، وأكد "كوم" أن التطبيق لن يصبح بمقابل مادي بعد

حصول فيسبوك عليه، وأن فريقه المكون من 55 موظفاً حريص على التفرد بأفكارهم وان تميز الشركة وقابلتها للتغير كان عاملاً مهماً في صمودها في عالم القطاع التكنولوجي المتقلب على الدوام[1].

2- الفايبر:

هذه التقنية تتيح للمستخدم اجراء مكالمة صوتية وارسال صور وفيديوهات ايضا مجاناً بشرط توفر شبكة الانترنت.

3- التانجو:

تتيح هذه التقنية اجراء مكالمة بالصوت والمشاهدة ايضا ويمكن ان تكون مكالمة دولية او محلية او اقليمة، اضافة الى امكانية ارسال نصوص كتابية والصور ايضاً اذا توفرت الانترنت.

4- الماك جاك:

تتيح هذه الخدمة اجراء مكالمات دولية للولايات المتحدة الامريكية فقط، إما عن طريق الخط الارض الامريكي او الموبايل.

5- السكايب :

يمكن لمستخدمي هذا البرنامج الاتصال مع الطرف الاخر في اي مكان في العالم عن طريق الاتصال الصوتي (الهاتف) عبر الانترنت بشكل مجاني، اما اذا كان الاتصال بخطوط الهاتف الثابتة او النقالة فتكون الكلفة بسيطة جداً.

ويتيح هذا البرنامج الاتصال مع الاخر ومشاهدته بالصوت والصورة والكتابة ايضا في اي وقت واي مكان اذا توفرت شبكة الانترنت مع الطرف المراد الاتصال به.

وربما يتساءل الكثيرون لماذا سميت الاجهزة الذكية بهذا الاسم ؟ والسبب هو ان الهواتف ذكية تتيح للمستخدم امور عدة على النحو الآتي:-

- حفظ جهات الاتصال.
- ارسال واستقبال الرسائل الالكترونية.

- متابعة المواعيد وتفعيل المنبه.
- انشاء الفايلات.
- انشاء قائمة المواعيد.
- استخدام ترفيهي (الالعاب).
- الحصول على المعلومات (حالة الطقس، اسعار الذهب، حركة الطائرات، الاسهم، اخبار محلية واقليمية ودولية، اخبار منوعة).
- ارسال واستقبال البريد الالكتروني عبر الايمل.
- التقاط الصور ويمكن استخدام عملية المونتاج بالصور والتحكم بالصورة.
- نقل الملفات واستقبالها عبر البلوتوث والواتس آب والفايير .
- تسجيل مقاطع فيديو.
- تسيجل مقاطع صوتية.
- اجراء مكالمات بالصوت والصورة من خلال برنامج تانجو.
- اجراء مكالمات بالصوت من خلال برنامج الفايبر.
- يمكن استخدام (الماك ماجيك) للمكالمات الدولية (الولايات المتحدة الامريكية).
- الاستماع الى الاغاني.
- الاستماع الى الراديو.
- تحديد الموقع.
- يمكن تنزيل برنامج لمعرفة الشخص المتصل وعنوانه ايضا.
- مشاهدة التلفزيون.
- يمكن استخدام البريد الالكتروني.
- يمكن استخدام الفيسبوك .
- يمكن استخدام جوجل.
- خدمة (جي بي اس) معرفة الموقع والاتجاهات.

ولا ننكر ان هناك دوافع داخلية عند الاشخاص تجعلهم يستخدمونه بشكل مستمر من دون الادراك لخطورته من الجانب الصحي والاخلاقي والنفسي وغيرها من الامور الخطرة. وهذه الدوافع تتمثل بالهروب اما من الفراغ القاتل والشعور بالوحدة، او حب الظهور، او تعزيز الوضع الاجتماعي، او لتعزيز الثقة بالنفس، او للشعور بالامان والاطمئنان، او الاستقلالية الذاتية، او ازالة الضغوطات الاجتماعية من خلال التواصل عبر الهاتف النقال، اضافة الى تعزيز الوضع الاجتماعي، ومنح الشعور الثقة بالنفس.

وعلى الرغم من هذه الاجهزة لها حسنات كثيرة الا ان سلبياتها وسوء استخدامها يعتبر مضرة بالصحة خاصة تاثيرها السلبي على خلايا المخ، حيث تشع من شاشاتها اشعاعات مسرطنة، اضافة الى ان تلك الاجهزة بحاجة الى شحن مستمر، كما انها من السهل ان تتعرض الى مواقع ضارة وفيروسات خبيثة.

وهناك نقطة هامة وهي ان تلك الاجهزة لو حاول البعض بيعها فلا يمكن ازالة الملفات الموجودة بداخلها لان تلك الملفات لا يتم تخزينها على الذاكرة الموجودة في الجهاز وحسب، بل على ذاكرة الجهاز ايضاً. وهناك الكثيرون الذين يفضلون شراء اجهزة مستخدمة خاصة الاجهزة المستخدمة من قبل الفتيات حيث يقومون بتنزيل برنامج قادر على استرجاع كل ما هو موجود داخل الاجهزة المباعة من صور وفيديوهات ورسائل وغيرها، اما لتهديد الفتاة بالصور والرسائل واما من باب الفضولية.

ويمكن للشخص المستخدم ان يتعرض لسرقة جهازه، وهنا لا يمكن اخفاء ما تم تخزينه على الجهاز الا في حالات معينة كأن يستخدم (رقم سري) معين للمحافظة على عدم فتح جهازه في حالة تعرضه للسرقة وابلاغ الجهات المعنية بذلك.

"وقد اثبتت دراسة امريكية حديثة أن قراءة الرسائل وتصفح الإنترنت على الهواتف الذكية يؤدي إلى إصابة العينين بالإجهاد، وذلك لأن الشخص يقرب الجهاز من عينيه لمسافة أقرب من تلك التي يستخدمها الشخص لقراءة كتاب أو جريدة.

واوضحت الدراسة أن قرب المسافة بالإضافة لصغر حجم بنط الكتابة يجهد العين أكثر خاصة للأشخاص الذين يرتدون بالفعل نظارات طبية أو عدسات لاصقة؛ لأنه عند تقريب الجوال من العينين يكون على العين أن تجتهد أكثر لتركز على الكلمات المطبوعة.

وبحسب الدراسة، فإن إجهاد العين يؤدي إلى الإصابة باعراض الصداع وضعف الرؤية، كما أن قراءة رسائل وتصفح مواقع على الشبكة العنكبوتية من خلال الجوال الذكي يمكن أن يؤدي أيضًا لجفاف العين، والشعور بعدم الراحة، وضبابية الرؤية نتيجة تقريب شاشة الجوال للعينين لفترات طويلة. وتنصح الدراسة مدمني هذه الهواتف الذكية بتكبير حجم بنط الكتابة على الجهاز للتخفيف من إجهاد العينين، مع مراعاة عدم استعمالها لفترات طويلة"[2].

ولا شك بان اجيال اليوم اعتمدت على الاجهزة الذكية حتى ان هذه الاجهزة اصبح يعتمد عليها طلاب المدارس بخاصة في الدول العربية في تقرير مصيرهم بالنجاح او الفشل اثناء تقديمهم الامتحانات بخاصة الامتحانات النهائية التي تقرر مصيرهم في الحياة، وبدلا من ان يفكروا بالاجتهاد الذاتي للتحقيق النجاح اصبح اغلبهم يبحثون عن المنازل والمحلات التي تمتلك شبكة الانترنت من ثم محاولة معرفة الرقم السري كي يتم الشبك فيما بينهم وبين الاجهزة في قاعات الامتحان باستخدام "الواتساب". وهناك من حاول البحث عن طرق جديدة كاستخدام خطوط وارقام دولية مختلفة والويرليس ايضا.

وفي خبر محلي نشر في جريدة الدستور الاردنية الصادر بتاريخ 19 كانون الثاني 2014 "انه تم حرمان ثلاثة طلاب في محافظة مادبا (الاردن) من دورة ومبحث بسبب ضبط اوراق تتعلق بالامتحان بحوزتهم داخل القاعات.

وفي خبر متصل، فقد تمكن اشخاص في الرمثا من التشويش على اجهزة تشويش وزارة التربية التي فرضتها على قاعات الثانوية العامة في الرمثا ومختلف المناطق باستخدام اجهزة وتكنولوجيا حديثة، حيث استطاعوا خرق ما اسموه منع

استخدام الغش عبر "الواتساب" وخلافه. وذهبوا الى استخدام خطوط وارقام دولية مختلفة وكذلك استخدام "الويرلس" عبر الانترنت المنزلي من خلال منازل قريبة للمدارس وعن طريق السيارات. ووصل الامر الى استخدام القلابات والجرافات والتريلات حيث تم وضع اجهزة "الويرلس" المنزلية والشركات على الاليات وبدأت باستخدامها "للواتساب"، وسجل الرمثاوية نجاحاً بذلك"[3].

" وقد تبين ان الامارات العربية المتحدة من الدول التي تمتاز بأعلى نسبة استخدام الهواتف الذكية. وبفضل انتشار هذه الهواتف، فإن معظم المستخدمين يميلون إلى استخدام البيانات الرقمية في تواصلهم اليومي، وبذلك يزداد الطلب على البيانات الرقمية من جميع المستخدمين في الأوساط المختلفة.

ووفقاً لتقرير التنافسية العالمية لمنتدى الاقتصاد العالمي لعام 2013 يحتل مؤشر التنافسية الدولية للامارات المرتبة (التاسعة عشرة)، وقد ارتفع خمس مراتب خلال سنة واحدة، ويعود الفضل في ذلك الى جهود الحكومة الاماراتية في تسهيل اجراءات الاعمال عن طريق الهيئات الالكترونية"[4].

اما المستشار في الطب النفسي الدكتور جمال الطويرقي فقال: "إن الأجهزة أثرت على إنتاج الأفراد وزادت من البطالة، والجرائم الإلكترونية، حيث أثبتت دراسة أن إنتاج المواطن السعودي في عمله لا يتجاوز الساعة الواحدة في اليوم، بسبب الاستخدام المفرط للأجهزة الذكية، مضيفاً أن هناك سلبيات أخرى للأجهزة تؤثر على المستخدم ومن حوله، حيث ن انشغال كثيرين بها خلال قيادة السيارة أدى إلى كثير من الحوادث المرورية، مطالباً بضرورة مراقبة أولياء الأمور لأبنائهم، وتحديد الأوقات التي يستخدمون فيها الأجهزة، على أن يكون ذلك بشكل مقنن. كما يجب أن يتم تطبيق عقوبة على مستخدمي الأجهزة خلال قيادة السيارة"[5].

كما حذرت دراسة بريطانية حديثة نُشرت في المجلة الطبية البريطانية "ذي لانست" من خطورة العالم الرقمي وتأثيره على الجيل الجديد، مشيرة إلى أنه سيجعل الفرد نصف انسان، ونصف جهاز إلكتروني. واستندت الدراسة إلى عدد من

النظريات متضمنة التغيرات الديموغرافية، وجدت أن نسبة المتزوجين أقل من العازبين. وتشير أصابع الاتهام إلى الركود الاقتصادي الذي اجتاح العالم منذ 2008.

ووفقاً لأحد القائمين على الدراسة البروفيسورة (كاي ويلينجز) فإن نتائج المسح أثبت أن زيادة نسبة البطالة أثرت سلباً على الشباب لعدم قدرتهم على الزواج، وبالتالي الاستمتاع بالحياة الزوجية والعلاقة الحميمة، ما أدى بدوره إلى نظرة الشاب لنفسه نظرة دونية والشعور بالإحباط والاكتئاب. كما أن هناك سبباً آخر يمكن أن نلقي عليه اللوم- حسب الباحثة- وهو انهيار مصرف "ليمان براذرز" الذي أشعل شرارة الأزمة الاقتصادية العالمية، "فبسبب الأزمة الاقتصادية صار لدينا أزمة في العلاقة الحميمة. ولكن المسألة الأكثر إثارة هو تنامي التداخل والاندماج بين المكتب والمنزل واقتحام أجهزة الكمبيوتر والهواتف الذكية غرف النوم. ويعد الأثر الأكثر وضوحاً ببساطة هو أن الأشخاص يدأبون على فحص رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بهم في منتصف الليل، وبالتالي لا يتبقى لديهم سوى القليل من الوقت لفعل أي شيء آخر.

وقد أصبحت الهواتف الذكية جزءاً لا يتجزأ من حياتنا بل إنها تشمل الآن مناحي أخرى غير المعهود والمخطط لها، ووفقاً لمسح أمريكي حديث فإن واحداً من كل 10 أمريكيين يستخدمون هواتفهم "آي فون" و"بلاك بيري" أثناء ممارسة العلاقة الحميمة، وهذا السلوك يتضاعف بين الشباب"[6].

ونجد ان معرض الالكترونيات الاستهلاكية (سي اي اس) لعام 2014 جعل من الاجهزة الذكية اجهزة تشخيص طبي كتلك التي تظهر في افلام الخيال العلمي، او ان تحوي كاميرات رؤية حرارية او حتى جهاز صعق كهربائي. حيث طورت شركة "يلو جاكيت" جهازا يقوم بتحويل هاتفك المحمول إلى صاعق كهربائي، حيث يعمل جهاز "الدفاع عن النفس" هذا عن طريق تجميع 650 ألف فولت تكفي لاحداث سعة قوية في جسد مستقبلها. الا ان هذا النوع من الاجهزة ممنوع في بعض الدول كبريطانيا، وربما يؤدي بحاملها الى القاء القبض عليه.

اما شركة سكانادو، وهي شركة ناشئة يقع مقرها في ولاية كاليفورنيا، فقد نجحت بالفعل في اجتذاب الأنظار إليها حتى قبل إطلاق منتجها الأول.

وتعمل هذه الشركة على تطوير جهاز مسح ضوئي طبي يضم عددا كبيرا من حساسات تعرف باسم "سكاوت"، والتي يقوم المستخدم بتوجيهها نحو رأسه ليتمكن من فحص إشاراته الحيوية.

"ومن المنتظر لهذا الجهاز أن يتيح قراءات لمعدلات ضربات القلب وفحص الجلد ودرجات الحرارة المركزية داخل الجسم، بالإضافة إلى قياس مستوى التنفس ومعدلات الأوكسجين في الدم.

وتنضم تلك الابتكارات إلى قائمة متنامية من الأجهزة التي تتيح قدرات إضافية إلى أجهزة المحمول الموجودة حاليا، وينتظر أن تعرض للمستهلكين خلال هذا العام"[7].

❖ **مخاطر الاجهزة الذكية على الاطفال**

لا نستطيع ان ننكر ان للاجهزة الذكية تأثيرات سلبية كبيرة على الاطفال من حيث الصحة، والحالة الاجتماعية، وتكوين الشخصية وغيرها من الامور الخطيرة التي لا ندرك ابعادها وتأثيراتها المستقبلية السلبية على اطفال دول العالم الثالث وبخاصة الوطن العربي، وهذه المخاطر على النحو الآتي:-

1- العزلة الاجتماعية:

لقد سبب الادمان المستمر على التكنولوجيا بمختلف اشكالها ومسمياتها عزلة اجتماعية بخاصة عند الاطفال ما جعلهم يشعرون بالوحدة والفراغ الكبير.

وفي دراسة بريطانية تقول: "إن سبعة من عشرة أطفال صغار تتراوح أعمارهم بين عامين وخمسة أعوام يمارسون الألعاب الإلكترونية على الإنترنت في ارتياح ظاهر، إلا أن اثنين فقط من كل عشرة يستطيعان السباحة أو لبس ملابسهم بلا مساعدة، ونصف الأطفال في سن ما بين عامين إلى خمسة أعوام يستطيعون

إجراء مكالمات هاتفية عبر الهاتف الجوال، ويعرف 73٪ استخدام الحاسوب، في حين يستطيع 27،4٪ التجوال بين مواقع الإنترنت بسهولة، ويتقن 1 من كل 5 منهم التعامل مع الهواتف والأجهزة الذكية مثل جهاز الآي باد"[8].

2- تفوق تقني وتخلف اجتماعي:

لا ننكر بان التطور التكنولوجي قد ساعد على التفوق الكبير في المجال التقني، فنجد بان هناك اطفالا يجيدون استخدام التكنولوجيا بمختلف اشكالها بمهارة عالية لا يستطيع الوالدين ان يتقنوها. كما لا يستطيع اتقانها شريحة كبيرة من المتعلمين والمثقفين، لكنها في المقابل حولتهم هؤلاء المستخدمين لها الى اشخاص متبلدين اجتماعياً، فلا يمكنهم ان يحملوا رسالة او هدفا او فكرا، كما لا يمكنهم القدرة على تنظيم امورهم او التخطيط للمستقبل فيما بعد، فنجد ان نسبة كبيرة من الاطفال تتقن التكنولوجية بمهارة بينما نجد نسبة قليلة جدا من الاطفال تتوجه لقراءة الكتب او انشغالها بفنون اخرى.

3- عدم التركيز:

مع التطور التكنولوجي السريع وظهور الاجهزة باشكالها المختلفة بشكل واسع وكبير، نجد ان نسبة كبيرة من الاطفال بخاصة في الوطن العربي تستخدم الاجهزة الذكية خاصة لمشاهدة الفيديوهات والاغاني الصاخبة والقيام بالالعاب، وربما لمشاهدة الافلام والصور الاباحية ما يجعلها تبتعد عن التركيز فيما يدور حولها وكأنها اصبحت كالاجهزة المخدرة عقليا وفكريا وجسديا، تفتقد التركيز وترفض في الوقت ذاته السماع لاي نصيحة او اي حديث او اي شيء يدور من حولها خارج الاطار التكنولوجي.

4- خطورتها على الصحة:

لا شك بان الاجهزة التكنولوجية عموما وبخاصة الاجهزة الذكية يؤثر استخدامها على خلايا المخ والاعصاب، فيصبح الشخص والطفل المستخدم لها غير قادر على استيعابها وما ينتج عنها من امراض نفسية وحالات اكتئاب وانفعالات وتوترات لدى الاطفال.

5- الجهل:

لا شك ان هناك شريحة واسعة من الاباء والامهات يعتقدون ان استخدام الاطفال للاجهزة الذكية يمكن ان يزيد من ذكائهم، والاعتماد على ذاتهم، ويساعدهم على الجرأة وتكوين الشخصية القوية. وهذه الاعتقادات تعود لجهل الاباء والامهات بمدى خطورة هذه الاجهزة على صحة الاطفال ومدى انحرافهم عن القيم والمبادىء والتربية الصحيحة.

ففي دراسة اجراها المشرف العام على مركز الموهبة والإبداع في جامعة طيبة والمختص في جراحة المخ والأعصاب الدكتور "باسم شيخ" بين، "أن السعودية احتلت المرتبة الثالثة على مستوى العالم في استخدام الهواتف الذكية بنسبة 73٪. كما حذّر من لعب الأطفال بالألعاب المثيرة في الأجهزة الذكية أكثر من نصف ساعة يومياً، لأنها تؤثر على تركيزهم، بعكس ما يشاع بأنها تزيد من ذكاء الطفل. وأوضح أن هناك فروقاً كبيره بين أجهزة الحاسب العادية سواء المكتبية منها أو المحمولة وغيرها كالـ "آيباد" ، والفرق يكمن في أن أجهزة الحاسب لا تعتمد على الإرسال بين القواعد وأبراج الاتصال والجهاز، لذلك يكون تأثيرها منحصراً على العين واليد نتيجة الضغط المستمر على لوحة المفاتيح، بعكس الأجهزة الذكية المحمولة التي يكون لها تأثير إشعاعي يؤثر على خلايا المخ والأعصاب"(9).

6- الجانب الاخلاقي :

لا شك ان الاجهزة الذكية وما تحويه من كاميرات تصوير وتسجيل صوتي وتسجيلات صورية وفيديوهات قد سببت الكثير من المشاكل من خلال استخدامها بطريقة غير اخلاقية واختراق لخصوصيات الناس من خلال معرفة بياناتهم عبر الموبايل وتصويرهم وتسجيل اصواتهم من دون ان يشعروا بذلك. وهذا الامر تسبب بمشاكل ربما وصلت الى جرائم القتل.

7- هدم العلاقات الانسانية:

لا شك ان شبكة الانترنت تحوي مواقع كثيرة تتعلق بالحب والزواج والعلاقات غير الشرعية، فعند دخول المشترك يُطلب منه تحديد شكل ونوع العلاقة

التي يريدها، صداقة، ام زواج، ام علاقات حميمة، ام للحصول على المتعة. وكعادة المافيا العالمية ان تقوم بعمليات الاستغلال لبعض تلك المواقع بهدف تحقيق قدر اكبر من الارباح من هذه العلاقات المحرمة وغير الشرعية، اضافة الى تسويق الفتيات والسيدات من اوكرانيا وروسيا ودول اوروبا الشرقية عبر هذه الشبكة.

ونجد ان الشباب العربي سواء اكانوا رجالا ام نساء قد دخلوا تلك المواقع، كما توجد صفحات مخصصة لبعض الدول العربية التي تستخدم التكنولوجيا بشكل اوسع.

"والغريب حقاً ان دولا مثل اسرائيل تأتي في المرتبة الخامسة على هذه الشبكة بعد الولايات المتحدة واوكرانيا وروسيا وكندا سواء من حيث الذين يبحثون عن نساء او العكس، ولعل هذا ما يثير الشك والريبة، لان مثل هذا النوع من العلاقات قد يعمل على نقل امراض معينة كالايديز للشباب العربي او يعمل على كشف اسرار عسكرية او اقتصادية عن الدول العربي، او يعمل على تجنيد الرجال والسيدات في مجال الجاسوسية، وهو ما نحذر منه في ظل ما يخيم على العلاقات بين اسرائيل والعربي في الوقت الراهن"[10].

8- الهدر المادي:

كلنا نعلم بان الاجهزة الذكية تسببت بهدر مال الكثير من الاسر والكثير من الافراد، وبخاصة الاسر التي يهمها المظهر الخارجي للانسان ونظرة المجتمع لها، حيث يعتقد الكثيرون انهم بشرائهم المستمر لتلك الاجهزة وتجديدها بصورة مستمرة خلال فترة زمنية قصيرة بامكانها ان تغير من شخصيتهم او حالاتهم النفسية الى الافضل.

وربما يعود السبب اما للشعور بعقدة النقص عند الكثيرين حيث يحاولون تعويض حالتهم بشرائهم المستمر لتلك الاجهزة، او انهم يتمتعون بحالة مادية ممتازة ما يدفعهم لشرائها، او من باب التباهي والجري وراء المظاهر المزيفة التي يعيشها المواطن العربي في عصرنا الحالي.

وفي خبر نشر بعنوان: (قريباً شحن الاجهزة الالكترونية من الجسم) يقول الخبر: ان الاجهزة الالكترونية الحديثة والمتعددة من هواتف وحواسيب وغيرها، لا مناص من استخدام البطاريات بأشكالها وانواعها المختلفة، وهي جميعها تصنع من مواد ضارة بالبيئة كأمثال الليثيوم والزئبق والرصاص والنيكل، ومن عيوبها انها تحتاج كل مرة لاعادة شحن حتى يتمكن الجهاز من العمل. وهذا ما جعل العلماء يفكرون ببديل عن مثل هذه البطاريات وحاجتها المستمرة للشحن حتى توصلوا لنوع تستمد طاقتها من جسم الانسان.

وهذا المشروع المشترك بين ايطاليا وفرنسا والذي يحمل اسم، "اس تي ميكرو اليكترونيكس". وقد اعلن عنه مع بداية عام 2014، حيث تتمثل بصنع بطارية قادرة على استرداد طاقتها حال ملامستها للجلد والتي صنفت بأنها بطاريات ثورية إذا ما طبقت في استخدامات الاجهزة المتعددة، فهي تغني الفرد عن ضرورة شحنها بواسطة الكهرباء في كل مرة ينتهي شحنها.

ويبدو هذا المشروع في مراحله الأولى ولكن سيبدأ العمل بتطبيقه وتسويقه خلال ثلاث سنوات من الآن، وسياخذ شكلا عمليا صغير نوعا ما غير مزعج لحامله وسيتناسب واستخدام الهواتف الذكية والساعات أو اجهزة التحكم بالالعاب الترفيهية واجهزة استشعار قياس معدل ضربات القلب.

وبهذا يقدم العلماء طفرة تكنولوجية حقيقية، تجعل حياتنا اسهل وتمكننا بالاستمتاع اكثر عند استخدام الاجهزة الالكترونية المتنوعة، فمصطلح "البطارية منخفضة" ستكون في الذكرى بعد استحداث هذه التكنولوجيا الجديدة. وما يهمنا اكثر انه ومع هذا الاختراع يقدم العلماء خدمة كبيرة للبيئة التي نعيش فيها، فلا مخلفات للبطارية تذكر، والاهم من ذلك ايضا تخفيض استهلاك الكهرباء. فمع هذه البطارية لا داعي للقلق بشأن العواقب السلبية لبيئتنا التي نعيش بها والتي إذا ما دمرت فإننا سنعاني مشاكل مناخية وصحية كبيرة وغيرها الكثير"[11].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الاطار ، هل ان عملية شحن البطارية بواسطة الجسم والتي يحاولون تطبيقها قريباً سيكون لها مضار وخطورة على الانسان ؟ وهل يمكن ان نتخيل شحن البطارية بهذا الطريقة الغريبة والعجيبة ايضا من دون ان تتسبب بعواقب مستقبلية على عقل الانسان وقلبه؟

فالجدير بالذكر اننا عندما نقوم بشحن بطارية الجهاز الالكتروني من خلال استخدامنا للكهرباء نجد ان حرارة الجهاز اصبحت عالية جدا وكأننا اخرجناه من فرن حراري، فكيف لنا ان نتصور شحنه من جسم الانسان من دون اية اضرار على صحته.

ويمكن القول بان هذه الاجهزة تشكل خطورة على مستخدميها وهي سلاح ذو حدين لذا فاستخدامها بشكل سلبي يؤدي بنا الى ان نعيش حالة من الاستعمار الالكتروني.

المبحث الثالث

(التجسس والجرائم الالكترونية ..عصر الشيطان)

لا شك بان الخوض في شرح مفصل لعمليات التجسس الالكترونية ربما يحتاج الى فصول او ربما لكتاب. وبما اننا تطرقنا الى موضوع الاجهزة الذكية وسنتطرق لاحقاً الى موضوع موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" اذن، لا بد لنا ان نقوم بتوضيح مختصر عن موضوع التجسس الالكتروني الذي يرتبط ارباطا وثيقاً بتكنولوجيا العصر من حيث تعريفه ومدى خطورته على مستخدمي التكنولوجيا الجديدة بكل اشكالها.

والجدير بالذكر ان في علم مكافحة الجريمة يقولون: "ليست هناك جريمة كاملة! فالمجرم يترك وراءه دليل إدانته". ولذا من الجهل ان يتصور من يجلسون خلف شاشات الكمبيوتر، وقراصنة الانترنت، أنهم بمنأي عن العقاب، أو أنهم بعيدون عن قبضة الرقابة.

ولكن ربما يقع المستخدم فريسة للقرصنة في حال غياب الخبرة في التعامل مع الإنترنت، وليس لديه القدرة علي تأمين نفسه، من محترفي عمليات السطو على أجهزة الحاسوب، والبريد الإلكتروني، ولذلك ينصح بعدم الاحتفاظ بالأرقام السرية والبيانات والمعلومات الهامة على جهاز الكمبيوتر خشية تعرضها للسرقة.

ففي ظل تطور أساليب كشف الجرائم، صار ضبط الجناة امرا سهلا، وممكنا ومع ذلك لم يعد هناك أحد بمأمن عن عمليات الاحتيال الالكتروني، وحتماً فإن اقنعة اللصوص لا بد ان تسقط وتقدم للمحاكمة .

وقد يستهين الكثيرون ممن يستخدمون التكنولوجيا بكل اشكالها والمواقع الالكترونية المختلفة، سواء اكانوا شركات خاصة، ام مؤسسات عامة، ام جماعات، ام افراد بمدى خطورة الاجهزة والمواقع الالكترونية التي يستخدمونها.

ولا نستطيع ان ننكر بان الهواتف الجوالة اصبحت اليوم جزءا لا يتجزأ من حياتنا، حيث اصبحت من المكملات الرئيسة ومن الحاجات الاساسية والضرورية والهامة لحاجاتنا الشخصية. فلا يوجد اليوم امرأة او رجل او شاب او فتاة او حتى صغار السن الا ويحملون جهازا خلويا وربما اكثر من جهاز من دون ان يدركوا مدى خطورته، ومن دون ان يدركوا ان هذه الاجهزة يسهل مراقبتها عبر الاقمار الصناعية، حتى حين يكون الشخص متصلا يبقى جهازه يرسل شارات تكفي لتحديد مكانه. ومن دون ان يدركوا ان مكالماتهم وإن كانت بسيطة او ترفيهية فهي مراقبة من قبل جيش من الفنيين العسكريين الامريكيين، وان رسائلهم تُقرأ قبل وصلوها للشخص المعني ربما بثانية واحدة.

ولا شك انه يمكن تحديد ملايين المكالمات ومعرفة هوية اصحابها بموجب الشبكة المحلية والرقم الخاص وصولا الى صاحب الخط، وذلك عن وضع الشبكة في حالة التنصت. وبذلك يكون الشخص المستخدم لذلك الجهاز (الموبايل) وكأنه وضع سلسلة حول عنقه طواعية ومن دون ارادة منه وذلك فهو يدفع ثمناً باهظاً لخصوصيته وحريته واسراراه الشخصية.

ان "التجسس الالكتروني" او "الاختراق الالكتروني" ربما وان جاز التعبير هو اشبه بـ"الشيطان" وهذا الشيطان الالكتروني يخترق الاجهزة ويقوم بعمليات التجسس على المستخدم بطرق غير شرعية ولاغراض غير سوية كي يسرق معلومات تتعلق به سواء على الصعيد الشخصي ام السياسي، ام العملي ام الاجتماعي. او لسرقة حسابه، او بهدف التخريب، او بهدف معرفة معلومات تتعلق بالجانب المادي وغيرها من الجوانب الاخرى، حيث لم يعد هناك اي خصوصية او سرية يمكن الاحتفاظ بها من دون ان يقوم الشخص بعمليات كثيرة لتجنب عمليات التجسس او الهاكرز او ما يسمى بالقرصنة الالكترونية. اضافة الى عمليات التجسس والهاكرز ما بين الدول ايضا وهي الاكثر خطورة.

وبامكان الهاكرز اضافة ملفات او برامج كما بامكانه التحكم بنظام التشغيل من حيث اصدار اوامر كالطباعة او التخزين او التصوير، بهدف تدمير جهاز المستخدم او تخريبه، او سرقته وغيرها من الامور الاخرى.

❖ مواقف مع الهاكرز:

- أحد الهاكرز قام بالدخول على جهاز بعض المستخدمين الشخصي واخبره أنه (هاكر طيب واخبره أن جهازه يحتوي على ملف (الباتش) ولابد من إزالته حتى لا يدخل أحد عليه مرة أخرى.
- أحد الهاكرز دخل على الجهاز الشخصي لإحدى الفتيات وأخذ يشاهد ما يحتويه من صور وملفات ولفت انتباهه أن الكاميرا موصلة بالجهاز فأصدر أمر التصوير فأخذ يشاهدها وهي تستخدم الكمبيوتر ثم أرسل لها رسالة يخبرها فيها أنها جميلة جداً، ولكن (يا ريت لو تقللي من كمية المكياج).
- أحد الهاكرز المحترفين اعتاد أن يدخل على مواقع البنوك عبر الإنترنت ويتسلل بكل سلاسة إلى الأرصدة والحسابات فيأخذ دولاراً واحداً من كل غني ويضع مجموع الدولارات في رصيد أقل الناس حساباً.
- احد الشباب يدخل إلى أجهزة الناس ويقوم بحذف الصور الخليعة والملفات الجنسية ويعتبر نفسه بهذا (مجرد فاعل خير) وهو بهذا ينسى أنه (حرامي ولص ومتسلل).

وقد اعتاد الهاكرز على محاولة اختراق المواقع الكبيرة مثل موقع الياهو وموقع مايكروسوفت ولكنهم دائماً ما يفشلون في مراميهم هذه بسبب الجدران النارية التي تضعها هذه الشركات والإجراءات الضخمة التي تتبعها لمنع أي هاكر من دخول النظام ومع هذا ينجح الهاكر في اختراق النظام ولكن خلال أقل من خمس دقائق يستطيع موظفوا الشركة من إعادة الأمور إلى مجراها.

ويعد الاختراق والتجسس جريمة يحاسب عليها القانون في الكثير من دول العالم ولذا لا تستغرب أن ترى الهاكر بجوار القاتل ومروج المخدرات واللصوص ولكن الفرق أنه بمجرد خروج الهاكر من السجن يجد استقبالاً حافلاً من الشركات العالمية الكبرى التي تسارع إلى توظيف الهاكرز بغرض الاستفادة من خبرتهم في محاربة الهاكرز، وكذلك للاستفادة من معلوماتهم في بناء برامج وأنظمة يعجز الهاكرز عن اقتحامها.

وهناك حكمة يؤمن بها كل الهاكرز: لا يوجد نظام تشغيل من دون منافذ ولا يوجد جهاز لا يحوي فجوة ولا يوجد جهاز لا يستطيع هاكر اقتحامه.

وأغلب وأقوى الهاكر في العالم هم مبرمجوا الكمبيوتر ومهندسوا الاتصال والشبكات ولكن الأقوى منهم هم الشباب والمراهقون المتسلحون بالتحدي وروح المغامرة والذين يفرغون وقتهم لتعلم المزيد والمزيد في علم التجسس والتطفل على الناس. وعموماً مصير كل هؤلاء في الغالب إلى السجن أو أكبر شركات الكمبيوتر والبرمجة في العالم.

والآن تحولت الحروب من ساحات المعارك إلى ساحات الإنترنت والكمبيوتر وأصبح الهاكرز من أقوى وأعتى الجنود الذين تستخدمهم الحكومات وخاصة (المخابرات) حيث يستطيعون التسلل بخفية إلى أجهزة وأنظمة العدو وسرقة معلومات لا تقدر بثمن وكذلك تدمير المواقع وغير ذلك .. وكذلك لا ننسى الحروب الإلكترونية التي تدور رحاها بين العرب واليهود والأمريكان والروس وغيرهم"[12].

"وقد كشفت شركة امريكية متخصصة في مجال الامن الالكتروني انها جمعت معلومات تفيد بان روسيا تجسست على مئات الشركات الامريكية والاوروبية والاسيوية، وهي اول مرة يرتبط فيها اسم روسيا بتجسس الكتروني مفترض لاغراض اقتصادية وليست سياسة"[13].

"كما كشفت تقارير أن عمليات التجسس على الاتصالات العربية كانت تقدر بالمليارات، وأنها فاقت بآلاف المرات تلك التي نفذتها الوكالة الأميركية في دول أوروبية. ولا تستبعد مصادر متخصصة أن تلك العمليات في الدول العربية طاولت اتصالات عدد من الزعماء العرب ودوائر القرار العربية المهمة. وسارعت الولايات المتحدة لطمأنة حلفائها الأوروبيين الذين كانوا ضحايا عمليات التجسس، في الوقت الذي تحركت فيه الدول الأوروبية بقوة لاتفاق فيما بينها بعدم التجسس، وكذلك للضغط على الولايات المتحدة للتوقيع على اتفاق مماثل.

وكانت وثائق تستند إلى تسريبات المتعاقد السابق مع وكالة الأمن القومي الأميركي (ادوارد سنودن) كشفت عن أن عمليات تجسس وكالة الأمن

القومي الأميركية طالت الاتصالات في عدد من الدول العربية من بينها المملكة العربية السعودية ومصر والأردن والعراق ومعها دول شرق اوسطية مثل ايران وباكستان وكذلك الهند.

وكشفت الوثائق أن وكالة الأمن القومي الأميركية تجسست على حوالي 125 مليار اتصال هاتفي ورسائل نصية في فترة شهر كانون الثاني من العام 2013 وكانت غالبيتها من دول شرق اوسطية"(14).

اما البرامج الاكثر استخداماً وخطورة على حد سواء هي:

برنامج الواتس آب: Whats App –

يعتبر هذا البرنامج من اشهر البرامج استخداما من حيث ارسال واستقبال الرسائل بمختلف اشكالها مجاناً، حيث يمتلك المحادثات الجماعية ايضا. لكن مستخدم هذا البرنامج لا يدرك مدى خطورته من حيث سهولة اختراقه من خلال من يريد مراقبة اتصالاتك بالانترنت.

فايبر: Viber-

ان هذا البرنامج يتيح اجراء المكالمات المحلية والاقليمية والدولية مجانا، كما يمكن ارسال الصور من خلاله. لكن من منا يدرك مدى خطورة هذا البرنامج ؟ والى اي جهة ينتسب؟، وهل الفايبر برنامج تجسس؟.

"ان الشركة التي صمّمت وطوّرت برنامج "فايبر" وتديره ايضاً هي شركة إسرائيلية ناشئة مقرّها الرئيسي في قبرص ولها مراكز تطوير في بيلاروسيا وإسرائيل. اما صاحبها فهو(تالمون ماركو) وهو رائد أعمال إسرائيلي- أمريكي، تخرج من جامعة تل أبيب وخدم في الجيش الإسرائيلي 4 سنوات، وهو على رأس قائمة افضل 10 برامج اسرائيلية على اجهزة الموبايل"(15).

وقد كان وراء أشهر تطبيقات التجسس "آي ميش" و"باندو" حسب تصنيفات أشهر برامج الأمن والحماية، الأول برنامج لمشاركة الملفات على الإنترنت، يقوم بتنزيل برامج خبيثة وأدوات تجسس واختراق على أجهزة المستخدمين، والآخر إضافة إلى موقع فيسبوك، يقوم أيضاً بتنزيل برامج تجسس وبرمجيات خبيثة.

وكل ما أظهره (تالمون) هو أن الشركة تقدم خدماتها مجانا للمستخدمين خالية من الإعلانات، والتي بالعادة تعمل الشركة على الوصول إلى مستوى ثقة المستخدمين في التطبيق المجاني وسرعان ما تغلقه ليكون ربحيا، أو تزج بالإعلانات كمصدر دخل للتطبيق ومشغل له. ورجوعا لعناوين الشركة، فهي لا توفر أي وسيلة اتصال بها (عنوان أو رقم هاتف) عدا عنوان صندوق بريدي، ولا توجد أي معلومات عن ماهية الشركة أو هوية موظفيها على الموقع الخاص بها.

وتعتبر قبرص المكان المعروف لعمليات التجسس الإسرائيلية، والشركة لا توفر أي وسيلة إتصال بها (عنوان أو رقم هاتف) عدا عنوان صندوق بريدي، ولا يوجد أي معلومات عن ماهية الشركة أو هوية موظفيها على الموقع الخاص بها. حيث وصل عدد مستخدمي برنامج فايبر إلى أكثر من 100 مليون مستخدم حول العالم.

ومن خلال البحث في غوغل فان هذا البرنامج ينشر في أول 10 نتائج للبلدان التي ينتشر فيها البرنامج، (سبع) منها هي بلدان إسلامية أو فيها أغلبية مسلمة، وجميعها في الشرق الأوسط[16].

والجدير بالذكر ان هناك خصوصية مقلقة يستخدم التطبيق سياسة للخصوصية متناقضة مع نظيراتها من التطبيقات التي تعتمد على التراسل الفوري النصي، إلا أن "فايبر" استطاع بلغة قانونية إعطاء نفسه الصلاحيات بموافقة المستخدمين، لقراءة جميع الأسماء والرسائل النصية، والرسائل متعددة الوسائط وسجل الهاتف، حتى تلك التي ليست ضمن البرنامج، فلديه الصلاحية لمعرفة الموقع الجغرافي، والحسابات الشخصية وتسجيل الصوت والتقاط الصور وتسجيل الفيديو، لديه أيضاً الصلاحية للوصول إلى جميع الملفات على هاتفك وقراءة إعداداتك وحتى البرامج المستخدمة، جميع تلك الصلاحيات دونتها بطريقة قانونية محترفة للوصول إلى معلومات المستخدمين بطريقة يمكن الاستفادة من بياناتهم في البحوث والدراسات التي توصلهم إلى تفاصيل مجتمع أو دولة. فيما أكدت موسوعة ويكيبيديا أن التطبيق يقوم باستخلاص كل المعلومات المتوافرة في دليل الهواتف، وتحميلها إلى قواعد بيانات الشركة"[17].

والسؤال المهم يدور في دوامة واحدة، ما مصادر دخل شركة "فايبر" التي بدأ نشاطها في 2010 لتخدم أكثر من 50 مليون مستخدم، وحتى هذا اليوم تستضيف أكثر من 200 مليون مستخدم؟ .

'والأهم من أين يمكن أن تمول نفسها لتشغيل واستضافة مركز معلومات الشركة لخدمة أكثر من 200 مليون مستخدم؟ وبعد كل هذا، كيف يمكن أن تطور تطبيقها في أواخر الشهر الماضي لتوسع انتشارها على مستوى الحواسيب الشخصية، من دون أن تعلن رسميا أو تؤكد في أي تصريح عالمي. ولماذا لم تدون خطتها الاستراتيجية ورؤيتها أسوة بنظيراتها؟ ومن هم ممولو الشركة أصحاب الأهداف المحددة أبسط قواعد الاقتصاد الكمي والجزئي؟ وما الجهة التي تدفع كل هذه التكاليف؟ وماذا تريد؟ "[18].

والجدير بالذكر ان "فايبر" ليست شركة ربحية، فهي تقدم خدمة مجانية 100٪ خالية من الإعلانات، ولا توجد أي ميزات مدفوعة. حيث ان التكلفة التي تدفعها الشركة لـ100 مليون مستخدم حول العالم لمدة سنتين حتى الآن! ومع ذلك لا يوجد مصدر ربح. ولا بد من ممول للشركة "ذو هدف محدد" مستعد لدفع كل هذه التكاليف ليحصل على ما يريد"[19].

"وقد اكد البعض ان المخابرات الاسرائيلية قد وسعت من توظيف الانترنت والشبكات الاجتماعية مثل (الفيسبوك) في تجنيد العملاء عبر استغلال المعلومات التي يقدمها المتصفحون الفلسطينيون عن انفسهم وعن اصدقائهم مستغلة الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعيشها الفلسطينيون تحت الاحتلال"[20].

"اذن لقد عرفنا أننا نتعامل مع خبير أو خبراء تجسس بامتياز، لنعد قليلاً إلى برنامج فايبر على (الأندرويد) و (الآيفون) فهو لديه الصلاحية لقراءة جميع أسمائك ورسائلك وسجل هاتفك حتى تلك التي ليست ضمن البرنامج، كما ولديه الصلاحية لمعرفة موقعك الجغرافي، وحساباتك الشخصية، وتسجيل الصوت، وإلتقاط الصور، وتسجيل الفيديو. ولديه ايضا الصلاحية للوصول إلى جميع الملفات على هاتفك و قراءة إعداداتك و حتى البرامج التي تستخدمها"[21].

وبحسب التحقيق الذي ترجمه وبثه تلفزيون فلسطين في سياق برنامج اضواء على الاعلام الاسرائيلي بعنوان: كيف يتجسس الاسرائيليون على الهاتف والحاسوب؟ والذي يعده ويقدمه الصحافي انس ابو عرقوب، سلط الضوء على سهولة اختراق الهواتف الذكية والحواسيب والسيطرة عليها وتحويلها الى "جاسوس داخل الجيب" من قبل افراد عاديين وليس من قبل اجهزة الاستخبارات. كما اشار الى ان الكثير من الافراد العاديين داخل اسرائيل ممن يرغبون بالتجسس على اصدقائهم او ازواجهم او ابناء اسرهم باتوا في غنى عن محقق خاص، فأي شخص بإمكانه الدخول الى الانترنت وشراء برمجية تجسس، وخلال عشرين ثانية بإمكانه زرعها في هاتف زوجته او اي شخص يريد التجسس عليه.

وبرمجيات التجسس على الهواتف والحواسيب بإمكانها جمع معلومات ليس بامكان محقق أو جاسوس يراقب الشخص على مدار الساعة جمعها. وعن طريق هذه البرمجيات بالامكان سرقة البريد الالكتروني والرسائل النصية، والمكالمات ومكان التواجد بدقة، والصور الموجودة على الهاتف او الحاسوب، وكلمات السر للحساب البنكي او مواقع التواصل الاجتماعي.

ووفقا للتحقيق التلفزيوني فإن الشرطة الاسرائيلية سبق وان اعتقلت 22 مشبوها يقومون ببيع وزرع الاف برمجيات التجسس، المخصصة لمراقبة رجال اعمال، وازواج.

وتحدث معد التحقيق مع تاجر يبيع هذه البرمجيات وقال له: "لدي برمجية تجسس قادرة على التجسس على الرسائل النصية واماكن التواجد، وتسجيل المكالمات ويبلغ ثمنها 3500 شيكل، وثمة برمجية اخرى تتجسس على سكايبي والفايبر والفيس بوك والوتس آب[22].

والجدير بالذكر ان الاستخبارات الامريكية والبريطانية تستغل تطبيقات الهواتف الذكية للتجسس. فقد كشفت صحيفة نيويورك تايمز ان الاستخبارات الامريكية والبريطانية تستغل عدداً كبيراً من تطبيقات الهواتف الذكية من اجل جمع البيانات الشخصية حول مستخدميها.

وذكرت الصحيفة أن عشرات الوثائق البريطانية التي كانت بين آلاف الوثائق السرية التي سربها الموظف السابق في وكالة الأمن القومي الأميركية إدوارد سنودن، تظهر أن بعض التطبيقات التي يطلق عليها "التطبيقات المسربة"، كانت إحدى الوسائل الأكثر فائدة بالنسبة للوكالة وشركائها البريطانيين. وأوضحت أن هذه التطبيقات تنقل كميات كبيرة من المعلومات الشخصية، بدءا من رموز الهوية للهاتف ووصولا الى الأماكن التي زارها صاحب الهاتف خلال اليوم، والشبكة العامة، حيث يمكن للاستخبارات أن تعثر عليها.

وتابعت الصحيفة أن وكالة الأمن القومي الأميركية وشريكها البريطاني مكتب الاتصالات الحكومية بدآ عملهما المشترك على جمع المعلومات بواسطة عشرات التطبيقات منذ عام 2007. ومنذ ذلك الحين حققت الاستخبارات تقدما كبيرا في عملها هذا، إذ نجحت في جمع البيانات الخاصة بأماكن تواجد أصحاب الهواتف المحمولة وتحركاتهم المخطط لها عبر تطبيق "خرائط غوغل". كما تستخدم الاستخبارات تطبيقات على غرار "فيسبوك" و"فلكر" و"لينكد إن" و"تويتر" للإطلاع على محتويات دليل الهاتف وقوائم أصدقاء صاحب الجهاز وقوائم الاتصالات التي أجراها وبيانات المواقع الجغرافية الموجودة على الهاتف وذكرت "نيويورك تايمز" أن بعض التطبيقات الجديدة ومنها، على سبيل المثال، لعبة "العصافير الغاضبة" أيضا تتيح للاستخبارات إمكانيات مماثلة للوصول الى معلومات قد تكون حساسة للغاية.

وجاء في وثيقة بريطانية سرية صادرة عام 2012، أنه بامكان الجواسيس الحصول على بيانات مختلفة منها ما تخص "الآراء السياسية" و"الانتماء الجنسي" للشخص المستهدف باستخدام التطبيقات الموجودة على هاتفه المحمول(23).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا! من هو المستفيد الاول من بيع هذا الكم الهائل من الاجهزة ؟ ربما تكون الشركات الامريكية العملاقة المتمركزة في كل من نيويورك وهولوود التي تسوق منتوجاتها من اجهزة وثقافة ولغة الى دول العالم

الثالث هي المستفيد الاول من عملية التسويق التي تفوق ميزانية دول بأكملها، بهدف التسويق والتأثير ايضا، ونحن للاسف نقوم بشراء تلك الاجهزة من دون وعي ولا ادارة للجوانب المادية ومن دون ادراك لمخاطرها علينا، ومن دون ان نعلم اننا نضع جاسوسا في مكتبنا وداخل عملنا وداخل بيوتنا نقدم له على طبق من فضة ما يتعلق بنا وبحياتنا من معلومات واسرار من دون ان يلاحقنا.

- البريد الالكتروني E-mail

يعتبر البريد الالكتروني اداة من الادوات الهامة في التواصل والتراسل بين الاشخاص، ويمكن من خلاله عموماً التراسل بالنصوص والفيديو ومسودات الكتب والملفات الصوتية، كما يستفيد من هذه الخدمة الصحافيون والاعلاميون، بحيث يمكنهم ان يتصلوا بفاعلية مع الناس وبخاصة الصحافيين انفسهم.

ويمكن استخدام البريد الالكتروني في اجراء المقابلات والحوارات الصحافية، بالاضافة الى امكانية الاتصال بقسم العلاقات العامة والاقسام الاخرى في المؤسسات عموماً، والمؤسسات الصحافية على وجه الخصوص، ويمكن الاستفادة منه في التواصل والاتصال مع المندوبين والمراسلين خارج المؤسسات الصحافية سواء اكانوا في مهمة رسمية داخل بلدهم او خارجها وذلك عن طريق الموبايلات التي اصبحت تقدم خدمة البريد الالكتروني ومن خلال اجهزة الكومبيوتر الصغيرة (اللاب توب).

ويمكن القول ان الخدمات الالكترونية اصبحت تقدم "خدمات رقمية". ويمكن ايضا التحدث مع الاخرين عبر "غرف الشات" او الدردشات بحيث يمكن معرفة ردود افعالهم والتعرف على وجهات نظرهم ايضا. كما ويعتمد على البريد الالكتروني مجموعات الاخبار، وهي عبارة عن مجموعات تضم عددا من الافراد ذوي اهتمامات مشتركة، يتبادلون الافكار والاراء والرسومات المتحركة والصور .. الخ، وهي شبكة موجودة في قسم الانترنت والتي تعتبر مصادر للمجموعات الاخبارية لا اكثر، بحيث يمكن لاي شخص الاطلاع عليها. وعلى الرغم من ان مجموعات المشتركين تتيح حرية الرأي والتعبير والتعليق من خلال النشر، الا ان هذه المجموعات تخضع للرقابة.

وعلى الرغم من ان البريد الالكتروني له ايجابيات عدة مثل سهولة فتح البريد الالكتروني، وسهولة تغيير كلمة السر الخاص بك، وعدم وجود تكلفة حيث ان ارسال الرسائل واستقبالها مجانية، وبالامكان ايضا ارسال رسائل عدة الى عدة عناوين في نفس الوقت وبسرعة لا تتعدى الثواني، ولا يحتاج البريد الالكتروني الى وسيط ما بين المرسل والمستقبل، وامكانية ارسال الرسالة في اي ساعة وفي اي وقت وفي مكان في العالم، اضافة الى امكانية تخزين الرسائل وارشفتها. الا ان هذا الشكل من اشكال البريد له سلبيات ايضاً والتي تحتم على المستخدم اخذ الحيطة والحذر والحرص عند استخدامه.

فالبريد الالكتروني اوجد العزلة ما بين الافراد وعزز الفردية في تلقي الرسائل وقرائتها والتفاعل معها، ما اضعف الروابط الاسرية. كما انه من السهولة تعرضه للفيروسات، فهناك ملايين الرسائل الالكترونية التي يتم ارسالها، ما يسهل على جهاز المستخدم التقاط الفيروسات الخبيثة والتي يمكن ان تتسبب بحذف البيانات الموجودة او اختراقها او تدمير القرص الصلب الموجود في الجهاز، حتى ان التقاط البرامج الضارة يمكن ان تنقل اي معلومة سرية عن صاحب البريد الالكتروني وارسالها الى الجهاز المرسل منه، وهذه الفيروسات بامكانها ان تنتشر من جهاز كومبيوتر الى اخر بكل سهولة.

وهناك رسائل الكترونية تستهدف الشخص المرسل اليه او جهازه بحيث تكون مشبعة بالفيروسات وعند فتحها تقوم بتخريب وتدمير إما بياناته وسرقتها وسرقة حسابه بحيث ينتشر الفيروس ويقوم بالتخريب والتدمير.

كما ان مالك البريد نفسه من السهولة ان يتعرض لعملية احتيال الكترونية ما يدفعه للافصاح عن كملة المرور السرية، واسم المستخدم، وارقام بطاقات الائتمان، وارقام حساباته البنكية. وهناك الكثيرون من الذين وقعوا في عمليات الاحتيال وكانوا ضحاياها لها.

ولا يخلو البريد الالكتروني من الازعاج بخاصة من خلال شركات التسويق والمندوبين، بهدف اقناع الاخرين بالمنتج، وبالتالي دفعهم الى عملية الشراء

من خلال طرق عدة، كالالحاح المستمر، واحياناً النصب على العملاء من خلال رسائل البريد الالكتروني، بحيث تقوم تلك الشركات بارسال كم هائل من الرسائل غير المرغوب فيها على عناوين المشتركين.

وبحسب لجنة التجارة الفيدرالية المختصة بحماية المستهلك فإن البريد الالكتروني غير المرغوب فيه هو من الناحية العملية مشكلة لكل من لديه جهاز كومبيوتر، كما ان هذه الرسائل مزعجة وتبطيء من نظام البريد الالكتروني. وعلى ضوء ذلك اطلقت مديرة مكتب حماية المستهلك في لجنة التجارة الفيدرالية (جودي برنشتاين) على قائمة الرسائل غير المرغوب فيها اسم (القائمة القذرة).

وقد اكد خبراء الكومبيوتر ان النصيحة الذهبية لكل مستخدم للبريد الالكتروني، هي "الا تفتح اية رسالة تصل اليك، ما لم تكن متأكداً من مصدرها"؟

والجدير بالذكر ان هناك الكثير من الصحافيين والاعلاميين قد تم تهديدهم من خلال عمليات الاحتيال والهاكر التي نتج عنها الكشف عن اسرارهم واسرار ما يكتبون وما ينشرون من معلومات. وهناك الكثير من المؤسسات الاعلامية التي قامت بنشر معلومات عن طريق اختراقات الاجهزة. كما ان عملية اختراق اليوتيوب والتشويش على الفيديوهات والصور لاجل خدمة جهة معينة ضد الاخرى قد اثار الكثير من المشاكل والحروب واثارة الرأي العام سواء محلياً او اقليماً او عالمياً.

ويمكن القول بان هذه المواقع المستخدمة عبر شبكة الانترنت هي اشبه باستعمار الكتروني شيطاني برغم حسناتها وايجابيتها ومن الضروري اخذ الحيطة والحذر والحرص عند استخدامها وان لا يستهان بأي رسالة الكترونية تأتينا فقد تقوم تلك الرسائل على تدمير وتخريب جهاز الكومبيوتر او الكومبيوتر المحمول (اللاب توب) او حتى الجهاز الخلوي عند استخدام البريد الالكتروني من خلاله.

◆ **ويكيلكيس:**

ربما يطول الحديث عن موضوع ويكيليكس، وسوف نقوم بتوضيح وثائق ويكيليكس بشكل مختصر، حيث تعتبر ويكيليكس منظمة دولية غير

ربحية، بدأت موقعها على الانترنت عام 2006 تحت مسمى منظمة (سن شاين) الصحافية. حيث تقوم بنشر تقارير وسائل الاعلام الخاصة والسرية من مصادر صحافية وتسريبات اخبارية مجهولة.

وقد ادعت بوجود قاعدة بيانات لاكثر من 1.2 مليون وثيقة خلال سنة ظهورها. اما مهمتها الرئيسة فهي فضح الأنظمة القمعية في آسيا والكتلة السوفياتية السابقة، ودول جنوب الصحراء والشرق الأوسط.

ففي خبر نشر عبر الانترنت يقول: "ان مؤسس موقع ويكيليكس "جوليان أسانج" اطلق كتاباً وهو عبارة عن حوار بين أسانج وبعض الأصدقاء حول المتابعة والملاحقة وحماية البيانات وحماية حقوق الملكية والسياسة المدنية والأمن وغيرها من المجالات"، وبدأت فكرة الكتاب من خلال حوار على قناة "روسيا اليوم" جرى فيه الحديث عن حرية الكلمة.

وقد كان أسانج هاكراً عندما كان مراهقاً، من ثم مبرمجاً استرالياً للكومبيوتر قبل ان يصبح معروفاً لعمله مع ويكيليكس التي اصبحت معروفة عالمياً عام 2010، عندما بدأ "أسانج" في نشر وثائق عسكرية ودبلوماسية عن الولايات المتحدة الامريكية بمساعدة من شركائها في وسائل الاعلام. وفي عام 2009 حصل على جائزة من منظمة العفو الدولية.

و"أسانج" يرى أنه يجري التحكم بحياة الإنسان من جانب الحكومة والأجهزة الخاصة، مؤكدا أن حياة الأشخاص كلها في موقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك)، وان الحكومة والاجهزة الخاصة هي من وضعها علماً هناك.

ويقول: "اسانج" بانهم الجهة التي تستخدم الهواتف المحمولة التي تتصل بشكل دائم بالإنترنت، والعسكريون والأجهزة الخاصة يتحكمون بكل الامور المتعلقة بهذا الامر.

كما وذكر "أسانج" باننا اذا كنا نستخدم غوغل كثيرا فهذا يعني ان غوغل يعرف عنا كل شيء، من حيث الشخص الذي نتحدث معه، ومن حيث معارفنا واصدقاؤنا، وعن أي شيء نقوم بالبحث عنه.

كما يقول: "بان (غوغل) ربما يعرف توجهك ورؤيتك الدينية. وربما حتى توجهك الجنسي والرؤية الدينية. كما حذر من استخدام محرك البحث الذي يعرف عن الشخص أكثر مما يعرفه عن نفسه".

وفي موقع "اخبار السعودية اليوم" نشر عن ويكيليكس بانه "لا يزال الموقع المعروف بتلك التسريبات التى هددت جميع دول العالم كبيرها وصغيرها، لا زالت تصدر لهباً حول العالم العربى. ففى ذلك اللقاء الذى اجراه الإعلامي أحمد منصور فى برنامجة المتميز "بلا حدود " مع مؤسس موقع ويكيليكس "جوليان أسانج" والذي صرح فية بأنه يمتلك العديد من الوثائق السرية التى لم تظهر بعد ولم يتم الإعلان عنها الى الان والتى وصفها بالوثائق الخطيرة والتى من شأنها إحداث إنقلاب خطير فى العالم العربي، حيث أكد على ان تلك الوثائق والتى لم تصدر إلى الان تهدد الكثير من مسؤولين وكبار الشخصيات فى عدد من الدول العربية سربوا الكثير من المعلومات الحساسة والغاية فى الاهمية تخص بلادهم بدرجة كبيرة، بحيث تم تسريبها الى مسؤولين في أمريكا.

وأكد مؤسس موقع ويكيليكس على أن هؤلاء المسؤولين العرب يشغلون مناصب حساسة جداً فى بلادهم وحكوماتهم وانهم كانوا يتبرعون شخصياً بالذهاب الى أميركا للادلاء بتلك المعلومات بصفة شبه دورية، والعمل على كتابة تقارير الى الحكومة الامريكية واصفين ما يجرى فى بلادهم الى أمريكا بكل وضوح تام.

وعن سؤال أحمد منصور الموجه الى مؤسس موقع ويكيليس عن تلك الوثائق والموعد المقرر أن يتم الإفراج عنها وعرضها على الموقع ؟ قال مؤسس الموقع: "بان تلك الوثائق سيتم نشرها فى القريب شريطة أن يتم ضمان حياة هؤلاء المسؤلين بعدم التعرض لهم، لكون "إتهامهم بالخيانة، وعدم تعرض هؤلاء الى الإغتيال شرطاً أخيراً لمؤسس الموقع لكى يفرج عن تلك الوثائق الخطيرة".

وأضاف الى أنه يمتلك الكثير من الوثائق التى تخص الكثير من الرؤساء العرب مشيراً الى أنة يمتلك أكثر من 7000 وثيقة تخص مصر فقط والرئيس حسني مبارك، مشيراً إلى ان تلك الوثائق هى الأخطر بين يديه، وانة حصل على

أغلب تلك الوثائق من تسريبات من وزارة الدفاع الامريكية وكذلك وزارة الخارجية الامريكية.

الى جانب ذلك هناك الكثير من الوثائق التى تخص قضية النفط فى الوطن العربى من حيث سرقتة، من خلال الكثير من العقود التى يحررها مسؤولون عرب يشغلون مناصب هامة فى بعض المواقع، الى جانب الكثير من الوثائق الاخرى الهامة أيضا والتى تشمل وتخص الكثير من صفقات السلاح فى الوطن العربى، الى جانب بعض الوثائق الاخرى التى من شانها إحداث إنقلاب فى الوطن العربى، ولكن فيما هو واضح يقول مؤسس موقع ويكيليس: "بانة سيفرج عن تلك المعلومات والوثائق شريطة أن يضمن حياة هؤلاء وعدم تعرضهم للاغتيال". ويتساءل! هل يخاف "جوليان أسانج" على هؤلاء أم يجب أن يقلق على نفسه فى ظل تلك الوثائق التى ستحدث إنقلابا على حد تعبيرة ؟

وفي خبر نشرته صحيفة جزائرية قالت "إن جوليان أسانج صاحب موقع وكيليكس يكون قد عقد صفقة مع الموساد مقابل مكافأة مالية، حيث اتفق الطرفان على حذف البرقيات المتعلقة بحقبة حربي لبنان وغزة وكل ما يورط إسرائيل.

وذكرت الصحيفة نقلا عن تقارير اعلامية: "أكد خبراء صهاينة أن عدم ظهور الكثير من المعلومات عن الكيان الصهيوني، في البرقيات التي نشرها موقع ويكيليكس، يعتبر بمثابة الوقود الذي يؤجج نظريات المؤامرة المعروفة سلفا عن الدولة العبرية. وذكر "جوردون دوف"، المحرر بموقع (فيترانس توديي) العبري، والذي طالما أعلن عما يعتقده بشأن نفوذ الكيان الصهيوني السري بجميع أحداث العالم، أن الإجابة على السؤال الخاص ما إذا كان هناك بالفعل دور (إسرائيلي) في نشر برقيات ويكليكس ستكشف عنها الأيام المقبلة.

وقال (دوف) في تصريحات لصحيفة "هآرتس العبرية " نشرت على موقعها الإلكتروني: "أن تلك الشكوك ستظل كدليل يتسم بالحساسية بشأن ما إذا كان من الواضح أن هناك ارتباطا بين ويكيليكس وإحدى الوكالات الاستخباراتية الذي يعد أحد الإجراءات التي اعتادت عليها إسرائيل في ما يخص علاقاتها العامة".

ويتكهن الموقع المذكور بأن هناك اتفاقا سريا بين أسانج والموساد يتردد أنه تم إبرامه في جنيف تضمن وعدا من جانب أسانج بعدم نشر أي وثيقة يمكن أن تضر بأمن الكيان الصهيوني أو مصالحه الدبلوماسية.

فبعد فيروس "سكستون" الذي توغل في المفاعل النووي الإيراني من ثم تحديد موقعه في تل أبيب بحسب المختصين، وما كتب عن تورط الموساد في أحداث الحادي عشر من سبتمبر، خرجت إلى العلن ما عرف بقضية وكيليكس. ويرى الملاحظون أن مفعول وكيليكس لا يختلف في شيء عن مفعول قصف البرجين التوأمين في منهاتن.

وبحسب الصحيفة الاسرائيلية يكون جوليان أسانج تلقى أموالا مقابل شطب جزء كبير من وثائق ويكليكس، حيث مسحت الفترة بين سبتمبر 2006 (أي 33 يوما من حرب لبنان تم خلالها لقاء القمة بين لبنانيين وإسرائيليين وأمريكيين لتصفية حزب الله) وسبتمبر2008 ويتعلق الأمر بتحضير حرب غزة وتضيف الصحيفة بأن المقابلة التي جمعت أسانج بممثلي الموساد مسجلة على شريط فيديو. ثم يتباهى نتانياهو في العلن ويعبر عن سعادته بغياب وثائق تثبت جرائم إسرائيل. فيما لم تنج أي دولة في العالم من الفضائح"[24].

وقد اتسعت فضيحة التجسس الامريكي لتشمل بيانات مستخدمي محرر البحث الشهير "غوغل" بالاضافة الى حسابات مستخدمي موقع "ياهو" وصولا الى مقر الفاتيكان في روما.

ففي خبر نشرته صحيفة "واشنطن بوست" ذكرت فيه أن الوكالة الأميركية للأمن القومي تجسست على بيانات مئات الملايين من مستخدمي محركي البحث غوغل وياهو من بينهم أميركيون.

ويتيح البرنامج المسمى "موسكولار" الذي تستخدمه الوكالة الأميركية والقيادة العامة لاتصالات الحكومة البريطانية، جمع معلومات من خلال الألياف البصرية التي يستخدمها عملاقة الإنترنت وفقا لمستندات حصلت عليها الصحيفة من المستشار السابق للوكالة الأميركية إدوارد سنودن.

وذكرت الصحيفة أن البرنامج هو رديف سري لبرنامج "بريزم" الذي أتاح لوكالة الأمن القومي الحصول على معلومات من خلال أوامر قضائية مرسلة إلى الشركات التكنولوجية.

وردا على ذلك أكد محرك ياهو في بيان "لقد وضعنا وسائل مراقبة شديدة الصرامة لحماية أمن مراكز حفظ البيانات ولم نسمح بالوصول إلى هذه المراكز لا لوكالة الأمن القومي الأميركية أو لأي وكالة حكومية غيرها". كما أكد المسؤول القانوني في غوغل (ديفيد دروموند) أن مجموعته ليست ضالعة في هذه الأمور، وقال: إنه فوجئ بحجمها. وأضاف " لا نسمح لأي حكومة بالدخول إلى أنظمتنا بما في ذلك الحكومة الأميركية، ولقد فوجئنا بحجم عمليات الاعتراض التي قامت بها الحكومة انطلاقا من شبكات الألياف الخاصة بنا، ما يؤكد الحاجة لإجراء إصلاح عاجل".

اما مجلة بانوراما فذكرت، أن وكالة الأمن القومي تجسست على مكالمات هاتفية خاصة بالفاتيكان ربما شملت مكالمات أثناء المناقشات بشأن من يخلف البابا بندكتوس.

ووفقا للمجلة التي لم تكشف عن مصدر معلوماتها- فإن الوكالة الأمريكية تنصتت على 46 مليون مكالمة هاتفية في إيطاليا في الفترة من العاشر من ديسمبر 2012 إلى الثامن من يناير 2013 بما في ذلك مكالمات مع الفاتيكان. وقالت المجلة في بيان صحافي قبل نشر تقريرها كاملا إن وكالة الأمن القومي تجسست على مكالمات هاتفية للبابا. وقال الفاتيكان انه لا علم له بمثل هذا النشاط[25].

اما اسعد العزوني وهو صحافي عربي فيقول: "بانها تتجسس على اصدقائها وحلفائها قبل ان تتجسس على اعدائها، وتواصل تجنيد جواسيسها باستمرار. فمصر الهدف المفضل (للموساد الاسرائيلي) والعراق بات ساحة مكشوفة منذ الاحتلال الامريكي. والتجسس (الاسرائيلي) على العرب انتقل من الارض الى الفضاء واقمار افق تمسحنا يوميا"[26].

ويقول الخبير الإعلامي في مراكز الناشئة بإمارة الشارقة هشام الدباغ: "ربما ما لا يعرفه الناس أن البنتاجون استطاع أن يؤسس مكتبا خطيرا والذي يعرف باسم: مكتب المنظومات المعلوماتية والذي يتمثل دوره في (التجسس) على الإنترنت وعلى الهواتف الجوالة داخل وخارج الولايات الأمريكية هذا المكتب يعتبر من أكثر المكاتب حركة ونشاطاً يحمل الاسم الرسمي التالي: (مكتب البحوث الدفاعية المتقدمة) بحيث إنه يستمد معلوماته مباشرة عبر الأقمار الصناعية وفق نظام يبدو معقداً ولكنه يقوم على مجموعة من الأرقام والأسماء والدول التي يتم التركيز عليها في عملية البحث عن الإرهابيين المحتملين، ليس هذا فقط، بل ثمة ملفات رقمية مشفرة عن ملايين الأشخاص الذين توضع عليهم إشارة رقمية لتحديد أهمية كل ملف وبالتالي أهمية كل شخص يرمز إليه الملف.

ويضيف ان هناك عدداً من الصحافيين يطلق عليه اسم (العين السحرية) ويضم مجموعة من الخبراء في نظام الإعلام الرقمي، وخبراء نفسانيين مختصين في علم الجريمة، لهذا فإن تقارب التخصصات يندرج أساساً في نفس الهدف الذي يريد البنتاجون الوصول إليه متفادياً أخطاء الحرب الباردة التي كانت تقوم على جملة من المفاهيم التي لا يمكن إدراجها بنفس المعاني اليوم، على اعتبار أن العلم تطور والذين أرادوا الوصول إلى درجات عالية من الخبرة التكنولوجية هم أنفسهم الذين يسعون إلى احتكارها واعتمادها كوسيلة للضغط على الآخرين عبر حرمانهم منها، وبالتالي اخضاعهم الى اسلوب التخلف العلمي كما حدث في دول العالم الثالث[27].

Google Earth جوجل إرث: *

يعتبر "الجوجل إرث" برنامجاً خرائطياً ومعلوماتياً في نفس الوقت، تم انشاؤه من قبل شركة "كي هول" التي امتلكتها جوجل عام 2004. ويقوم هذا البرنامج برسم خريطة خاصة بالكرة الارضية. وهذه الخريطة هي صورة لكوكب الارض او جزء منه، بحيث تختلف تلك الخرائط عن الصور الجوية، كما ان هذه الخرائط يمكن رسمها عن طريق الانظمة الحاسوبية.

ومن خلال "الجوجل إرث" يمكن للمستخدم ان يشاهد دولة او مدينة ما، من ثم المنطقة من ثم الحي والشارع وصولا الى المبنى. ويمكن استخدامه كدليل سياحي ايضا. والاضافة لاستخدام برنامج جوجل إرث عبر الكومبيوتر وللاب توب فقد اصبح يستخدم من خلال تنزيل البرنامج عبر الاجهزة الذكية (الموبايلات) واستخدامه بطريقة مجانية.

ويمكن استخدامه من قبل الاجهزة الامنية لمعرفة مكان اللصوص والمجرمين، ومراقبة الاشخاص والمواقع ورصد الاحداث ايضا.كما تقوم باستخدامه اجهزة المخابرات العامة والاستخبارات العسكرية من الناحية الامنية ايضا.

كما تقوم وسائل الاعلام (الفضائيات) باستخدام "جوجل إرث" عبر الاقمار الصناعية لنقل الاحداث والاعتصامات والتظاهرات والمؤتمرات وغيرها وعلى الهواء مباشرة من دون الحاجة الى مندوب او مراسل للمحطة ما يوفر عليها تكلفة عناء سفرهم وصعوبة تنقلهم من منطقة الى منطقة اضافة الى توفير الوقت والجهد والتوفير المادي ايضا.

◆ اختراق الحاسوب وبطاقات الائتمان:

ليس من الغريب ان نجد أجهزة نسخ البيانات والمعلومات من البطاقات الائتمانية اصبحت سوقا رائجة حول العالم، بحيث تباع هذه الأجهزة على الإنترنت، وفي المزادات الإلكترونية بأسعار تتراوح بين 350 و1000 دولار، كما يستطيع القراصنة الحصول عليها وتركيبها بسهولة.

ومن اكثر ما يثير قلق المتعاملين ببطاقات الائتمان عبر الانترنت ان اشهر صور النصب والاحتيال هي النصب عن طريق التعامل ببطاقات الائتمان، الامر الذي دفع بشركات بطاقات الائتمان الطلب من عملائها بعدم استخدام رقم البطاقة الائتمانية في المعاملات عبر الانترنت.

والجدير بالذكر ان منطقة الشرق اوسط ومنطقة افريقيا اصبحت ميداناً سهلا لحدوث عمليات القرصنة والسطو، والسبب يعود لعدم امتلاكها تكنولوجيا حديثة وكافية ما يجعلها عرضة لتزوير بطاقاتها الائتمانية. وبما ان وسائل الرقابة

والتأمين تختلف من بنك لاخر فان عملية سرقة البطاقات الائتمانية تتم من خلال سرقة المعلومات الموجودة على الشريط الممغنط بالبطاقة الائتمانية من خلال لصق أو توصيل جهاز صغير بماكينة الصرف الآلي يجري من خلالها التقاط الرقم السري للعميل. وقد تقوم بعض المتاجر بوضع جهاز بجوار ماكينة الدفع الإلكتروني يمكنه نسخ كل المعلومات الموجودة على البطاقة.

وتعتبر مصر الدولة العربية الاولى التي يتم فيها اكتشاف عملية التلاعب بالدفع النقدي الالكتروني، فقد تمكن طالبان جامعيان عن طريق شبكة الانترنت القيام بهذه العملية من خلال معرفة الرقم السري على الانترنت لحساب احد العملاء العاملين بأحد البنوك الحكومية في مصر. الامر الذي مكنهما من القيام بسحب (نصف مليون) جنيه من رصيده.

ففي مقال نشر الكترونياً للكاتب سيد صالح يقول: "لم يعد هناك أحد بمأمن عن عمليات الاحتيال الالكتروني، فقد حدثت عمليات سطو على بطاقات ائتمانية لشخصيات دولية بارزة، لكن في النهاية تسقط أقنعة اللصوص، ويتم تقديمهم للمحاكمة.

ويضيف ان أجهزة لنسخ معلومات البطاقات الائتمانية وكاميرات دقيقة لالتقاط الرقم السري في وزارة الداخلية المصرية، إدارة للمعلومات والتوثيق، يترأسها اللواء محمود الرشيدي، مهمتها التصدي لعمليات القرصنة، وكافة الجرائم التي تتم عبر شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، والسطو على الحسابات المالية، وتحويل الأموال، والشراء الالكتروني وكافة الجرائم التي تقع بواسطة الانترنت، عبر الاستعانة بأحدث الأجهزة والمعدات التكنولوجية المتطورة لكشف الجرائم، وضبط مرتكبيها، سواء تم الاتصال بالانترنت من خلال رقم الهاتف، أو لاسلكيا عبر القمر الصناعي، ومن خلال الدليل الرقمي للجهاز الحاسب المستخدم في تنفيذ الجريمة يتم ضبط الجناة، وعمليات السطو الائتماني هذه لا تشكل ظاهرة في مصر. لكن 99٪ من عمليات السطو على البيانات تتم خارج البلاد. أو عبر عصابات دولية أو من خلال مواقع محددة (إباحية أو غرف دردشة) يرتادها ذوو الميول



الإجرامية والإباحية، وتلتقي هذه الأفكار والميول، حيث يعرضون بيانات بطاقات الائتمان المسروقة للبيع، فيقوم البعض بشراء هذه البيانات ثم استغلالها في الشراء الالكتروني والتحويل غير المشروع للأموال.

ويضيف صالح في مقاله الالكتروني: "بان مصر كانت مسرحا لأخطر عمليات السطو المالي عبر الانترنت، التي تمكنت الإدارة العامة للمعلومات والتوثيق في وزارة الداخلية المصرية من ضبطها. والبداية كانت بلاغاً تلقته وزارة الداخلية المصرية من المباحث الفيدرالية الأمريكية بشأن إجراء تحويلات غير مشروعة للأموال من خلال أرقام تعريفية لبعض مستخدمي الانترنت في مصر. وعلى الفور أصدر اللواء حبيب العادلي وزير الداخلية تعليماته بالتأكد من مصداقية البلاغ ومدى صدق ما تضمنه من معلومات، والعمل وفق الأطر الشرعية المتبعة في مصر، والسرية التامة في البحث والتحري، والحفاظ علي سرية المعلومات والتحريات، كما تم التنسيق مع مختلف الأجهزة الفنية الرسمية بالدولة، وتبين بالبحث والتحري أن مرتكبي الواقعة هم 24 شابا من مركز دكرنس بالمنصورة، واتسعت دائرة الاتهامات لتطال أكثر من 50 شخصا، وقد أحال النائب العام المستشار عبدالمجيد محمود 43 متهماً إلى محكمة الجنايات أخيرا في هذه الواقعة، وقد تم الحصول علي كافة البيانات الخاصة بالواقعة من مزودي الخدمة الذين يلزمهم قانون الاتصالات بذلك في حالة ارتكاب جرائم الكترونية من خلالهم، وتبين أن المتهمين هم طلاب يترددون على المواقع الإباحية وغرف الدردشة، ويترددون على مقاهي الانترنت، فالتقوا بشباب من الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الانترنت التقت المصالح، واتفق قراصنة أمريكا و"دكرنس" بالمنصورة على إجراء تحويلات مالية غير مشروعة لكروت ائتمانية لمواطنين أمريكيين تم الحصول على بياناتها بالاحتيال، حيث كان يتم تحويل 40٪ من المبالغ المسروقة إلى بنوك في الولايات المتحدة، وتحويل 60٪ منها إلى مصر عبر شركة دولية شهيرة لتحويل الأموال"[28].

اما الدكتور حسين عبد المعطي استاذ هندسة الشبكات في جامعة عين شمس فيحدد ثلاث مراحل تمر بها جرائم القرصنة والجرائم عبر الانترنت منها

المستخدم نفسه، أو خلال عملية نقل البيانات والمعلومات بين المستخدم ومزود الخدمة، وهنا قد يتم اختراق قاعدة البيانات الخاصة بالشركة، والتي تتضمن الأرقام السرية للبطاقات وعناوين العملاء، أو عبر الشبكة التي تتعرض لعمليات قرصنة، وسطو إذا لم تكن مؤمنة بالشكل الكافي، حيث يستطيع المحتالون ومحترفو عمليات القرصنة الدخول على النظام خاصة إذا كانت كلمة المرور أو الرقم السري قصيرا[29].

اما الخبير الاعلامي هشام الدباغ فيقول: "لقد حظيت شركة ميكروسوفت التي تعمل بنظام "الويندوز" وبنظام شبكة الاتصال عبر الانترنت دعم فني كبير من الإدارة الأميركية والتي استطاعت أن تفرض عند كل برمجة للويندوز تحديد ما يسمى تطابقاً في ملكية الشخص المستعمل، حتى لو كان الأمر يتعلق بمقهى انترنت. فجهاز الكمبيوتر بكل أنظمته الجديدة، بالخصوص بنظام (الإكس بي) الجديد يعد جاهزاً للتواصل مع الآخرين، بينما من الناحية النظرية فهو الشكل الذي يتطابق مع نظام الرقابة الأمريكي الذي يستطيع فعلاً أن يراقب ملايين أجهزة الميكروسوفت المدعومة بإمكانية الاتصال عبر الإنترنت الذي هو في الأخير مصيدة جيدة. فكلما استغرق الشخص الوقت في تصفح الانترنت كلما كانت الفرصة جيدة لمراقبة جهازه وبالتالي مراقبة الصفحات التي يتصفحها عبر الإنترنت ويضيف الدباغ بان معظم الدول تتعامل بنظام البطاقات البنكية، ولعل بطاقات (اكسبريس) و(أمريكا) و(أوروبا) وفيزا تعد من أكثر البطاقات البنكية شهرة، وهي التي تبدو مزودة بشرائح رقمية الكترونية يمكن لصاحبها أن يسحب بموجب رقم سري خاص به ما يشاء من المال من أي مكان يريد، سواء داخل بلده أو خارجه من دون أن ينتبه أو يعرف أن تلك البطاقة المزودة بنظام رقمي خاص بمجرد وضعها في جهاز خاص ترسل إشارات بعيدة المدى عبر الأقمار الصناعية إلى مكتب البحوث الدفاعية المتقدمة الذي يعمل بعدها آليا على مراقبة عملية السحب، بحيث يعمل النظام الرقمي على تحديد هوية الساحب في ظرف ثوانٍ فقط، وهذا ما يجري يقيناً في أميركا وبعض دول العالم"[30].

والجدير بالذكر انه في عام 2010 تمكن شاب سعودي يدعى (اكس عمر) وفريقه المعاون ان يسبب رعباً لاسرائيل من خلال اختراقه عشرات الالاف من بطاقات الائتمان الاسرائيلية، وذلك رداً على الممارسات الاسرائيلية في فلسطين.

وقد ذكر انه تسوق بـ 200 الف دولار من هذه البطاقات وان لديه بيانات ومعلومات عن مليون اسرائيلي. الا ان اسرائيل هددت باللجوء الى الانتربول لتعقبه.

"كما تمكن "هاكر مغربي" من مهاجمة مئات المواقع الاسرائيلية (حوالي 850) موقعاً، وتمكن من تدمير عدة مواقع مثل موقع اكبر جامعة صهيونية، ومواقع شركات وبنوك ومنتديات تعود ملكيتها الى مؤسسات صهيونية"[31].

"وقد كان لتدمير هذه المواقع احد المجالات التي تمكن فيها الكثيرون من المساهمة في دعم انتفاضة الشعب الفلسطيني، حيث تمكن الكثير من المختصين من مهاجمة مواقع اسرائيلية مهمة كموقع الكنيست ووزارة الخارجية والدفاع الاسرائيليتين"[32].

والجدير بالذكر انه بالامكان تسويق سلع غير اصلية او مزيفة عن طريق بطاقات الائتمان عبر شبكة الانترنت، من دون ادنى حماية للمستهلك، وابرز مثال على ذلك هو ان خبراء مكافحة التزوير في بريطانيا قد حذروا من انتشار حبوب (الفياجرا) المزيفة والتي يتم صنعها في الهند وتايلاند بشكل يخالف للمواصفات الاصلية للاقراص الحقيقية، وهذه الاقراص المقلدة تحوي على نسبة قليلة جداً من المادة الاصلية الموجودة في حبوب الفياجرا الحقيقية، وربما لا تحوي عليها اطلاقاً.

اما اليوتيوب فقد حاول الهاكر ومحترفو السطو على اختراقه سواء اكانوا اشخاصاً ام جهات، وتعطيل ما يبث فيه من افلام ومحاضرات، بل قد تم بث برامج تعارض وتناقض الهدف الرئيس للموقع يمكن ان تتعارض مع قيمنا واخلاقنا. وقد قامت بعض الدول بحجب موقع اليوتيوب. ففي الصين تم حجب موقع اليوتيوب عندما ظهرت افلام فيديو تظهر ضباطا صينيين يضربون رهباناً في الاديرة البوذية، ما دفع السلطات الصينية الى حجب الموقع.

ولا شك ان البريد الالكتروني ايضا لم يسلم من محاولة الاختراق وعمليات الهاكرز بحيث يحاول الهاكرز ارسال رسالة الى بريدك الالكتروني تبدأ بتحية العميل حتى لو كان هذا العميل قد اضاف برنامجا مضاداً لمثل هذه الرسائل الدعائية على الجهاز، وبمجرد فتح الرسالة يمكن اختراق بريدك الالكتروني بسهولة.

ويمكن ان تتم عمليات الاختراق والهاكر من قبل جهات او اشخاص محترفين والاطلاع على محتويات بريدك الخاصة بك، وهذا يعني اختراقاً لخصوصيتك، ما يتسبب لك اضرارا بالغة الخطورة، وهذه العملية يمكن محاولتها ايضا مع اصحاب البنوك والشركات والمؤسسات والمصانع او المالية بهدف معرفة اسرارها من حيث سعر السوق وقدرتها التنافسية وارباحها وخسائرها، وربما يصل الحال بالهاكرز ان يستغل هذه المعلومات للقيام بالتهديد بها وكشفها امام القضاء او الجمهور.

وقد صدر برنامج تجسسي جديد موّجه نحو الهواتف النقالة العاملة بنظام "آندرويد"، قادر على تسجيل المكالمات الصوتية، واستخدام الكاميرا لتسجيل الفيديو دون علم الضحية، ونسخ الصور والرسائل، وسرقة البريد الإلكتروني وحساب "فيس بوك"، والكثير من آليات التحكم الأخرى ووفق قاموس الخبراء التقنيين، يندرج البرنامج التجسسي الجديد ضمن فئة "الجرذان وهو اختصار لعبارة "أداة الإدارة عن بعد". وهي برامج ذات واجهة تحكم يستخدمها صاحب البرنامج لسرقة البيانات من الجهاز الضحية. ويطلق على البرنامج الجديد اسم "ديندرويد"، وقد عرض للبيع مقابل 300 دولار فقط. وبالإضافة إلى قدرته على التحكم الكامل بالهاتف، والوصول إلى جميع البيانات فيه، فإن "ديندرويد" يمتاز أيضاً بسهولة انتشاره. فقد زوده مبرمجوه بالقدرة على تجاوز نظام الفحص الخاص بمتجر غوغل الإلكتروني "غوغل بلاي وبالنسبة للإجراءات المطلوبة لتحاشي وصول هذا البرنامج إلى الجهاز المحمول، ينصح الخبراء بالالتزام بالخطوات الأمنية الوقائية الاعتيادية. وذلك من خلال تجنب تحميل التطبيقات والبرامج من مصادر غير موثوقة، واستخدام برامج مكافحة الفيروسات الخاصة بالأجهزة النقالة[33].



اما برنامج (السكايب) فقد تمكن البعض من اختراق الملف الشخصي لمستخدمي هذا البرنامج وتغيير كلمة السر، وتشفير ملفات الشخص كافة ما يؤدي لعدم دخوله الى حسابه مرة اخرى. كما ان بعض الاختراقات من قبل اشخاص او جهات معينة يمكن ان تطالب بدفع مبلغ مالي لاعادة الحساب الى صاحبه. وقد قامت بعض الحكومات بحظر استخدام هذا البرنامج في بلدانها بحجة مخالفته للقوانين او ربما لاحتوائه على ملفات تعارض امنها القومي.

اما لموقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) فقد اكد "جيرالد نير" الاستاذ في علم في كلية علم النفس في جامعة بروفانس الفرنسية وصاحب كتاب "مخاطر الانترنت" ان هذه الشبكة تم الكشف عنها في ايار عام 2001 وهي عبارة عن مجموعة شبكات يديرها مختصون نفسانيون اسرائيليون مجندون لاستقطاب شباب من العالم الثالث في الدول العربية وامريكا الجنوبية عن طريق استغلال الدردشة عبر الفيسبوك في معرفة نقاط الضعف عند هؤلاء لاستغلالها في تجنيدهم لخدمة اهداف استخباراتية [34].

ويمكننا القول، انه على الرغم من ان الكثيرين ممن يستخدمون الانترنت لديهم القدرة على مواجهة عمليات القرصنة ومحترفي السطو بكل اشكاله، الا انه لا توجد طرق آمنة ضد عمليات القرصنة، ولابد أن يكون مستخدم الإنترنت حريصا ولا يقبل أية رسالة أو إميل مجهول المصدر، كذلك من الضروري تشغيل البرامج المضادة للفيروسات باستمرار، والاستعانة ببرامج الحماية ومنها برنامج "فيروول" أو ما يطلق عليه الحوائط النارية، لمنع الدخول غير الشرعي من جانب القراصنة والمحتالين، فضلا عن تشفير المعلومات حتي يصعب علي القراصنة الوصول إليها وسرقتها. كما انه من الضروري مسح دوري شامل للجهاز في فترات متقاربة وعدم ارتياد مواقع مشبوهة لان القراصنة يستخدمون تلك المواقع في ادخال ملفات التجسس للضحايا، ومهما كان المستخدم حريصاً من عمليات السطو والقرصنة الا انه ليس بالامكان السيطرة على تلك العمليات سيطرة تامة او منع عمليات التلاعب والتزوير للبطاقات الائتمانية وغيرها من العمليات الاخرى، كما من الضروري تحديث

البرامج المضادة للرسائل الدعائية التي تأتينا عبر البريد الالكتروني وتحديثها باستمرار للتمكن من مواجهة التطورات التي يبتكرها المخادعون والمحتالون الالكترونيون للتقليل من حدوثها.

وينصح ايضا مستخدمو برنامج (سكايب) باستخدام عناوين بريد الكتروني خاص بهذا البرنامج يختلف عن عناوين البريد الشخصي للمستخدم، لان اختراق برنامج (السكايب) يتم عن طريق معرفة البريد الالكتروني (الايميل) للمستخدم وبذلك يقع ضحية لهذه الاختراقات الخبيثة.

❖ **الجرائم الالكترونية:**

لا شك بان الكتابة عن الجرائم الالكترونية ربما تحتاج الى فصل باكمله، او ربما لعنوان كتاب، لكن بما اننا نتحدث عن عصر الشيطان الالكتروني فلا بد ان نعرج على موضوع الجرائم الالكترونية، من خلال توضيح ولو القليل عن بعض النقاط الهامة فيما يتعلق بالجرائم الالكترونية وذلك على النحو الآتي:-

لعل اهم التأثيرات السلبية التي انتجتها ثورة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات المتنامية كانت زيادة معدلات الجرائم الذي لم تُكشف ابعاده بعد، بخاصة مع توالي التطورات التكنولوجية التي يشهدها عالمنا المعاصر اليوم.

وربما تكون الجرائم الالكترونية المرتكبة بطرق غير قانونية نوعين: النوع الاول: اما ضد اجهزة الكومبيوتر وشبكات الاتصال، والنوع الثاني: ارتكاب الجرائم باستخدام الكومبيوتر وشبكات الاتصال. ونبدأ اولا بالنوع الاول على النحو الآتي:-

اولاً: الجرائم الالكترونية ضد اجهزة الكومبيوتر:

ويتضمن هذا النوع من الجرائم سرقات الكترونية عديدة على النحو الآتي:-

1- الاقراص الصلبة والمرنة:

اصبحت سرقة الاقراص الصلبة الموجودة في اجهزة الكومبيوتر تشكل مخاطر كبيرة، حيث يقوم اللصوص المحترفون لمثل هذا النوع من السرقات بسرقة

وحدة نظام الكومبيوتر ويتركون اجزاءه الخارجية، وربما تكون السرقات هي شحنات من رقائق الكومبيوتر الدقيقة التي من شأنها معالجة ارصفة شحن السفن، وتفريغها من المراكز التجارية الضخمة او تفريغها من الموانىء.

والجدير بالذكر انه تم سرقة كومبيوتر من سيارة ضابط بريطاني، وتصادف ان هذا الجهاز للجنرال الامريكي (نورمان شوارزكوف) حيث كان يحتوي جهازه على خطط تمهيدية لغزو العراق. لكن هذه الخطط الموجودة في جهاز الكومبيوتر التي تم سرقتها لم تكن متوافقة مع ما تم بالفعل اثناء الحرب على العراق.

اما سرقة الاقراص المرنة فهي عملية مادية الشكل كمحاولة القيام بنسخ برامج الكومبيوتر، لذا فان منتجي الشركات يحاولون البحث دائما عن شركات تشتري نسخة واحدة من البرنامج فقط، وتنسخ منها نسخاً بعدد اجهزة الكومبيوتر التي تملكها تلك الشركات.

كما ان هناك العديد من انماط سرقة الاقراص المرنة كمحاولة القراصنة بالقيام بنسخ او تزوير البرامج الشهيرة مثل: (دوس) و(وندوز) وغيرها من البرامج . وهؤلاء القراصنة غالباً ما يعملون في المكسيك وتايون وروسيا، اضافة الى مناطق عدة في آسيا وأمريكا اللاتينية.

ويعتقد ان اكثر من 90٪ من برامج الكومبيوتر الامريكية المستخدمة بالفعل ربما تم نسخها بطرق غير قانونية.

2- سرقة وقت الكومبيوتر:

يعتبر سرقة وقت الكومبيوتر الاكثر شيوعاً، حيث يتم سرقت الوقت من قبل أناس يستخدمون الكومبيوتر اما في مجال العمل من خلال ممارستهم لالعاب عديدة مختلفة ومتنوعة، او يتم استخدامه من خلال قيامهم بإعمال اضافية على جهاز الكومبيوتر الى جانب عملهم الاصلي. وهذا النوع من السرقات يزداد بين الصحافيين والمحررين في دول الجنوب والعالم العربي بخاصة العاملين في المؤسسات الصحافية والاعلامية الرسمية.

3- سرقة الخدمات الالكترونية:

نلاحظ ان سرقة الخدمات الكابلية والتليفونية من قبل القراصنة قد ازدادت عبر السنوات الماضية ولا تزال. وهذه السرقات مثل سرقة الخطوط التلفونية، والدخول الى نظم البريد الصوتي، وهذه وسيلة جديدة اصبح اللصوص يدخلون من خلالها لاجراء مكالمات خاصة بالمسافات الطويلة على حساب شركة ما، اضافة الى استخدام وسائل اخرى كوسيلة التسلل الى شبكات التلفون الخلوي لاجراء المكالمات المجانية.

4- سرقات المعلومات الالكترونية:

وهذا الشكل من السرقات يقوم به اللصوص والقراصنة بحيث يخترقون شركات هامة او مؤسسات او وزارات ويسرقون سجلات شخصية هامة للغاية، من ثم يقومون ببيعها. ويقوم اللصوص ايضا بالتسلل الى اجهزة الكومبيوتر لمكاتب الائتمان الرئيسة حيث يقومون بسرقة معلومات ائتمانية . كما يمكنهم التسلل الى معلومات تتعلق بالتعليم بهدف الاطلاع على درجات الطلاب وعلاماتهم او القيام بسرقة اوراق الامتحان وبيعها للطلاب.

5- جرائم الاذى والتدمير الالكتروني:

لا شك بان المجرمين يسعون في بعض الاحيان الى الاساءة في استخدام الكومبيوتر ونظم الاتصالات اكثر من سعيهم لجني الارباح، من خلال استخدامهم الفيروسات.

وقد ترددت تحذيرات عدة في اوساط صناعة الكومبيوتر من الفيروسات التي يمكنها ان تنتشر داخل الشبكات من دون مساعدة، وهذا النوع من الفيروسات ويحمل الاسم (ريموت إكسبلورر) يبدأ عمله في تخريب الملفات اثناء الليل او العطلات من دون مساعدة، كما يمكن ان يصيب جهازاً من دون ان يقوم المستخدم بفتح ملفاته والتي ربما تكون ملحقة برسائل البريد الالكتروني. وهذا النوع من الفيروسات متطور لدرجة ان بامكانه ان ينتشر داخل شبكة ما من دون ان يضطر للاختباء في الملفات او داخل رسائل البريد الالكترونية .

والجدير بالذكر ان ظهور فيروس (ميلسا) اصابت (100) الف جهاز كومبيوتر خلال الثلث الاول، الامر الذي اثار الفزع بين المستخدمين سواء اكانوا افرادا ام شركات. ما دفع شركة ميكروسوفت العالمية الى وقف خدمات البريد الالكترونية الخاصة بها بعض الوقت لتجنب مخاطره.

وفيروس(ميلسا) الذي اطلق عليه هذا الاسم هو نسبة الى احدى الراقصات في ولاية فلوريدا الامريكية. وقد كان سبب التغلب على هذا الفيروس هو العمل الدؤوب المتواصل لصانعي البرامج المضادة للفيروسات.

ثانياً: **الجرائم الالكترونية باستخدام الكومبيوتر وشبكات الاتصال:**

يتمثل الجانب الاخر من الجرائم باستخدام اجهزة الكومبيوتر وشبكات الاتصال لتنفيذ الجرائم من خلالها وهي على النحو الآتي:-

1- **العلاقات غير الشرعية عبر الانترنت:**

بمجرد دخول المشترك على المواقع التي يحتويها الانترنت عليه ان يحدد شكل العلاقة التي يريدها سواء اكان ذكرا ام انثى. وقد استغلت شبكة المافيا العالمية هذه المواقع لتحقيق ارباحا زهيدة من خلال العلاقات المحرمة وغير الشرعية التي تُقام عبر شبكة الانترنت، كما تقوم بتسويق الفتيات والسيدات من بعض دول اوروبا الشرقية وروسيا واوكرانيا في هذه المواقع عبر تلك الشبكة.

2- **زعزة العقيدة:**

نلاحظ قيام بعض المنظمات المشبوهة عبر شبكة الانترنت بمحاولة تشويه القرآن الكريم او الاساءة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم سواء بالنصوص او الرسومات او الصور او الفيديوهات.

وقد قامت بعض المنظمات المشبوهة باخراج فيلم بعنوان: (مُحمد نبّي الاسلام) والذي تم عرض جزء منه عبر موقع اليوتيوب في العاشر من سبتمر 2012.

وفي لقاء حصري عبر شاشة احدى الفضائيات العربية قدمت ممثلة الفيلم (سيندي ليغارسيا) اعتذاراً بقولها: "لقد فوجئت ولم يكن الفيلم كما كان يجب

ان يكون، فقد كان اسم الفيلم عند الاعداد له (محاربي الصحراء) حيث طُلب مني ان اقوم بدور الام، واثناء التصوير كان معي النص لكن لم يكن فيه اطلاقاً كلمة محمد او مسلمين، ولا كان هناك اي محتوى جنسي. وخلال التصوير ولثلاثة ايام كنت موجودة ولم تكن لدي فكرة عما يجري في عقل المنتج الى ان شاهدت الفيلم عبر اليوتيوب وجاء هذا بعد اكثر من سنة من اعداد الفيلم، واتصلت بالمنتج لاعرف ماذا بشأن هذا الفيلم، وقد اصبت بالصدمة ولم افهم ما الذي اشاهده".

واضافت (ليغارسيا) قائلة: "لقد وجهت سؤالا الى منتج الفيلم: لماذا فعلت هذا بنا وبالجميع ؟ فأجابها: قولي لكل العالم انك بريئة، وان شبكات التلفزيونات تلاحقه. واضاف منتج الفيلم انه فعل ذلك لانه كان متعباً من الاسلام ومن المتشددين الذي يضرون بالناس وباسرائيل".

وتقول (ليغارسا): "انني عندما شاهدت بداية الفيلم جعلني اعتقد انه من مصر، وبالتأكيد فقد قال لي منتج الفيلم انه كتب النص وكان يُشار اليه بالسيد (جورج) ولم يُذكر اسم محمد او اسم المسلمين في الفيلم".

وقد تصاعدت حدة ردرود فعل المسلمين في انحاء العالم على هذا الفيلم المسيء للرسول الكريم.

وقد شن الكثير من الصحافيين في دول العالم العربي بخاصة في مصر النار على اقباط المهجر. كما وجُهت اتهامات كثيرة لاقباط مصر والمهجر، لاعتقادهم انهم هم من انتجوا هذا الفيلم، لكن الذين قاموا بشن النار على الاقباط وتوجيه التهم لهم لم يدركوا ان هذا الفيلم له ابعاد سياسية اكثر منها دينية في اشعال نار الفتنة في الدول الاسلامية والعالم العربي، بخاصة داخل مصر التي كانت تعتبر المقر الرئيس لجماعة الاخوان المسلمين قبل الثورة الاخيرة التي شهدتها مصر.

فما اكده منتج الفيلم اثناء توجيه السؤال له من قبل ممثلة الفيلم (ليغارسيا) عبر احدى الفضائيات العربية بانه متضرر ومتعب من المتشددين الاسلاميين الذين يضرون بالناس وباسرائيل. الامر الذي يجعلنا نتساءل! لماذا ركز منتج الفيلم على دولة (اسرائيل)؟ وما الذي يدفعه للاهتمام بها ؟

وفي هذا الاطار يمكننا القول بان المنظمات المشبوهة التي قامت بانتاج واخراج هذا الفيلم ليسوا الاقباط، بل ان وراء هذه المنظمات المشبوهة حركات صهيونية قامت بانتاج الفيلم واخراجه لزرع الطائفية والفتن والعمل على التفرقة العنصرية من خلال هذا الفيلم.

3- الاباحية الجنسية عبر الانترنت:

مع التطور التكنولوجي انتشر عبر شبكة الانترنت ما يسمى بـ "الاباحية الالكترونية" من حيث تبادل الصور الفوتوغرافية المخلة بالآداب والاخلاق، حيث اضحى هناك اندية اباحية في الدول الغربية تباشر عملها عن طريق الشبكة العنكبوتية العالمية ما ادى الى انتشار ما يسمى بـ " دعارة الاطفال".

فقد اكتشفت الشرطة البريطانية شبكات دولية عديدة تقف وراء الاعمال المنافية والمخلة بالاداب تنتشر فروعها وتتوسع في معظم الدول الاوروبية والولايات المتحدة واستراليا. الامر الذي دفع بتشكيل فرقة لضبط الفروع على ان يكون مقرها لندن، وتقوم هذه الفرقة بالاتصال والتنسيق مع اجهزة الشركة في الدول المعنية.

وفي عام 1998 "قامت قوات الشركة في تلك البلدان بمهاجمة 105 موقعاً، وتم القبض على 50 شخصاً، وكانت المواد المصورة التي تم العثور عليها تعتبر الاكبر من نوعها، حيث تم العثور على أكثر من 45 الف صورة لطفل وطفلة، كما قام أحد البريطانيين بتصوير نفسه وهو يمارس الرذيلة مع الاطفال، ويقوم ببث هذه الافعال عبر الشبكة[35]". الامر الذي دفع بمنظمة اليونيسكو الى عقد المؤتمر الدولي الاول لمكافحة دعارة الاطفال عبر الانترنت عام 1999.

"وقد أكد علماء النفس الألمان ان الزيادة الكبيرة للغاية في عدد الاشخاص الذين اصبحوا لايستطيعون السيطرة على غرائزهم الجنسية ترجع الى المواقع الإباحية والدردشة الجنسية على شبكة الانترنت. ويبدو أن هذه المشكلة ليست في ألمانيا وحدها ففي الوقت الذي يزور فيه 15 بالمائة من الأمريكيين ال 57

مليونا الذين يتصفحون الإنترنت مواقع ذات توجه جنسي دون أن يتأثروا سلبيا ، تشكل هذه المواقع أخطارا على بعض الناس. بينما من الواضح أن أعدادا كبيرة من الأمريكيين يستخدمون الإنترنت سعيا وراء الجنس، تشير دراسات سابقة إلى أن موضوع الجنس يحتل المرتبة الأولى بين المواضيع التي يقصدها زوار الشبكة.

ويبدو أن الجنس أو التفكير به يهيمن على عقول مثل هؤلاء الأشخاص مما جعل من الصعب عليهم العمل أو الاشتراك في علاقات شخصية سليمة

وينشغل المدمنون على الجنس بالتفكير المشوش وغالباً ما يلجأون لتبرير تصرفاتهم وإلقاء اللوم على الآخرين، وهم بصورة عامة ينكرون وجود مشكلة لديهم ويجدون أعذاراً لأفعاله

ويرتبط الإدمان الجنسي أيضاً بركوب المخاطر. فالشخص المدمن في هذه الحالة يوقع نفسه في كافة أشكال النشاط الجنسي على الرغم من العواقب الوخيمة المحتملة لمثل هذه الأفعال

فبالإضافة إلى إلحاق الأذى في علاقات المدمن والتدخل في عمله وحياته الاجتماعية ، فإن الإدمان على الجنس يعرض الشخص لخطر الإصابة العاطفية والجسدية[36]".

ففي دراسة اجرتها منظمة تكنولوجية علمية متخصصة في بريطانيا اظهرت ان العرب يستعملون يوميا نحو 40 مليون مرة على محرك البحث الالكتروني "جوجل" ومحركات البحث الاخرى، بكتابة كلمة (جنس) بالعربية او كتابتها باللغة الانجليزية.

وبحسب الدراسة فان حصة السوق الاردني لا تقل عن بلدان عربية اخرى. وما هو لافت في الاردن هو ان الاطفال والمراهقين، هم الاكثر استعمالا لكلمة "جنس" على محركات البحث الالكتروني، فحصتهم تجاوزت 60٪.

وقد اظهرت الدراسة الى ان الاطفال مستعدون لنشر معلومات شخصية عنهم على شبكة الانترنت، في ظل غياب تام لرقابة او معرفة من قبل الاهل لما

يتعرض له اطفالهم على عبر هذه الشبكة. الامر الذي يؤكد ان المتصفح العربي عموماً لشبكة الانترنت وبالاخص لتلك المواقع الاباحية اصبح "مستهلكاً جنسياً" بخاصة في ظل ثورة التكنولوجيا التي سببت قلقاً وانفلاتاً تربوياً واجتماعياً وثقافياً، ما يعكس خطورة على القيم والمبادىء والعقيدة، وربما ان الاستهلاك الجنسي بالنسبة للمجتمعات غير العربية يكون مقبولا وامر طبيعي الاخرى وهذا يعود لاختلاف النظرة الدينية والثقافية والاجتماعية للجنس.

والجدير بالذكر ان تفحص تلك المواقع بدقة تامة نكتشف بان عالم الجنس عبر الانترنت عالم منظم ودقيقتقف وراءه جهات خبيثة لها اهداف شيطانية في الاستهلاك الجنسي عن طريق الكاميرات وغرف الدردشة وعبر وسائل التواصل الاجتماعي بخاصة مع غياب ادوات الرقابة على تلك المواقع ، وغياب الرقابة العائلية ايضاً.

والغريب بالامر ان تقوم بعض المواقع الاخبارية واخرى ملتزمة باستغلال (الجنس العربي) على مواقعها من خلال روابط التصفح المجانية.

4- الانتحار:

قد يستغرب القارىء عندما يقرأ او يسمع بان اليابان وفرت خدمة خاصة للانتحار عبر الانترنت بهدف تسهيل عملية قتل النفس لكل من يرغب الانتحار.

وقد ساعدت هذه الخدمة امرأة واحدة اقدمت على الانتحار. كما اقدم سبعة اشخاص على الانتحار وذلك بطلب سبعة طرود بريدية من اقراص سيانيد البوتاسيوم القاتلة تم ارسالها لهم الكترونياً. كما طلب شخصان كبسولات سيانيد البوتاسيوم القاتلة.

وفي عام 1998 اكتشفت الشرطة اليابانية هذا الموقع وتبين ان صاحبه (صيدلي) يمتلك ترخيصاً بمزاولة المهنة.

"والجدير بالذكر ان هذا الموقع يعرض الكبسولة الواحدة التي تؤدي الى الموت مقابل مبلغ يتراوح بين 258 و 430 دولاراً [(37)]".

5- تهديدات الامن العام:

لا شك بان قناعتنا تزداد يوماً بعد يوم لامكانية الاستخدام السلبي لشبكة الانترنت من قبل العناصر الهدامة التي تسعى لهدم المجتمعات. ومن الملاحظ ان الجرائم عبر الكومبيوتر تزداد وتتوسع، وهذه الجرائم تتصل بالامن العام والحق الشخصي. وما يذكر في المجال العسكري له مقابل في التجسس الصناعي والتجاري والبحث العلمي ايضا.

ففي الدول المستخدمة لشبكة الانترنت اكتشفت الجهات الامنية رسائل مشفرة على الشبكة تتعلق بتهريب المخدرات والحث على العنف والتخريب من قبل عناصر متطرفة ومنفذة للحروب الاهلية، حيث اكدت تلك المخاوف والجرائم عملية الانفجار الرهيبة التي شهدتها مدينة اوكلاهوما الامريكية في 9- 4- 1995، وظل القصف الاكثر دموية وهو الهجوم الارهابي في 11 ايلول عام 2001 على مركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك والبنتاجون خارج واشنطن العاصمة.

والجدير بالذكر ان شبكة وزارة الدفاع الامريكية تعرضت للاختراق الالكتروني اكثر من 300 مرة خلال عام 1994 .

6- التزوير والتزييف الالكتروني:

لا شك بان الكومبيوتر دخل وتوسع في مجال التزوير والتزييف الالكتروني نتيجة التطور الهائل في المجال التقني، حيث وصلت عمليات التزييف الى درجة عالية من الاتقان والمهارة، بحيث نجد انه بالامكان تزوير توقيع شخص ما، او شيك، او عقد شراء او بيع اراض او شقق، او ايصال امانة. ويمكن ايضا القيام بتزييف العملات الورقية التي تتطابق تماما مع العملة الاصلية والتي تتطلب مهارة عالية وخبرة واسعة لاكتشافها.

والجدير بالذكر اننا اصبحنا نشهد ما يسمى بـ "جريمة المعلومات" للبطاقة الشخصية لشخص ما، كما يوجد اشكال اخرى للتزوير والتزيف مثل توقيع شيكات ومستندات وعقود عن طريق جهاز المسح الضوئي وطابعة الكومبيوتر.

ونتيجة لانتشار اجهزة الكومبيوتر يصعب حصر القائمين على عمليات التزوير والتزييف وملاحقتهم.

7- جرائم العملات الافتراضية:

ان الحديث عن العملات الافتراضية (البيتكوين) وغيرها من العملات التي تولدت من خلالها ربما يطول ويحتاج الى شرح موسع، وما يهمنا في هذا الجزء هو توضيح انواع الجرائم بشكل مختصر.

تعتبر العملات التشفيرية تقنية جديدة خطيرة حيث تم تداول طرحها ولاول مرة عام 2009، بخاصة في اعقاب الازمة المالية العالمية حيث سطعت هذه العملة من قبل مبرمج مجهول الهوية استخدم اسماً مستعاراً هو (ستوشي ناكاموتو) وقدمها كأطروحة بحث وعرفها كنظام نقدي بديل يتم فيها التعامل المباشر بين مستخدم واخر من دون وسيط ويطلق عليها اسم "بيتكوين".

وتعتبر "بيتكوين" عملة تشفيرية افتراضية (ذهبية اللون) كالدولار واليورو والدينار والجنيه ...الخ، وتتم عبر الانترنت، وتعتمد على مبادىء التشفير في جميع جوانبها، وتتم من دون وسيط، ولا يوجد لها هيئة تنظيمية مركزية، وليس لها سلطة، ولا تنمو وحداتها المتداولة الا بإيقاع محدود. ويمكن استخدامها كأي عملة اخرى للشراء عبر الانترنت وتحويلها لعملات تقليدية وهذا هو الاختلاف ما بينها وما بين العملات التقليدية. والهدف من هذه العملة هو تغيير الاقتصاد العالمي بنفس الطريقة التي غيرت بها الويب أساليب النشر. كما ان الهدف منها هو الابتعاد عن مركزية البنوك الكبرى.

وتجدر الاشارة هنا الى ان "بيتكوين" ليست العملة الافتراضية الوحيدة المتواجدة حاليًا في الأسواق الافتراضية فقد برزت مجموعة متنوعة ايضا على الساحة الافتراضية الالكترونية. ويمكن بواسطة تلك العملات شراء السلع والخدمات من الاشخاص او المواقع فقط التي تتعامل مع هذا النوع من العملات، وهذه المواقع في ازدياد مستمر.

ونتيجة لهذا الازدياد الخطير والانتشار المتزايد لهذه العملة في ظل استمرار حالة الغموض القانوني التي تشوب هذا النوع من العملات والذي ربما يلتهم جانباً كبيراً من التعاملات المالية ويقوض نفوذ السلطات العالمية حيث تبلغ قيمة المتداول منها حاليا نحو 15 مليار دولار، قررت شركة "أبل" رفع تطبيق "بلوك تشين" وهو آخر التطبيقات الخاصة بتبادل العملة الافتراضية "بيتكوين" من منصتها الخاصة بالتطبيقات.

كما تخشى المصارف المركزية من اتساع تداولات عملة البيتكوين، بعد ارتفاع قيمتها بأكثر من مليون مرة منذ انشائها عام 2009. كما ان عشرات الدول مثل الولايات المتحدة وبلجيكا اتخذت خطوات أولية لدراسة ومواجهة تأثيراتها المستقبلية الخطيرة.

كما ان السلطات الروسية حذرت هي الاخرى من استخدام هذه العملة الإلكترونية وقالت إنه يمكن استخدامها في غسل الأموال أو تمويل الإرهاب وإن التعامل بها كعملة موازية مخالفة للقانون.

8- استخدام السحر والشعوذة:

لا شك باننا نجد الكثير من المواقع التي تقوم باستخدام السحر كعلاج للمرضى او علاج من النواحي المعنوية، وما اكثر الذين يصدقون المشعوذين والسحرة والدجالين اللذين يستهدفون العقول بخاصة العقول الضعيفة وقليلي الايمان.

نستنتج مما سبق بأن الجرائم الالكترونية لا تقتصر على الشعوب العربية ودول العالم الثالث فحسب، بل ان هذه الجرائم منتشرة بشكل كبير في الدول الغربية ايضا. كما ان الادمان الجنسي والاباحية الجنسية ليست مقتصرة فقط على اطفال العالم الثالث والدول العربية بل انها تستهدف اطفال الغرب والدول الغربية ايضاً.

ويمكننا القول بان العالم يعيش استعمارا الكترونيا بكل اشكاله، لكن المشكلة تكمن في ادوات الرقابة وفرض القوانين والعقوبات. فالغرب يسعى وباستمرار الى اكتشاف ادوات رقابة جديدة وفرض القوانين في ظل الثورة التكنولوجية والعولمة التي ولدت الاستعمار الالكتروني.

لكن ماذا بالنسبة لدول العالم الثالث وبالاخص الدول العربية المستخدمة لشبكة الانترنت ! هل تسعى لفرض قوانين وعقوبات جازمة ؟.

وهل تسعى لاكتشاف ادوات رقابة للحد من الجرائم الالكترونية التي يتعرض لها افراد المجتمع والدول العربية ايضا؟ وماذا عن مستقبل الاطفال والمراهقين في ظل هذا الاستعمار الشيطاني ؟ هل من حلول للحد من الاباحة الجنسية الالكترونية في مجتمعاتنا العربية ؟.

المبحث الرابع

(الفيسبوك .. استعمار الكتروني)

◆ الكوكب الالكتروني الجديد

لا تستغربون، انه الفيسبوك Facebook الذي يعتبر الان من اهم واشهر المواقع الالكترونية تواصلا وتفاعلا مع الاخرين، والاكثر تأثيراً والاكثر فاعلية، تستخدمه مختلف الاعمار، وهو سلاح ذو حدين، وهو اشبه بالنادي الاجتماعي لكنه نادي بلا اسوار لسهولة اختراقه.

فبعد ان كانت بداياته تقتصر على الطلبة في جامعة هارفارد الامريكية لمساعدتهم على التواصل فيما بينهم بسهولة ويسر، اصبح هذا الكوكب الان ينتشر ويدور حول العالم في أي وقت وفي أي مكان من خلال الصور والفيديو والرسائل والتعليقات الالكترونية. فهذا الكوكب اوصل الكثيرين منا باصدقاء الطفولة، واوصل اناساً غابوا عن الاخرين لسنوات طويلة من الزمن، وعمل على بناء علاقات اجتماعية جديدة مع الاخرين من دون عناء للسفر او التكلفة بل وهم جالسون في اماكنهم.

والجدير بالذكر ان هذا الموقع انشيء على يد (مارك زوكريبرج) عام 2004، حيث كان (زوركريرغ) طالباً في جامعة هارفار في حينه.

وقد جاءت فكرة (الفيس بوك) من خلال فكرة " كتب الوجوه" التي كانت تطبع وتوزع على الطلاب بهدف اتاحة الفرصة لهم للتعارف والتواصل مع بعضهم البعض. بخاصة بعد الانتهاء من الدراسة والتخرج حيث تم تأسيس موقع الكتروني ليقوم بعمل " كتب الوجوه" بطريقة اكثر فاعلية واسهل واوسع انتشاراً.

وفي بدايته اختصر الفيس بوك على جامعة هارفار من ثم انتشر استخدامه الى بقية الجامعة والكليات والمدارس الامريكية من ثم الشركات والمؤسسات وصولا الى الافراد في كل انحاء العالم.

وقد بلغ معدل الاشتراكات الجديدة لاكثر من (150) الف مشترك جديد يومياً، الامر الذي يؤكد ان هذا الموقع قد حقق نجاحا واسعاً وشهرة كبيرة قل نظيره على مواقع التواصل الاجتماعية الاخرى. ويصل عدد المشتركين في موقع الفيسبوك حوالي اكثر من 600 مليون مستخدم حول العالم سواء عن طريق اجهزة الكومبيوتر المختلفة الاشكال او عن طريق اجهزة الموبايلات ما اثار شكوكاً شكوكاً كبيرة لدى المشتركين.

ان السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الاطار! من المستفيد الاول من هذا التوسع الكبير لموقع الفيسبوك حول العالم؟ ومن وراء الفيسبوك؟

حقيقة ان معظم الناس الذين يرتبطون بالفيسبوك فهم يستخدمون عقلهم اللاوعي اي مشاعرهم وعواطفهم التي تغلب العقل الواعي. ولكن لا ننكر ان هناك جهات خطيرة مستفيدة من هذا الانتشار.

ففي حوار تلفزيوني خاص مع "مارك زوكريبرج" اثناء توجيه سؤال له: كيف اصبحت ملياردير اً الان؟ اجاب: "في الحقيقة انا لست ملياردير اً فالموقع هو شركة خاصة، لذلك ليس لدي اي صلة مالية بالموقع". وفي سؤال ما اذا كان يعلم بقيمة المكاسب للموقع، اجاب: "انها شركة خاصة ولا يمكنني البوح بميزاتها".

نلاحظ هنا ان الجملة التي قالها مارك: "الفيسبوك شركة خاصة" اثناء المقابلة التلفزيونية يعني انه لا يمكن لاي شخص معرفة المكاسب المادية للموقع، ويشمل ذلك التكتم على اسماء الممولين للموقع منذ تأسيسه. فمن حق الفيسبوك ان يتشارك في معلوماتنا الخاصة مع الطرف الثالث بما فيها الشركات الخاصة لموقع الفيسبوك.

ان "غولدن فاكس" عملاق البنوك وصاحب النفوذ الواسعة والضخمة قام بضخ مبلغ 500 مليون دولار لموقع الفيسبوك الذي يعتبر الداعم الاول للموقع عن طريق "بيتر فيليد" مؤسس وصاحب موقع (بي بال) في صفقة تظهر ان الفيسبوك يتعدى ال 50 مليار دولار.

اما الدعم الثاني فجاء بقيمة 12.700 مليون دولار، وذلك من شركة "اكسل" التي يديرها "جيمس برايـر" حيث كان المساهم الاسبق في شركة N.V.C.A. وقد خدم جيمس براير الى جانب "جلمور لوي" وهو المدير التنفيذي السابق لشركة (ان كيو تيل) وهذه الشركة اسسها جهاز الاستخبارات الامريكي C.N.N عام 1998.

وتعمل هذه الشركة في العديد من النشاطات التي تشمل على الاستخبارات التكنولوجية، بما فيها تكنولوجيا مراقبة البيانات. كما عمل جيمس براير ايضاً في شركة B.B.N تكنولوجيا، وهي شركة تطوير وبحوث وما تعرف اليوم (بالانترنت).

وكان الدكتور "جونز انيتا" قد خدم مع "جلمور لوي" في هذه الشركة حيث كانت خبراته السابقة قد سبقت التحاقه بشركة B.B.N التي اثارت الاهتمام، وخبرته ايضا في شركة (ان كيو تيل)، كما انه عمل قبلها مديراً للدراسات والبحوث الهندسية في وزارة الدفاع الامريكية، وقد تلخصت مسؤولياته كونه مستشاراً لسكرتير وزارة الدفاع الامريكية.

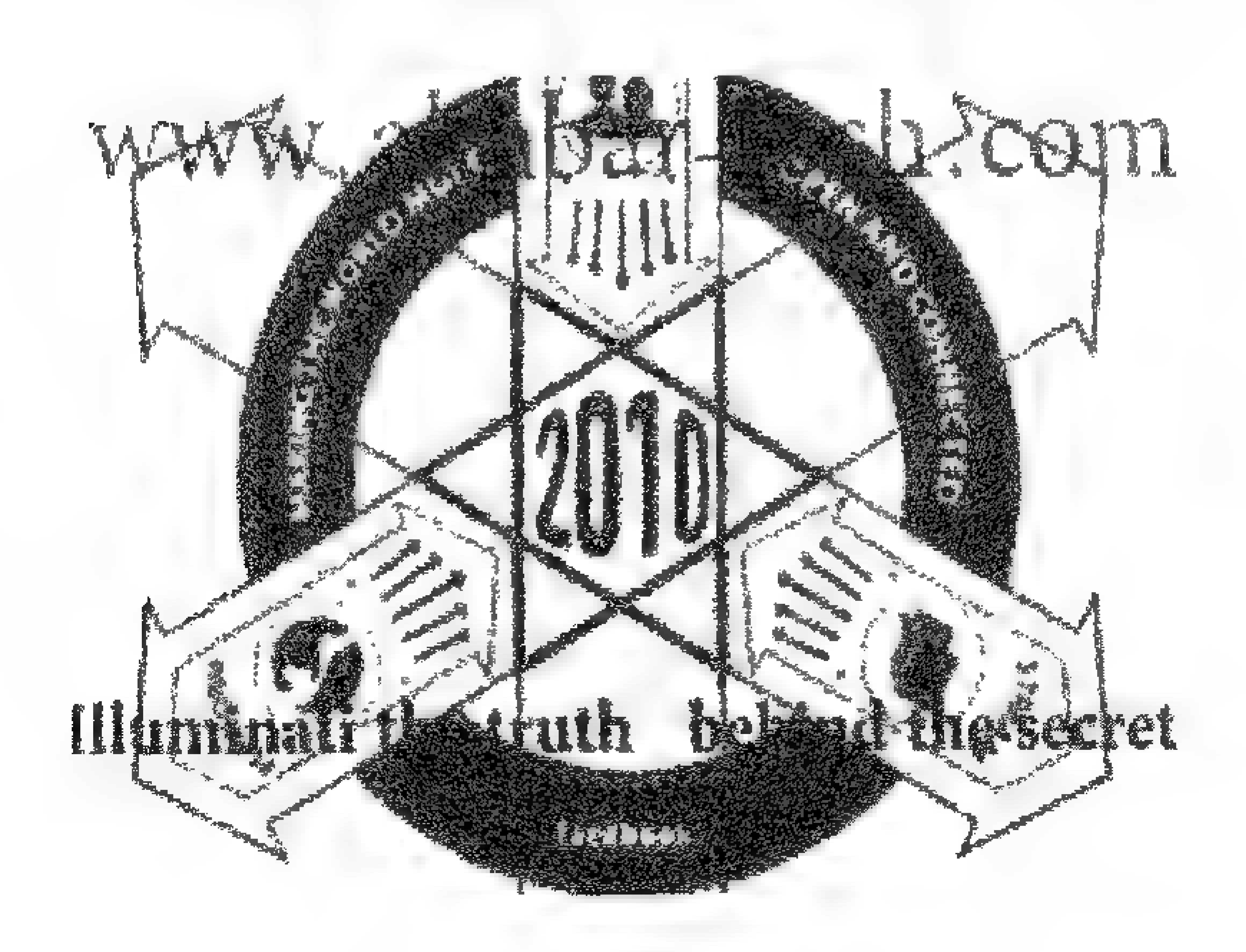
اما الامر الاعمق من ذاك وذاك عندما جاء الاعتراف من مكتب التوعية المعلوماتية الذي اقر بدوره على ان وظيفته هي جمع اكبر قدر من المعلومات عن الجميع في مكان محوري حتى يسهل للولايات المتحدة الوصول لتلك المعلومات بما في ذلك نشاطات الانترنت[38].

والجدير بالذكر ان الاستخبارات الامريكية كانت تقوم ببناء قاعدة بيانات على مستوى العالم تشمل نشطات وصور واسماء جميع المستخدمين، وما يؤكد ذلك اننا لو رجعنا قليلا الى الوراء لتذكرنا كيف منعت ادارة الفيسبوك وضع الالقاب على الانترنت عند القيام بالتسيجل في الموقع بحيث طابلت بوضع اسمك الصحيح الذي يعرفك الناس به ناهيك عن الرموز، ما يعني ان الشركة الخاصة هي شركة اسرائيلية، والمستفيد الاول هي اسرائيل، والذي يقف وراء الفيسبوك هي اسرائيل وعلى رأسها الماسونية العالمية.

حيث نلاحظ عندما نفتح صفحة الفيسبوك ان هناك رسمة لشبكة تضم مجموعة من الاصدقاء ورقم هذه المجموعة هو (13) وهو الرقم المقدس لدى الماسونيين، وربما يكون محو الدكتاتورية من خلال ثورات ما يسمى بالربيع العربي التي بدأت في تونس عام 2010 هو من المحاور الرئيسة للفيسبوك.

وخلال مقابلة تلفزيونية للرئيس العام للفيسبوك لـ "مارك زوكربيرج" قام بنزع سترته التي كان يرتديها وعلى الهواء مباشرة، حيث اوضحت سترته حقائق عميقة.

والشكل رقم (1) يمثل سترة (مارك) التي كان قد ارتداها عبر الشاشات التلفزيونية. فالنجمة الموجودة في الوسط هي نجمة دولة اسرائيل، اما رقم (2010) فيعني ان عام 2010 هو بداية الثورات التي بدأت في تونس(39).



الشكل رقم (1)

ولا شك ان لـ "فيس بوك" حسناته وسيئاته ومن اهم ايجابياته

1- يساعد المستخدم في ازالة الضغوطات النفسية والشعور بالوحدة والفراغ حيث يشعر المستخدم انه على تواصل مع الاخرين وانه معهم في كل مناسباتهم في اي بقعة كانوا من العالم.

2- يساعد على الشعور بقرب المسافة وتقليل حدة الاشتياق للاهل او الاقارب او بعض الاصدقاء والاشخاص المهمين.

3- اصبح هذا الموقع يستخدم للمواد الترويجية والدعاية والاعلان

4- اصبح موقعا لتسويق السلع والبضائع والاعلانات

5- يقوم الموقع على اضافة مجموعات كمجموعات صحافية او اعلامية او طلابية او غير ذلك وابلاغهم بكل نشاط وبكل ما يجري من اخبار يخص تلك المجموعة عبر الفيس بوك.

6- يمكن الدخول على هذا الموقع من خلال الشبك مع جهازك النقال

7- اصبح موقعاً للاعلام (صوت لمن لا صوت له)، وهذا ما اكدته الاحداث العظيمة التي جرت في تونس ومصر وليبيا وسوريا وغيرها من الدول العربية والتي جعلت منه موقعا هاما من خلال تأثيره على الدول والمجتمعات.

8- ساعد على انفتاح افراد المجتمع من خلال اطلاعهم على الاحداث والاخبار وما يكتب من فنون الادب والشعر والحكم والمقولات وغير ذلك .

9- جعل المستخدم اكثر جرأة واكثر ثقة في نفسه من خلال مشاركته اما بأبداء اعجابه او بكتابة تعليق ما للاصدقاء.

10- تفجير الطاقات الابداعية فمن خلال الموقع اصبح الشاعر يقوم بنشر اشعاره وخواطره، واصبح الرسام يقوم بعرض رسوماته...الخ.

11- اصبح الصحافي يكتب ما لا يسمح له بكتابته عبر الصحف الورقية، واصبحت المرأة تعرض ما يحلو لها من طهي ومكياج وغير ذلك، كما اصبح الاعلامي يقوم بعرض برنامجه بالصورة والصوت سواء برامج اذاعية ام

تلفزيونية واسترجاع البرنامج في وقت من خلال ارشفته في ملفاته الخاصة بالصور او التسجيلات او البوم الفيديوهات.

12- امكانية التعبير عن مشاعر الفرح ومشاعر الحزن والصدمات والمفاجآت ... الخ.

13- اصبحت المواقع الالكترونية اكثر تفاعلية عبر موقع الفيسبوك بحيث تزداد شهرتها وانتشارها من خلال هذا الموقع.

14- اصبح التفاعل ما بين الوسيلة الاعلامية والفيس بوك اكثر انتشاراً، من خلال الصحافي او الاعلامي الذي يقوم بكتابة اسم برنامجه والمواضيع المطروحة عبر البرنامج، من ثم يقوم بقراءة وعرض جميع المشاركات من قبل اصدقائه، ونشرها وعرضها وقرائتها عبر الوسيلة الاعلامية سواء اكانت اذاعة ام تلفزيون.

15- تفجير الشحنات الداخلية داخل الاشخاص من الوطنية والقومية للعروبة والوحدة والتماسك، ورفض الظلم والدكتاتورية من خلال هذا الكوكب الالكتروني الجديد.

ولم يقتصر هذا الكوكب "الفيس بوك" على التواصل الاجتماعي فحسب، بل اصبح له اهمية كبيرة خاصة على الصعيد السياسي. فالاحداث العظيمة التي بدأت في تونس فجرها الكوكب الالكتروني في مصر من خلال التظاهرات الالكترونية حيث اصبح المستخدم له هو المصدر للخبر المكتوب والمصور في الوقت الذي تم فيه حجب بعض القنوات الفضائية.

وهذه التظاهرات والثورات لم تقتصر على الشارع فقط، بل تحولت الكترونيا لتؤثر في الرأي العام المحلي والاقليمي وحتى الدولي.

وقد اثبتت التحولات والاحداث العظيمة التي شهدناها ان المستخدم العربي عموماً له خاصة فئة الشباب لديه ثقافة وعمق في التفكير السياسي ويمتلك ادوات الكترونية كثيرة في الكتابة والتعبير والتأثير في الرأي العام العربي والدولي ليس على الصعيد الاجتماعي وحسب، بل على الصعيد السياسي ايضا.

ويتبين من الاحداث الاخيرة ايضا ان الشاب العربي عملاق ممزق من الداخل اذ انه يحاول تفجير طاقاته الابداعية وتفجير شحناته الوطنية والقومية للعروبة والوحدة والتماسك، ورفض الظلم والدكتاتورية من خلال هذا الكوكب الالكتروني الجديد، في الوقت الذي نجد فيه ايضاً ان هناك الكثيرين مما انساقوا الى الاتجاه المعارض من ادراك او تفكير نتيجة الجهل وغياب الخلفيات الثقافية والتاريخية، وهناك من تحولت نظرته وافكاره ربما من السلبي الى الايجابي والعكس صحيح.

◆ **سلبيات الفيسبوك ومخاطره**

على الرغم من ان هذا الكوكب الالكتروني يحمل سمات ايجابية الا انه لا يخلو من السلبيات وهي عديدة على النحو الاتي:-

1- عدم استيعابنا للتكنولوجيا:

ان عدم استيعابنا للتكنولوجيا وسلبياتها جعلنا في خطر من عدم استيعاب الفيسبوك، فالتطور التكنولوجي الكبير والتدفق المعلوماتي الهائل والثورة الرقمية الالكترونية جميعها تجعلنا بخاصة في دول العالم نعيش حالة من عدم استيعاب مدى خطورة هذا التطور وابعاده، بخاصة تطور شبكات التواصل الاجتماعية والذي كان الفيسبوك اكثر المواقع تأثيراً على المستخدمين وما زال.

2- اشاعة الفتن:

في الوقت الذي نجد فيه ان هناك فئة كبيرة في مجتمعنا تقوم بتفجير طاقاتها الابداعية وتفجير وطنيتها وعروبتها ورفضها الارهاب ورفضها التطرف، الا اننا نجد بالمقابل بان هناك فئات في المجتمع تستخدمه لزرع الفتن والفوضى وتفكيك العروبة والوحدة الداخلية في المجتمع الواحد بحمل شعارات تعبر اما عن مطالب ومصالح شخصية، واما عن جهل وغياب الوعي والمعرفة، واما بهدف تفكيك الوحدة الوطنية سواء الداخلية او العربية وزرع الفتن، واما بهدف الدفاع عن جماعات ينتمون اليها بغض النظر عن خلفيات هذه الجماعات.

3- اضعاف العلاقات الاجتماعية والمهارات:

لقد اصبح الادمان على استخدام (الفيسبوك) ظاهرة سلبية اثرت على علاقاتنا الاجتماعية وتواصلنا الاجتماعي بين الناس كما اثرت على مهارات اتصالنا. فسوء استخدامه او استخدامه المستمر ادى الى تفكك الروابط الاسرية حيث نجد بأن الاب في جهة والام في جهة اخرى او ربما كل منهما على جهاز سواء اللاب توب او الموبايل او الكومبيوتر، كما ان الاولاد كل فرد في غرفة او جهة اخرى ما يؤدي الى عدم التواصل وفقدان الحوار وغياب المراقبة والاشراف على الاطفال والابناء، ما يؤدي الى تعزيز الفردية الداخلية لدى الشخص المستخدم.

4- التأثير الاعلاني:

لا شك ان الاعلان يلعب دورا كبيرا في التأثير على الاخرين لذا فإننا نجد ان الشركات والمؤسسات والمحلات التجارية تدفعنا الى التعرف على سلعها وبضائعها من خلال الطلب بزيارة موقعها عبر الفيسبوك، وهنا يبدأ التأثير غير المباشر بخاصة على الشخص الذي ليس لديه حساب على الفيسبوك اصلاً، فيبدأ يتجول ويقرأ ويشاهد الاعلانات والترويجات وحينها يبدأ بفتح حساب له عبر الفيسبوك وربما يصبح بعد ذلك مدمناً عليه كغيره من المستخدمين.

5- هدر الوقت:

يعتبر هذا الجانب من اخطر الجوانب السلبية على مستخدمي الفيسبوك في اضاعة الوقت من حيث تنقلهم لصفحات اصدقائهم، او المراقبة من دون التفاعل عبر هذا الموقع، او التفاعل معهم بأمور ليس لها اي اهمية، او تعرف الجانب الذكوري على الفتيات والنساء، والعكس ايضاً، او الانشغال بالدردشة التي تأخذ من وقتهم الكثير. الامر الذي يحد من طموحات الشباب والمستخدم عموماً ما يجعلهم غير قادرين على تحقيق اهدافهم على ارض الواقع، اضافة الى بطء قيامهم بالاعمال والمهام المطلوبة منهم سواء على الصعيد الاسري او الاجتماعي او العلمي او العملي.

فكم من الوقت اضاع المستخدم العربي سواء اكان (ذكر ام انثى) في انشغاله بالعالم الافتراضي؟ وكم من وقت اضاعه في الوقت الذي يعي تماما ان اسرهم واولادهم وازواجهم في امس الحاجه له ؟ وكم من وقت ضاع والكثيرون

يركضون وراء السراب ووراء الوهم الالكتروني؟ وكم من مستخدم عربي جرى وراء عصر الشيطان من دون ادراك لخطورة هذا العصر؟ فيا للعار! ان نجد الكثيرين قد اضاعوا الكثير من واجباتهم الاسرية والاجتماعية والمدرسية والجامعية والعملية في ثرثرة ودردشات فارغة بحجة (قتل الوقت) وهم لا يدركو ان الوقت الذي يضيعونه عبر شبكات التواصل الاجتماعي وغرف الدردشات هو الذي يقتلهم.

6- الخيانات وارتفاع نسبة حالات الطلاق:

ليس من الغريب ان ترتفع نسبة حالات الطلاق بسبب هذا الموقع الذي اساء استخدامه الكثيرون، فنجد ان المرأة الضعيفة قد تستسلم لكل الاغراءات من قبل الرجل عبر (الفيسبوك) وغرف الدردشة، وربما يصبح هناك مقارنة ما بين هذا الشخص المفترض وما بين زوجها وبالتالي فالمقارنة هنا تقتل القناعة وتصبح مع مرور الوقت غير مقتنعة بزوجها.

كما ان الزوج حين يقارن يصبح غير مقتنع بزوجته، ومع مرور الوقت تهمله ويهملها وتهمل واجباتها اتجاه بيتها وابنائها وزوجها، وربما تكون الاسباب زواجها بعمر صغير بحيث لم تختلط برجال سوى زوجها، او ربما انها ربة بيت ولم تعمل خارج بيتها ولم تحتك بالمجتمع وبعلاقات خارج النطاق الاسري، وربما لان الزوج لديه صفات سيئة فلم يعرف كيف يحافظ عليها، وربما لانها وجدت في الشخص المفترض عبر الفيسبوك صفات وسلوكيات لم تجدها في زوجها.

ان ضعف المرأة بالتجارب وجهلها بالعلاقات يجعلها مستسلمة الشعور ولكل ما يقال لها من كلمات غزل وصور تحبب واعجاب حتى ان هناك نساء قد يصدقن انفسهن بان الشخص المفترض احبها بالفعل وانه سيبيع الدنيا لاجلها. وهنا لا يوجد امام تلك المرأة الضعيفة سوى ان تصدق كلامه وتتبعه وبالتالي قد تؤدي هذه الحالات الى المشاكل الزوجية والفجوة العميقة ما بين الازواج ويمكن ان تؤدي الى حالات الطلاق.

وهذه الامور كلها قد تحصل ايضا من قبل فتيات ونساء مخادعات يوقعن الرجال ايضا بفخ الاغراءات والكلام المعسول ويصبح الرجل حينها يقارن ما بين

امرأته وما بين المرأة المفترضة عبر الفيس بوك ما يؤدي الى المشاكل والفجوات العميقة ما بينهما الامر الذي ربما يؤدي الى طلاقهما.

7- انتهاك الخصوصية:

من المعروف ان موقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) اصبح موقعا ليس فقط لسرد البيانات الشخصية والصور وانما للفيديوهات الشخصية ولكل ما يتعلق بالشخص من خصوصية من حيث صوره وصور عائلته ومناسباته واين يذهب واين يعمل وماذا يفعل بشكل يومي ...الخ.

وعلى الرغم من ان ادارة الفيسبوك تعتبر سياسة سرية للغاية في ضبط الخصوصية التي تحد من الوصول الى صفحة المستخدم، الا انها تحذر بانه لا يوجد تدابير امنة مثالية، او غير قابلة لاختراقه.

8- الاستغلالية:

لا شك ان الفيس بوك تحول في حالات كثيرة من موقع تواصل اجتماعي الى اغراض استغلالية كثيرة قد تكون جهات معادية سواء فرد او مجموعة افراد او جهات او احزاب وغيرها.

الامر الذي يجعل الكثيرين من الاشخاص عملاء لجهات معادية عن دون قصد ومن دون ادراك لهذا الامر.

ففي تقرير نشرته صحيفة (الحقيقة الدولية) في عددها رقم (111) الصادر بتاريخ 9- 4- 2008 تحت عنوان: (العدو الخفي) اكدت فيه ان الثورة المعلوماتية والثورات التكنولوجية الاخرى جعلت العالم الصغير محكوماً من قوة غير مركزية تتخذ من هذا التطور وبخاصة "الانترنت التفاعلي" قوة لتغيير العالم[40].

9- غياب الرقابة:

ان غياب الرقابة على الاخبار المغلوطة والمتداولة بين الناس والاساءة للانظمة وللاشخاص ونشر الشائعات ونبذ الفتن يؤدي الى مشاكل كبيرة واتساع الفجوة في العلاقات الاجتماعية بين مستخدمي الفيسبوك من جهة وما بين افراد المجتمع الواحد وما بين دولة واخرى.

10- اضعاف اللغة العربية :

نلاحظ ان مستخدمي الفيسبوك هم من الشباب والصغار وليس بالضرورة ان يكون مثقفا او متعلما، وهذا الامر يعيق استخدام اللغة العربية بشكل سليم حيث نجد الكثيرين مما يستخدمون الحروف الانجليزية للتعبير عنها باللغة العربية ما يجعل لغتنا العربية في انحطاط وما يؤدي الى دثرها وانقراضها شيئاً فشيئا عبر هذا الموقع. والقليلون هم من يستخدمون اللغة العربية بشكل سليم ونجدهم يقومون بتكوين جملة عربية مفيدة، كما نلاحظ ان معظم الصحافيين والاعلاميين وحتى الكتاب لا يجيدون كتابة اللغة العربية السليمة ما يؤدي الى زيادة تدهورها بخاصة لدى الاجيال القادمة.

11- الاهمال :

يؤدي الادمان على الفيسبوك الى اهمال الهوايات المحببة لدى الكثيرين كالرياضة والقراءة والسباحة وغيرها من الهوايات بحيث يصبح المستخدم متبلداً وقد يزيد وزنه بخاصة من كان يمارس الرياضة باستمرار وبشكل منتظم، كما ان اهمال هواية القراءة يجعل المستخدم في فراغ ثقافي عميق.

ولا شك بان الادمان عليه يبعد الكثيرين عن الجانب الديني واهمال الصلاوات والمناسبات الدينية.

12- الصحة:

يؤدي التواصل المستمر عبر الفيسبوك الى تدهور الصحة عند الكثيرين من حيث زيادة الوزن، والعصبية والقلق في حالة الابتعاد عنه، كما يؤدي الى اضطرابات نفسية كالارتعاش وتحريك الاصابع، كما يؤدي بالكثيرين الى حالات الحزن والكآبة في حالة الابتعاد عنه لفترات طويلة ما يجعل المستخدم يشعر بالفراغ والوحدة.

13- تدهور الاخلاق:

لقد ادى الفيسبوك الى تدهور اخلاق الكثيرين ممن يستخدمونه بخاصة عبر "غرف الدردشة"، حيث سهل على الكثيرين اقامة العلاقات الغرامية والشاذة،

وتبادل الافلام الاباحية والعلاقات الغرامية الجنسية، كما اتاح هذا الموقع تعارف الشواذ على بعضهم البعض.

14- التأثير السياسي:

لقد كان الفيسبوك السبب الرئيس باشعال نار الفتنة ما بين مصر والجزائر في مباراة كرة القدم بينهما، من ثم لاحظنا تأثيره الكبير خلال ثورات الربيع العربي وبخاصة ما شهدته مصر من احداث وسوريا من قتل واحداث دموية.

15- التجسس:

لا شك بان موقع التواصل الاجتماعي " الفيسبوك" موقع استخباراتي – صهيوني مهمته تجنيد عملاء وجواسيس للمخابرات الاسرائيلية. حيث نقدم معلوماتنا وبياناتنا لهم على طبق من ذهب.

16- كشف النفوس:

لا شك ان الفيسبوك هو اكثر المواقع قوة في معرفة حقيقة الناس ونفسياتهم وتوجهاتهم وافكارهم، فهناك من هو رومانسي، وهناك السياسي، وهناك الرياضي، وهناك الفنان، وهناك الهزلي، وهناك الجاد، وهناك المثقف، وهناك الجاهل، وهناك الذكي، وهناك المتعلم، وهناك السهل، وهناك الصعب، وهناك المعارض، وهناك الوطني، وهناك التافه، وهناك الحزبي، وهناك الطائفي، وهناك العنصري... الخ، وذلك من خلال ما يقوم بكتابته المستخدم على صفحته الشخصية ومن خلال ما يقوم به من تعليقات على صفحات اصدقائه ومن خلال الصور الموجوده على صفحته.

ولكننا نلاحظ في الجانب ذاته انه على سبيل المثال فان بعض الاشخاص السياسين لا يظهرون هذا الجانب، بل ربما يقوموا باظهار جوانب اخرى كالجانب الرومانسي من اشعار وخواطر وصور لاخفاء حقيقتهم الداخلية وكذلك العكس.

17- جرائم القتل :

ففي خبر نشر على موقع سرايا الاخبارية بعنوان: (الفيسبوك يقتل جامعية اردنية "وملخصه كالاتي:- " خدعه حوار نشر على صفحات 'فيسبوك' حيث توهم

أنه مع شقيقته، ولأنه لا يجيد القراءة ولا الكتابة بشكل جيد تلبسه الشيطان وهرع إليها ودون أن يسأل قتلها وادعى أن شرف القبيلة لابد أن يراق من أجله الدم. وكثيرة هي القصص التي تروي مآسي جرائم الشرف في الأردن، وغالبا ما تكون الضحية فتاة لا يعلم حتى الجاني نفسه بأي ذنب قتلها"[41].

ولا شك اننا في معضلة كبيرة في زمن كثر فيه الفسق والعلاقات المحرمة والمشاكل وجرائم القتل والفساد الفكري. خاصة ما يملكه الفيسبوك من امور بعيدة المدى بحيث يشكل خطورة كبيرة وازمة كبيرة ومشكلة ضخمة على المراهقين، اهمها ان المراهقين لا يدركون خطورة هذا الكوكب الالكتروني الجديد، وان معظم الاشخاص الذين يتعرفون عليهم هم مزيفون ما يؤدي بهم لان يصبحوا ضحايا النصب والاحتيال والقرصنة والهاكر واستغلالهم بكل سهولة من خلال التحكم ببياناتهم ومعلوماتهم وصورهم.

ولا شك اننا نجد الكثير من ذوي النفوس المريضة الذين يحاولون استغلال الفتيات المراهقات من خلال التعرف عليهم ومحاولة دفعهم لبتادل الصور فيما بينهم وجرهم لاحاديث جنسية من ثم قد يتطور الامر لتصبح تلك الفتاة ضحية على ارض الواقع ايضا وليس فقط من خلال العالم الافتراضي.

❖ **الفيسبوك عالم افتراضي:**

عند استخدامنا " الفيسبوك" يُخيل الينا احيانا اننا نتعامل ونتواصل مع اناس ينتمون ويعيشون في كوكب الالكتروني ليس له صلة بكوكب الارض، بحيث اصبحت رسائلنا وصورنا وتعليقاتنا الكترونيا، وحتى حواراتنا وكلماتنا الكترونيا، حتى مشاعرنا واحاسيسنا تجاه الاخرين امست الكترونية .

وعلى الرغم من توفر كل الاشياء من حولنا الا ان احساسنا الدائم يشعرنا بفقدان كل شيء.

وعلى الرغم من العدد الكبير من الاصدقاء المفترضين الذي يصل بالمئات وربما الى الالوف عند معظمنا عبر شبكة التواصل الاجتماعية الا ان الكثيرين يشعرون بفراغ داخلي وبانقطاع العلاقات الاجتماعية الحميمة التي كانت تجمعهم في الماضي.

ولا نستطيع ان ننكر ان هذا الزمن هو زمن التغول الكتروني بكل ما يحتويه من علاقات ورسائل وانماط لسلوكياتنا. زمن الكتروني ربما فشل الكثيرون في التأقلم مع معتقداته وافكاره وتقلبها السريع، زمن ينعت قديمنا ويلعن جديدنا بمجموعة من الافكار والثقافات والمعتقدات والقيم التي لا تمت لنا بصلة. استعمار قيد الحريات السياسية واباحة الحريات الفكرية والجنسية بكل سهولة ويسر.

نعم، هذا هو حالنا اليوم الذي يشهد ارتباطنا العميق باختراعات العصر وانفصالنا الاعمق عن حياتنا الاجتماعية، وتخلينا عن عادات جميلة وعلاقات حقيقية واستبدالها بعلاقات الكترونية وربما وهمية وربما مزيفة الهوية.

انه زمن التكنولوجيا والتطور السريع الذي اصابنا بشلل دماغي وفي عزلة الكترونية رقمية. للاسف نحن شعوب نستورد التكنولوجيا من الغرب لنجعلها تسيطر على عقولنا وحياتنا اليومية.

ولا شك بان "الفيسبوك" اداة من ادوات الاستعمار الالكتروني الذي سيطر على عقولنا وافكارنا وسلوكنا ايضا، وقد كان الهدف من هذا التواصل بين طلاب الجامعات هو تواصل علمي في الدول الغربية، بينما اصبح بعد ذلك تواصلا اجتماعياً في دول العالم الثالث.

لكن معظم الناس اصبحوا يستخدمونه لنشر الفتن والشائعات بين الافراد والمجتمعات والدول حيث ادى استخدامه الى التخلي عن امور كثيرة كالقضية الفلسطينية وتنمية المجتمع وتقدمه وتطوره في بلادنا، عدا عن انه عزز روح الفردية وفكك الكثير من الاسر وافراد العائلة الواحدة، واصبح يسيطر على معظم النساء ما جعلهن يقصرن بحق ازواجهن واولادهن. عدا عن المشاكل التي نتجت عن هذا الموقع والتي ربما ادت لبعض الحالات الى القتل والجرائم.

لا ننكر ان الانترنت عموما وما يتضمنه من مواقع الكترونية واهمها موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" كان احد الاسباب الرئيسة في ضياعنا وضياع عقولنا، ونحن اليوم لسنا بحاجة الى تربية اجسادنا بل نحن في امس الحاجة

الى تربية مشاعرنا واحاسيسنا وافكارنا وعقولنا من الجهل والبلبلات والثرثرات الفارغة. فمن الضروري ان تكون المسؤولية مزدوجة ما بين الاب والام. فالام المدركة لخطورة التطور التكنولوجي لها دور كبير في تربية الاسرة من صغيرها الى كبيرها وتوعيتهم بمخاطرها، والاب ايضاً الذي يخاف على مستقبل ابنائه له دور كبير في توعيتهم والسيطرة عليهم ان لزم الامر. لكن المصيبة اذا كان الام او الاب او الاثنين معاً في حالة ادمان على الفيسبوك فكيف لهما ان يكونا المثل الاعلى لاولادهما اذا كان الاستعمار الالكتروني قد قادهما نحو الانزلاقات والانحرافات والضياع؟

وما هو دور الاب والام اللذين يجهلا التعامل مع الانترنت؟ وكيف لهما ان يؤثرا على ابنائهما بخطورة الاستعمار الالكتروني؟ فمن الضروري في هذا الاطار ان تلعب المدارس والجامعات دوراً بارزاً وفعالاً في عملية التثقيف من حيث خطورته ومشاكله وسلبياته عليهم بخاصة الناحية التعليمية ومسألة تحقيق النجاح .

وعلى الرغم من انه يساعد الناس في عملية الاتصال ويعمل على اتساع عملية التواصل فيما بينهم وتعارف الناس على بعض البعض، الا انه يعمل على اتساع الفجوات بين افراد العائلة الواحدة وبين افراد المجتمع الواحد وبين المجتمعات العربية وبين الدول ايضا.

لذا فنحن اليوم في امس الحاجة الى تشريع قانون مفهوم وواضح وذكي لموقع الفيسبوك لحمايتنا وحماية ابنائنا واجيالنا ومجتمعنا ككل، على ان تكون تلك القوانين رادعة لضبط كل من تسوّل له نفسه التلاعب بالصور او المسبات والشتائم او انتحال الشخصية او اتباع اسلوب التزييف او القيام بعمليات تخريبية او اشاعة الفتن والتشهير والفساد بكل اشكاله سواء اكانت على الانظمة او على رجال الدولة او على الاشخاص العاديين.

وهذه القوانين يجب ان تكون متفق عليها في كل الدول العربية، من حيث التشريعات والقوانين والاحكام والعقوبات. ومن الضروري ان تعمل بها وزارة العدل ووزارة الداخلية ودائرة تكنولوجيا المعلومات والمؤسسات الاعلامية بمشاركة قطاع كبير من الشباب لتنفيذه.

ولا بد من فرض ضوابط وسن قوانين تنظم عمل مواقع التواصل الاجتماعي من خلال التوعية والرقابة من قبل الاهالي والحكومات على ما يتم تداوله في هذه المواقع خاصة تكوين وتعزيز الصداقات والمعارف مما يتطلب المتابعة المستمرة للحفاظ على الموروث الثقافي والاجتماعي للشعوب العربية والإسلامية إضافة إلى العمل على تعزيز الإيجابيات التي تعمل مواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت على تحقيقها والتقليل من السلبيات وتقنينها وتجنب مخاطرها بل وتلافيهاوكما ذكرنا سابقاً بان التكنولوجيا عموماً سلاح ذو حدين، لذا علينا ان نعرف كيف نستخدمها بالجانب المفيد للمجتمع وان نستخدمها بالشكل الصحيح.

حقيقة نحن نعيش استعمارا الكترونيا بكل معنى الكلمة ويعتبر الفيسبوك من الاستعمارات الالكترونية الرئيسة التي تهدف بشكل مباشر وغير مباشر في التأثير على سلوكيات الناس وحياتهم.

فعلى الرغم من ان هذا الاستعمار قادر على ان يقودنا الى هذا المحيط، الا انه لا يمكنه ان يجبرنا على الشرب منه او الغوص في اعماقه الا اذا كنا في حالة الاستسلام له وفي حالة الضعف والجهل وعدم سيطرتنا على انفسنا من نواحي الحياة كافة. فالعلاقات الاجتماعية جميلة، والتواصل الاجتماعي شيء رائع وعلينا ان نعرف كيف نحافظ على هذه العلاقات وكيف نحافظ على انفسنا وعلى صورتنا امام الاخرين، فنحن اشبه بالريشة في مهب الريح التي تتقاذفها الامواج لترمي بها تارة بين الملائكة وتارة بين الشياطين ولنا وحدنا ان نحدد ونختار المصير.

هوامش الفصل الثالث

(1) نشر في نبراس نيوز، بتاريخ: 24- 2- 2014 WWW.nebrasnews.com

(2)www.albawabahnews.com

(3) نشر في جريدة الدستور الاردنية، بتاريخ: 19 كانون الثاني 2014، ص11

(4) ar.jn1.tv/video/news/?media_id=17706

(5) نشر في صحيفة الشرق المطبوعة، العدد 650 ص9، بتاريخ: 14- 9- 2013.

(6) نشر في وكالة السوسنة الاخبارية، بتاريخ: 27- 11- 2013.

www.assawsana.com

(7) نشر في شبكة الاخبار العربية، بتاريخ: 11- 1- 2012

www.anntv.tv.new.com

(8) www.danakw.com عام , 2014

(9) صحيفة الشرق المطبوعة، مصدر سابق

(10) www.dailygeedshow.com

(11) شريف درويش 2008. تكنولوجيا الاتصال- المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص: 126

(12) نشر في مجلة العربي الحر، www.freeArabi.com

(13) نشر في اخبار اليوم، بتاريخ: 2 فبراير 2014، www.elymnews.com

(14) للكاتب نصر المجالي، العدد، 8454، بتاريخ 26- 10- 2013

www.elaph.com

(15) www.ibda3world.com

(16) www.alafkar.com بتاريخ: 3 فبراير 2013

(17) نشر في اخر الاخبار، العدد 1778، بتاريخ: 6 يونيو 2013، www.aleqt.com

(18) المصدر ذاته.

(19)www.alafkar.com، مصدر سابق

(20) شادي ناصيف.(2009). فضائح الفيسبوك، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، ط1، ص:223.

(21) www.alfakar.com مصدر سابق ،

(22) www.zamnpress.com/news/38255، ، 2013 -30 -11 بتاريخ:

(23)www.alalam.ir/news/1560351 2014 بتاريخ: 28 يناير ،

(24) www.newssaudi-today.com ،2010 -12 -21 نشر في جود نيوز، بتاريخ:

(25)www.skynewsarabia.com 2013 -10 -31 بتاريخ:

(26)www.dawayima.own0.com2010 بتاريخ: ،

(27) الكاتب هشام الدباغ، جريدة الدستور الاردنية، بتاريخ: 14- 2- 2014

(28) www.digital.ahram.org.eg.com 2010 ، سيد صالح، الاهرام الرقمي،

(29) المصدر ذاته

(30) هشام الدباغ ، مصدر سابق.

(31) www.almashhed.com/129196htm

(32) علي خليل شقرة.(2014). الاعلام الجديد(شبكات التواصل الاجتماعي)، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص:132

(33) www.arabic.rt.com/news664963 روسيا اليوم،

(34) عبد الرزاق الدليمي.(2011). الاعلام الجديد والصحافة الالكترونية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط2، ص: 190.

(35) المساء: " الاباحية الالكترونية تغزو العالم" 12 سبتمبر 1998

(36) www.albawaba، البوابة 2004 -10 -4 بتاريخ:.

(37) الاهرام: "الانترنت تساعد اليابانيين على الانتحار، بتاريخ: 27 ديسمبر 1998.

(38)www.youtube.com/watch?v=q2qJNAEfp_E

(39) قناة LCI ،www.youtube.com/watch?v=n2l7mbm6-2o

(40) نشر في الحقيقة الدولية، العدد111، الصادر بتاريخ 9- 4- 2008

(41) نشر في وكالة سرايا الاخبارية، بتاريخ: 27- 1- 2014

الفصل الرابع

الاستعمار الإلكتروني والإعلام

المبحث الاول

(الاعـــلام الدولـــي والهيمنة)

لا شك بان الثورة المعرفية استطاعت ان ترفع الحواجز وتقرب المسافات الى حد جعل العالم شاشة صغيرة تمتد عبر شبكة معقدة من الاتصالات. وهذه الثورة قد ولدت وتولد مفاهيم جديدة لانها قد قاربت بين البشر والامم الى حد التفاعل الشديد والسريع بحيث خلقت حالة تداخل شديدة بين الافكار والثقافات، فاصبحت اهم عمليات العولمة هي المعلوماتية.

والاسئلة التي تطرح نفسها في هذا الاطار، ما مدى سلطة وكالات الانباء العالمية والمحطات الاذاعية والتلفزة والفضائيات في عالم الاعلام؟

وما مدى تأثير الاقوياء (دول الشمال) على الضعفاء (دول الجنوب)؟ . وكيف يلعب الاعلام الدولي الدور الابرز في نشر الشائعات وتزييف الحقائق ؟ وما هو تأثير الامبراطوريات الاعلامية على دول الجنوب؟

ولمن تتبع ؟ وكيف يؤثر النفوذ الصهيوني على الاعلام في دول العالم ؟ وما مدى تحكمه وهيمنته؟.

وما هو الدور الذي يلعبه الاعلام الدولي في الغزو الفكري والى اي مدى يمكن ان يؤثر في دول الجنوب؟

ان هذه الاسئلة جميعها والتي يعتريها نوع من الغموض والحيرة سوف نقوم بالاجابة عليها من خلال هذا الفصل.

وقبل الخوض في الاعلام الدولي والشركات متعددة الجنسيات لا بد لنا من توضيح القوى الفاعلة التي تقف وراء العولمة وهي على النحو الآتي:-

1- **الصهيونية الامريكية والقوى الاقتصادية:**

لا شك بان الدول العظمى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية والقوى الاقتصادية تعتبر من الدول الرئيسة والفاعلة في ظاهرة العولمة حيث اقترن مفهوم

العولمة بـ "الامركة"، فنجدها تسهر وتحرص كل الحرص على رعاية المصالح الاقتصادية والمالية والمحافظة عليها للدول والشركات الكبرى عبر العالم.

2- صندوق النقد الدولي:

تأسس هذا الصندوق عام 1944 خلال مؤتمر "بروتن وودز" ويقوم على تنظيم المعاملات المالية وتقديم الاستشارات للدول اضافة الى دعمها مالياً بخاصة الدول التي تواجه مشكلات اقتصادية.

3- البنك العالمي:

انشيء البنك العالمي عام 1945 ويقوم على عملية الاشراف على الدول بخاصة الدول النامية من خلال تحديدها ومراقبتها. ويهدف الى تقديم القروض المشروطة للدول خاصة الدول النامية حيث يقوم على تمويل مشاريعها التنموية بخاصة دول العالم الثالث والدول اللاتينية وغيرها لتمويل مشاريعها التنموية سعياً منه لانخراط تلك الدول بنظام العولمة وهذا يعتبر بحد ذاته استعمارا جديداً.

4- منظمة التجارة العالمية:

تعتبر هذه المنظمة منظمة دولية احدثت عام 1995 وتعمل على وضع قواعد التبادل التجاري وتحرير التجارة العالمية من خلال رفع الحواجز الجمركية، بهدف تدفق السلع والخدمات من دون قيود عبر انحاء العالم، وبذلك تكون منظمة التجارة العالمية احد الانظمة العالمية الجديدة للعولمة.

5- المنظمات غير الحكومية:

وتعني الجمعيات المحلية والاقليمية والدولية التي تنشط في ميادين ومجالات عدة مثل: جميعات حقوق الانسان وحقوق المرأة وحماية البيئة والبحوثات العلمية ومجالات التنمية ... الخ. وهي منظمات غير حكومية وغير ربحية حيث يعتمد تمويلها على مساهمات اعضائها وتبرعاتهم، كما تعتمد على المساعدات الحكومية والاجهزة والمؤسسات الخاصة لها.

6- الشركات متعددة الجنسيات:

تعتبر هذه الشركات عابرة للقارات لها فروع في انحاء العالم وتمتلك رأس مال ضخم، وربما يوازي كل منها ميزانية دولة باكملها، وربما تتجاوز قوتها سلطة

الدولة الموجودة على ارضها نتيجة لدورها الرئيس والبارز في رسم السياسة الدولية. وسوف نقوم بشرح مفصل عن هذه الشركات العملاقة.

❖ الاعلام الدولي

على الرغم من ان الاعلام في عصرنا الحالي يشكل مادة اساسية في تنمية المجتمعات وتطوير الحياة بمختلف مجالاتها، ويؤدي الى تزويد الناس بالمعلومات والاخبار والمعرفة، وحل المشكلات الجوهرية للشعوب والمجتمعات، الا اننا لا نستطيع ان ننكر بان الاعلام ظاهرة طورتها الحضارة الحديثة وجعلتها اداة خطيرة ودعمتها بامكانات عظيمة حولتها الى قوة لا يستغنى عنها بين الشعوب والمجتمعات على حد سواء. فأصبح اليوم اداة من ادوات العولمة بخاصة مع التطور والتقدم التكنولوجي، لا بل سلطة مؤثرة ايضاً في الراي العام، واداة لغسل العقول والدعاية والشائعات والحرب النفسية في عالم متغير. ما يعني ان الاعلام اصبح اداة رئيسة من ادوات الاستعمار الالكتروني. الامر الذي يؤكد بان الاعلام الدولي استثمار الغرب لتكنولوجيا الاعلام والاتصال والتحكم بالتدفق المعلوماتي بهدف تحقيق مصالح واهداف استراتيجية كالهيمنة السياسية والاقتصادية والفكرية وتفتيت الدول والمجتمعات والشعوب.

ولا شك بان تطور ميدان الاعلام وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات يشهد ثورة كبيرة من حيث ادواته واساليبه ومضامينه واشكاله المختلفة ونتيجة لذلك نجد بان هناك مفاهيم عدة لم تعد واضحة ومحددة والتي تتمثل بـ "السيادة الوطنية" و "الحدود" او "الحواجز الوطنية" و "جغرافية المكان".

واذا كان احد علماء الاتصال وهو (مارشال مالكوهان) قد اطلق على العالم مصطلح القرية الكونية او القرية الصغيرة، فيمكن القول بان هذا المصطلح لم يعد موجوداً الان، بل تحول الى مصطلح (المنزل الصغير) او (الغرفة الكونية) بخاصة في ظل التطور الرقمي - الالكتروني والهواتف الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي بخاصة (الفيسبوك) وغرف الدردشة ...الخ.

ان الوضع الراهن الذي نشهده الان قد تسبب وللاسف في خلق فجوة اعلامية عميقة وواسعة بين دول الشمال ودول الجنوب نتيجة التدفق الاعلامي والمعلوماتي الذي يسير احادي الاتجاه من الشمال الى الجنوب فقط. وبسبب التفوق التكنولوجي الذي يتفوق به الغرب وهيمنته على المؤسسات الاعلامية الدولية ووكالات الانباء العالمية. الامر الذي ادى الى حرمان دول العالم الثالث للكثير من الامتيازات التي تحققها تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، ما جعل الكثير من الدول بخاصة العربية من عدم القدرة على المحافظة على وضعها واستقلالها السياسي ووضعها الامني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ايضا.

والاسئلة التي تطرح نفسها في هذا الاطار لماذا لا تزال مجتمعات الورق تأخذ موقف التعجب والاندهاش لما يجري حولها من احداث سواء على الساحة المحلية او الاقليمية او الدولية على الرغم من العواصف السياسية والزلازل الاقتصادية التي تعصف بها؟

ولماذا لا تزال دول العالم الثالث تقف دور المتفرج ودور المستهلك فقط للمعلومات ولما يجري حولها من حروب واحداث وثورات ؟ ولماذا لا تزال تغرق شعوبها بطوفان وبركان اعلامي لا يتناسب وقيمها وعاداتها وتقاليدها وعقيدتها ومبادئها ؟

ولماذا مع التطور التكنولوجي لا نجد الا القليل من اصحاب المواقع الاخبارية الالكترونية ملتزمين باخلاقيات المهنة الصحافية ؟ واين دور هذا الاعلام في التغيير الايجابي؟

ولماذا لم تستفد تلك الدول من الاعلام الالكتروني الذي يلعب معظمه دوراً بارزاً في نشر الفتن بين افراد المجتمع الواحد ونشر الشائعات التي تهدد امن الدولة واستقرارها السياسي ووضعها الاقتصادي؟.

ربما تأخذنا تلك الاسئلة وقبل الاجابة عليها الى قناعة باننا نعيش استعماراً الكترونياً على اعلامنا وافكارنا وافراد شعوبنا ومجتمعاتنا.

وقبل ان نبدأ بتوضيح مفهوم الاعلام الدولي لا بد لنا بداية من توضيح مفهوم الاعلام والذي هو مشتق من كلمة (اعلمه شيئاً) اي زود الجماهير بالمعلومات

عن طريق قنوات اتصالية قد تكون وسيلة اعلامية او تقنية، او قطاعا خاصا او حكوميا، او مؤسسة غير ربحية، او منظمة ربحية، يقوم على جمع وصناعة المعلومات، وانتاجها ونشرها للجماهير بطرق مختلفة، وباشكال متنوعة، وبتقنيات عدة عبر وسائل اعلامية.

ولا بد الى الاشارة هنا الى ان الاعلام التقليدي يختلف تعريفه عن الاعلام الذي يشهده عالمنا اليوم والذي تطور نتيجة تطور الثورات الثلاث التي مر بها العالم. فمن اعلام تقليدي الى اعلام الكتروني الى اعلام رقمي – الكتروني، الى اعلام جديد

وعموما يمكن تعريف الاعلام على انه وظيفة من وظائف الاتصال الجماهيري يحمل رسائل باشكال مختلفة قد تكون ورقية او شفوية او سمعية او بصرية، تحمل مضامين مختلفة على هيئة نصوص او صور ثابتة لاهداف متعددة ومختلفة .

اما اليوم فقد تغير هذا المفهوم ليصبح اكثر شمولا واتساعا وتطورا ويمكن تعريفه على انه وظيفة من وظائف الاتصال الجماهيري، الذي تخطى الحدود الجغرافية ليصبح اداة خطيرة وقوة لا يُستغنى عنها ين الشعوب والحكومات على حد سواء، ويعمل باتجاهين من مرسل الى مستقبل وبالعكس، ويحمل رسائل باشكال مختلفة ومتنوعة قد تكون على هيئة نصوص او صور ثابتة او متحركة او رسومات او خرائط ايضاحية او فيديو مصور او متحرك عبر وسائل مختلفة قد تكون ورقية أو سمعية او بصرية او الكترونية او رقمية لاهداف عدة ، ويمكن نقل الرسالة الاعلامية من شخص لاخر ومن مؤسسة لمؤسسة ومن مجتمع لاخر عبر اي وسيلة وفي اي زمان وفي اي مكان ومن اهم اشكاله الانترنت.

فإعلام اليوم هو سلاح ذو حدين وتكمن اهمية وسائله بكل اشكالها وانماطها باعتبار ان له مكانة استراتيجية حساسة وقوية في المجتمعات والدول، حيث ان حتمية تكنولوجيا الاتصال غيرت الناس والدول بالقوة في الوقت الذي لم تكن فيه هذه الدول جاهزة لتغير سياساتها الاعلامية.



وعلى الرغم من ان الاعلام عموماً عملية اجتماعية دائمة التجدد والتطور يمكن تحديدها خلال فترة زمنية معينة، الا ان اهميته ليست ثابتة نتيجة مواكبة تطور عالم تكنولوجيا الاتصال، حيث تزداد اهميته بازدياد احتياجات الانسان واحتياجات مجتمعه.

❖ مفهوم الاعلام الدولي

"يشير مصطلح الاعلام الدولي الى التحليل الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي والتقني للنماذج الاتصالية وآثارها بين الدول. ويركز الاعلام الدولي بشكل اكبر على الجوانب العالمية لوسائل الاعلام والانظمة الاتصالية والتكنولوجية اكثر من التركيز على الجوانب المحلية او حتى الوطنية"[1].

والاعلام الدولي "هو نوع من الاتصال يقصد به تزويد الشعوب الاخرى بالاخبار والمعلومات بقصد التأثير عليهم واقناعهم بالرسالة الاعلامية الدوليةالموجه"[2]. "ومظهر من مظاهر الحياة الحديثة المتأثرة تأثيراً كبيراً بحضارة الغرب: آخذ فلسفة، ومفاهيمه، ومعاييره، ونظمه وممارساته من هذه الحضاره، كما انه ساهم كمؤسسة في هذه الحضارة، في بلورة قيمها ونشر ثقافتها والتمكين لنظمها ودولها وسياساتها"[3].

ويعتبر الاعلام الدولي اعلاماً مركباً لعلوم متعددة ومتنوعة كون دوره لا يقتصر على المجال الاعلامي وحسب، بل يشمل جميع النشطات والمجالات الاخرى كالسياسية والدبلوماسية والتجارية والدينية والسياحية ...الخ. الامر الذي جعله يرتبط بالجماعات والافراد من حيث تشكيل اتجاهاتهم وتغيير قناعاتهم وافكارهم والتأثير على عقولهم.

ويعد الإعلام الدولي اعلاماً صادراً عن دولة عالمية وموجهاً الى دول وشعوب العالم على الرغم من انه يعتبر اعلاماً محلياً في تلك الدول التي يصدر عنها. ويعتمد الاعلام الدولي على علم الاتصال والاعلام، وعلم الاجتماع، والعلوم السياسية، وعلم العلاقات وغيرها من العلوم الاخرى.

وهو اعلام له اهميته الكبيرة ومكانته العظيمة في النظام العالمي بخاصة في الفترة التي تعود الى الحرب العالمية الثانية، حيث كانت وكالة رويترز للانباء التي انشئت عام 1835 تسيطر على انظار العالم، في الوقت الذي كانت فيه الاذاعة البريطانية B.B.C تسيطر على سماع العالم بحيث زادت اهميته ومكانته مع ظهور القنوات التلفزيونية العالمية.

ومع ظهور الاعلام الدولي ظهرت مصطلحات اخرى كالنظام العالمي الجديد، والنظام الاقتصادي الدولي الجديد، والنظام الاعلامي الدولي الجديد ايضاً.

اما الاتصال الدولي فهو اكثر شمولاً واتساعاً من الاعلام الدولي، ويدل على صيغة الاتصال والتواصل من خلال تبادل المعلومات ونقلها ما بين الشعوب والدول لاهداف سياسية وتجارية وبالتالي فان هذه الصيغة التي تميز بها هذا الاتصال خلقت اكثر من مفهوم للاتصال بخاصة في ظل النظام السياسي العالمي وتناقضاته واهدافه الاستعمارية الذي سيطر رويداً رويدا على العقول البشرية واصبح يتحكم بها وبالتالي فان الادوار والاساليب قد تطور وفقاً للمناهج والايدولوجيات.

الامر الذي حول هذا النوع من الاتصال من اتصال يتميز ويعتمد على الدقة والوضوح والموضوعية في نقل الاخبار والمعلومات والاحداث الدولية الى اتصال يعتمد على تزييف الحقائق ونشر الشائعات والفتن وتغيير الافكار والاتجاهات بما يخدم مصالح واهداف الدول الاستعمارية، وبعيداً كل البعد عن الشفافية والوضوح والتوازن والعدالة والدقة في نقل المعلومات والاخبار، ما ادى لظهور الدعاية الدولية التي تعد اداة من ادوات الاستعمار الالكتروني، حيث تحول مصطلح الاعلام الدولي الى مصطلح الدعاية الدولية كون الاعلام نفسه اصبح يتسم بصفات الدعاية التي تحمل في مضامينها التزييف والتزوير والتلاعب بالحقائق، حيث سنقوم بشرح الدعاية الاعلامية لاحقا.

اما "الاتصال الدولي السياسي" فهذا النوع من الاتصال يأخذ موقفا سياسيا، حيث يعتبر اتصالا قومياً يحدث بين اشخاص من دولتين او اكثر بهدف

تأثير دولة ما على الحدث السياسي لدولة اخرى، حيث يتصف هذا الاتصال بالرسمية والجمود.

وعموماً فان الاعلام اداة رئيسة من ادوات العولمة المعاصرة التي تستهدف ثقافات العالم وتعمل على دمجها في ثقافة واحدة مسيطرة على العالم وهي الثقافة الامريكية وبالتالي فان الاعلام الدولي يعني (امركة العالم).

وفي هذا الاطار يمكننا القول بان السيطرة الامريكية على العالم يدعمها ويؤكدها التفوق الاعلامي والتدفق المعلوماتي الامريكي من الشمال الى الجنوب، الى جانب التفوق العسكري والاقتصادي. الامر الذي يحدد مكانة اي دولة من خلال ما تملكه من وسائل اعلامية عابرة للقارات. ولعل دولة قطر ومن خلال قناة الجزيرة بالاضافة الى قناة العربية ايضا تقدمان كل منهما نموذجاً على ذلك.

والجدير بالذكر ان اغلب مؤسسات الاعلام الدولي هي مؤسسات مستقلة وتجارية وفاعلة، وتتنافس وتتغول بشراسة وعدائية فيما بينها بخاصة في دول العالم الثالث. ولا بد للاشارة هنا الى ان تلك المؤسسات والوسائل الاعلامية تمتلك تأثيرات دولية على المناخ الاعلامي داخل حدودها الوطنية وخارجها ايضاً.

ولا بد للاشارة ايضاً الى ان التغيرات الفكرية والثقافية ليست محصورة على المجال الاقتصادي والسياسي والتجاري والاجتماعي فقط، بل ان هذه التغيرات اثرت وما زالت على مجالات الحياة كافة وعلى مفاهيمنا وذواتنا ومجتمعاتنا وافكارنا وانماط حياتنا وسلوكياتنا. فالمجتمع الجديد يتمركز الان في بعض اجزاء من العالم وتحديداً في الدول التي استفادت من الثورة الصناعية وعصر المعلومات بخاصة الدول المركزية.

ولعل هذه التغيرات قد نتج عنها معادلة بامكانها التحكم في هذا التغير الجديد الذي تحقق بين طرفين متناقضين هما، الطرف الاول: وجود مجموعة صغيرة من الدول تمتلك امكانيات مالية ضخمة وتسيطر على العالم وتستطيع هذه الدول الدخول الى شبكة الانترنت والتلفزيون الرقمي والهواتف الذكية. اما الطرف الثاني

فيتمثل بملايين البشر الذين لم يتمكنوا بعد من استخدام التكنولوجيا بكل اشكالها.

ونستنتج مما سبق بان الاعلام الدولي هو اتصال دولي موجه عابر للحدود يسير احادي الاتجاه من الشمال الى الجنوب، تسيطر عليه الصهيونية العالمية، ويتضمن رسائل اعلامية دولية معظمها يحتوي اعلانات ودعايات منظمة ومقصودة بعيدة عن المصداقية، وتحتوي على النشاطات اللاخلاقية كالتأثير والايحاء والاقناع وتغيير الاتجاهات والافكار بما يخدم مصالح تلك الدول ويحقق اهدافها، بحيث يسمى هذا النوع من الاعلام للتحكم والسيطرة على العقول البشريه واحتلالها لاهداف خطيرة بابعادها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بعيدة عن الانسانية موجهة لدول العالم واهمها دول الجنوب بما فيها للدول النامية والاقل نمواً، وبذلك يمكن القول بان الاعلام الدولي شكل من اشكال الاستعمار الالكتروني.

❖ **نشأة وتطور الاعلام الدولي**

منذ بداية الخليقة والانسان لديه فضول للبحث والمعرفة عما يدور حوله وخلفه وامامه . حيث ان عملية تناقل الاخبار والمعلومات بدأت مع وجود المجتمع البشري الذي اعتاد على ارسال واستقبال المعلومات والاخبار بصورة يومية. لكن الانسان لم يقف عند هذا الحد وحسب، بل سعى جاهداً للبحث عن وسائل والات لحفظ ما يدور من اخبار ومعلومات شفوية اولا من ثم كتابية وتصويرية.

وقد شهد القرن السابع عشر تنفيذ فكرة جمع الاخبار وبالتالي قيام اصحاب المطابع بطبع النشرات الاخبارية. ولم يتوقف الاعلام عند هذا الحد حيث تطور الاعلام بخاصة مع ظهور وكالات الانباء العالمية في الفترة ما بين 1840- 1850 بحيث بدأ الفن الصحافي يعتمد على العنوان البارز والرسم.

ومما لا شك فيه بان الاعلام الدولي قديم ويعود الى قيام الثورة الصناعية وتطور صناعة الورق والطباعة حيث ازدادت الحاجة لايجاد وسائل كفيلة بنقل ما يرسله وما يستقبله الانسان من معلومات واخبار بخاصة في عصر الاتصال الجماهير التي اتحدت فيه ثلاثة عناصر غيرت مجرى التاريخ وهي (الحبر والورق والطابعة)،

حيث بدأ الاعلام مرحلة جديدة خرج معها من مرحلة الفوضى والاضطراب الى مرحلة صناعية منظمة وذلك مع ظهور المطبعة على يد "جوتنبرج" في القرن الخامس عشر وتقدمها.

واذا كان للقرن التاسع عشر اثره البارز في تاريخ الاعلام الصحافي من حيث البدء بمرحلة جديدة في فن الصورة الفوتغرافية فان اهمية الاعلام ازدادت اكثر مع ظهور الوسائل الاعلامية المسموعة والمرئية التي تم استخدامها كوسائل اتصال واعلام دولي، حيث نجد ان الراديو كان الوسيلة الاعلامية الاولى والاقوى تاثيراً في الاعلام الدولي، الامر الذي أدى بالروس والالمان لاستخدامه كأقوى وسيلة للدعاية الدولية وللتأثير في عقول البشرية والذي اصبح بعد ذلك سلاحاً مؤثراً في الحرب النفسية. والجدير بالذكر ان النازي (ادولف هتلر) كان يعتقد ان من اسباب هزيمته في الحرب العالمية الاولى هو الراديو لما له من تأثيرات قوية في تلك الحقبة من الزمن.

اما فترة الثلاثينيات فقد شهدت كساداً اقتصادياً عالمياً انتهت بحرب عالمية ثانية، وفي الاشارة هنا الى ان الاعلام الدولي بمفهومه الجديد قد نشأ اثناء الحرب الباردة بين المعسكريين الشرقيين الاتحاد السوفيتي سابقاً والولايات المتحدة الامريكية. وعند انهيار المعسكر الاول اصبحت الولايات المتحدة الامريكية هي الدولة العظمى صاحبة القطب الاوحد. الامر الذي جعل الولايات المتحدة الامريكية واوروبا وحلفاؤها يسيطرون على وكالات الانباء العالمية وفضائيات الاعلام، وبالتالي التحكم في الاعلام الدولي من حيث توجيهه وتحديد مساره الذي يعمل باتجاه واحد من الشمال الى الجنوب فقط وتأثيره على الشعوب والمجتمعات بخاصة دول الجنوب والعالم العربي.

والجدير بالذكر ان الجهاز الدعائي الالماني كان من اهم الاجهزة التي اعتمدت الصيغة الدعائية المباشرة وذلك خلال الحرب العالمية الثانية، حيث قام الجهاز بتوظيف بعض وسائل الاعلام ومنها الوسيلة الاذاعية بهدف اختراق الدول وتكريس الفكر النازي وتعميقه.

وقد كان لهاتين الكارثتين(الحربين العالميتين الاولى والثانية) تأثيرهما على الدراسات الاعلامية، حيث ازدادت خلال تلك الفترة البحوثات والدراسات الميدانية والتجريبية التي سعت لقياس الدعاية الشيوعية في امريكا، وما مدى تأثير الراديو في الحرب العالمية الاولى وتأثير الصحف والسينما ايضاً. كما ان تلك الفترة من الزمن تميزت بقيام حكومات استبدادية في المانيا وايطاليا واليابان وايطاليا وغيرها من الدول.

ويمكن الاشارة هنا الى ان مؤسس نظرية (الكمية في تحليل المضمون) الامريكي (هارولد لاسويل) هو اول من قام بتحليل المضمون السياسي في وسائل الاعلام الدولي.

اما فترة الاربعينيات والخمسينيات فقد شهدت ظهور عدد من المؤسسات والهيئات. وبعد عام 1945 اي بعد الحرب العالمية الثانية انشئت هيئتان دوليتان الاولى: منظمة اليونيسكو والثانية معهد الصحافة الدولي I.P.I بهدف ترسيخ دعائم التفاهم الدولي في مجال الاعلان والمعلومات.

وفي عام 1947 انشأت الدول الشيوعية في رومانيا (الكومينفورم) وهو مركز للنشاطات الدعائية للعالم الشيوعي حيث استمر حتى عام 1956 بتصفيته.

وفي جنيف قام المجلس العالمي للكنائس بانشاء قسم خاص للاعلام حيث بدأ عمله عام 1954 بنظام البث الاذاعي لعدد من الكنائس البروتستانتية. والجدير بالذكر ان راديو الفاتيكان كان يبث الاعلام الديني بحوالي (30) لغة وذلك عام 1931.

اما فترة الستينيات فتعتبر فترة الانعطاف الدولي في مجال الاتصال الدولي وثورة ضخمة في مجال تبادل وتدفق المعلومات عن طريق التلفزيون وشبكاته الدولية بخاصة بعد اطلاق القمر الصناعي Arial 1 عام 1962 من خلال وكالة الفضاء الامريكية (ناسا).

كما ساعد التطور التكنولوجي في جعل العالم قرية كونية صغيرة، فكان من الضروري دراسة تأثير التقنيات ومدى استخداماتها في المجتمعات والدول.

اضافة الى ان اختراع السينما والراديو والتلفاز وتطوره كبث ملون عام 1966 حيث انتقل تأثير الاعلام الدولي اليه كوسيلة افضل بخاصة مع ظهور الفضائيات من ثم الشبكة العنكبوتية فالهواتف المحمولة والنقالة. من ثم تحويله التلفاز الى ديجيتال.

ففي الماضي كان الصراع التنافسي ما بين الصحف المطبوعة والراديو، ومع ظهور التلفزيون تحول الصراع ما بين الراديو والتلفزيون بخاصة مع مرشحي الرئاسة الامريكية في حملاتهم الانتخابية، حيث استُخدمتا وسيلتا الراديو والتلفزيون لاستقطاب الجماهير او الناخبين، كما ان وسيلتي الاتصال (الراديو والتلفزيون) استخدمتا الدعاية المرافقة للحربين العالميتين الاولى والثانية وتم انشاء مراكز متخصصة للبحوثات التي تتعلق بالدعاية والحرب النفسية بحيث اصبح الاعلان احد مقومات وسائل الاتصال الجماهيري، فيما يسعى الاعلان الدولي الى تحريك الاقتصاد في الدول الرأسمالية التي تؤمن بالاقتصاد الحر.

ولم يتوقف الاعلام عند هذا الحد وحسب، بل سعت المجتمعات والدول لايجاد وسائل اعلامية جديدة كظهور الفضائيات والاذاعات الخاصة. وقد شهد القرن الحادي والعشرين تقدما كبيرا وهائلا في ثورة الاتصال والمعلومات، فمن اعلام تقليدي انبثق عنه اعلام الكتروني، ومن اعلام الكتروني انبثق عنه اعلام رقمي- الكتروني بحيث اصبحت الاخبار تتداول بين الناس كل ثانية وكل دقيقة وفي كل ساعة بصورة آنية مستمرة.

والجدير بالذكر ان العالم لم يشهد بحوثات تذكر في مجال الاتصال والاتصال الدولي حتى الثلاثينيات. اما منتصف الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن الماضي فقد شهد العالم نشاطاً علمياً تمثل في بحوثات ذات قيمة علمية لها مكانتها واهميتها العالية في العالم، وكان (لازر سفيل) من ابرز الباحثين الذين قاموا بمعالجة نظرية الاعلام.

اما في تسعينيات القرن العشرين فقد تخلت السياسية الامريكية الخارجية عن الكثير من نقاط الخلاف السرية منها والمعلنة بينها وبين الاتحاد السوفيتي بعد ان تفتت جمهورياته في تلك الفترة الزمنية. وقد اصبحت قضية التبادل التجاري تحتل

المكانة والاهمية الكبيرة حيث حلت محل الصراعات الاعلامية بين الطرفين كما ان التبادل التجاري فاقت مكانته على قضايا الشيوعية والتهديد النووي واهداف الامن القومي التي كان يناديان بهما كلا الطرفين.

ويمكن القول في هذا الاطار ان الفراغ الذي خلفه انهيار الاتحاد السوفيتي قد تم تعبئته بالحتمية الاقتصادية المرتبطة اصلا بحقيقة الاقتصاد الدولي.

وفي الاشارة هنا الى ان الحرب الباردة هي سياسة الاحتواء، وبما انه كان هناك دعوات من قبل "جيمس بيكر" للولايات المتحدة للعمل والتعاون مع ايران وسوريا من اجل احتواء النزاع العراقي، فان سياسة الاحتواء مفهوم من مفاهيم الحرب الباردة في الدعوة للاتحاد السوفيتي بعدم مهاجمته، بل مهاجمته اقتصادياً ودبلوماسياً واستخباراتياً.

وقد ادت الثورات الثلاث ثورة المعلومات التي احدثت انفجارا معرفيا هائلا، وثورة وسائل الاتصال المتمثلة في تقنيات الاتصال الحديثة التي بدأت بالاتصال السلكي وللاسلكي وصولا لنصوص التلفزة، الى ثورة الحاسبات الالكترونية "الثورة الرقمية" الى تفعيل دكتاتورية الدول الغربية في سيطرتها على دول الجنوب من خلال احتكارها لوكالات الانباء العالمية، والتحكم في انسياب المعلومات ما جعلها غير متوازنة بين الدول الشمالية والجنوبية.

وقد افرزت ثورة المعلومات نماذج اعلامية جديدة ابرزها المواقع الالكترونية للصحف ووكالات الانباء العالمية على الشبكة العنكبوتية، ولم تتوقف عند هذا الحد، بل اصبح للاذاعات والمحطات التلفزيونية ايضا مواقع الكترونية تبث وتنشر محتوياتها الاعلامية من خلال ما تمتاز به هذه النماذج باكتمال الحلقة الاتصالية، اذ يتحول القارئ الى صحافي من خلال تفاعله الفورى المباشر على المواقع الصحفية الالكترونية.

وهذه النماذج فتحت الطريق لظهور ما يسمى بثورة "الاعلام الالكتروني"، حيث ساعد ظهورها في تحرر الانسان من اجهزة التوجيه الاعلامي الرسمي، واصبحت عملية الاتصال مزدوجة لتشمل حرية المرسل والمستقبل معا، الا

ان هذه ثورة المحتكرة بدأت تسبب خطورة القضاء على الوسائل التقليدية "كالصحف الورقية" و "والصورة المتلفزة"، حيث اصبحت الاولى تتساءل عن مستقبلها، وسببت للثانية رعبا وخوفا على مستقبل الصورة، كما انها ادت لتساؤلات كثيرة من قبل اصحاب دور النشر والمكتبات العامة حول مستقبل "الكتاب الورقي" لما يمتاز به هذا الاعلام من ميزات وخصائص، يجعله سلطاناً على الوسائل التقليدية.

كما ساعدت هذه الثورة الى الانتقال بالعملية الاعلامية الى مرحلة جديدة ومتطورة ومختلفة عن الاعلام التقليدي، من خلال ظهور ادوات جديدة للتعامل مع الاخبار المطبوعة والمسموعة والمرئية، من خلال منظومات متخصصة كانظمة التوثيق الرقمي، والترجمة والمعالجة، الالية، والانتاج الالي للنصوص، اضافة الى نظم ادارة المحتوى الرقمي التي تشمل الدورات التحريرية في مطبخ الاخبار.

ومع تطور الثورات الثلاث التي مر بها العالم ولا سيما في القرن الحادي والعشرين، شهد عصرنا الحالي انفجارا معلوماتي هائل نتيجة الثورة التكنولوجيا التي انبثق عنها اعلام الكتروني ادى الى انبثاق اعلام جديد هو الاعلام الرقمي الالكتروني واجهزة ذكية.

فالتطورات التي طرأت على ادوات الاعلام ووسائله المختلفة اضافة الى التطورات والابتكارات النوعية الهائلة، ومع تعدد وسائل الاعلام وتنوعها اصبح الباب مفتوحاً على كل الاحتمالات بحيث اصبحت هذه الوسائل اكثر قدرة على الاستجابة مع الظروف والتحديات والمعوقات التي يفرضها الواقع الاعلامي بخاصة وان الاعلام اليوم اصبح لغة عصرية وحضارية لا يمكن الاستغناء عنها او تجاهلها ما يتطلب فهمها واستيعابها من خلال امتلاك مقوماتها وعناصرها ومواكبة التطورات المختلفة التي يشهدها عصرنا الحالي ما يدفعنا بان نقف اليوم لنفكر بطريقة اخرى لا تقتصر على حفظ المعلومات والاخبار سواء اكانت شفوية ام كتابية ام سمعية ام مرئية...الخ فحسب، بل يجعلنا نعيد النظر في مسألتين الاولى: ماهية وابعاد "الرسالة الاعلامية" المقدمة، والثانية: العنصر الهام الا وهو "مرسل" هذه الرسالة ومدى مهنيته

في التعامل معها، والجهة القائمة على ارسالها في ظل التأثير القوي الذي يلعبه الاعلام الدولي في وقتنا الحالي.

وعلى الرغم من ان الاعلام عموماً والاعلام الدولي على وجه الخصوص قد لعب دور الوسيط والرابط ما بين افراد المجتمعات وما بين دولة واخرى، من خلال كسر الحواجز الوطنية وغياب السيادة الوطنية، وبهذه الطريقة فان الاعلام الدولي على الرغم من انه قرب المسافات بين الشعوب والمجتمعات والدول بحيث اصبح العالم اشبه الان بـ "غرفة كونية" وليس بقرية صغيرة، الا ان هذا الاعلام له اهدافه البعيدة المدى ومصالحه الخطيرة التي يسعى لتحقيقها من خلال السيطرة والتحكم في العالم بخاصة في دول الجنوب.

ولعل تطور عملية التعليم المهني للاعلام اسهم في نمو الاتصال الجماهيري حيث اصبح يدرس في الكليات والجامعات. وايضا فان ظهور المؤسسات الكبرى لوسائل الاعلام جعلت من الاتصال صناعة، وهذه المؤسسات تتمركز في الولايات المتحدة الامريكية في كل من هولوود ونيويورك.

ولا شك بان استقلال العديد من دول العالم الثالث في اربعينيات وخمسينيات القرن الماضي ساعد بشكل كبير على نمو وسائل الاتصال. فلا يمكن لاي دولة ان تدعي الاستقلال اذا كانت اجهزتها الاعلامية محكومة ومقيدة. فقد ولّد الشعور بالاستقلال الى القدرة على استيعاب اهمية الاعلام والقدرة على الاتصال والتواصل بين المجتمعات والدول، والعمل على التنمية ما ادى الى الاهتمام بالاعلام ووسائله المختلفة التي انبثقت عنها الديمقراطية وحرية التعبير والتعليم والانفتاح وكسر الحواجز والتقدم التكنولوجي، لكن بالمقابل اصبحنا مستعمرين الكترونياً.

كذلك فان التقدم والتطور الهائل الذي طرأ في ظل ظهور شبكة الانترنت والذي انبثق عنه اعلام الكتروني اضافة الى دور الاقمار الصناعية والتدفق المعلوماتي الحر، بحيث اصبح الاعلان وسيلة تسويقية، اضافة الى انتشار الهواتف المحمولة والذكية التي تجاوزت الاتصال الشخصي والوسطي، حيث شهد عصرنا

الحالي اعلام جديد انبثق عن الاعلام الالكتروني وهو الاعلام الرقمي – الالكتروني الذي استطاع ان يحول وسائل الاعلام التقليدية إلى وسائل رقمية- الكترونية ، والذي بدوره اسهم اسهاماً عظيما في تطوير وسائل الاتصال الجماهيري، حيث لم يعد هناك اية قيود على تلك الوسائل.

واليوم نشهد صراعاً ومنافسة حقيقية بخاصة مع ظهور والاعلام الرقمي- الالكتروني حيث تحولت المنافسة بين وسائل الاعلام التقليدية والوسائل الحديثة الالكترونية، واصبحنا نشهد صراعات ومنافسات كبيرة بين الصحف المطبوعة والصحف الالكترونية والتي تمتاز بالتفاعلية وغياب الرقابة والسبق الصحفي. ولم تتوقف المنافسة ما بين الورقي والالكتروني وحسب، بل امتد لتصبح المنافسة ما بين الصحف والمواقع الالكترونية نفسها في نقل الصور والاحداث والصراعات والاخبار.

وما شهدته الدول العربية من احداث وثورات سميت (بالربيع العربي) والتي بدأت من تونس اولا وامتدت الى اغلب الدول العربية كان احد اسبابها التي ساعدت في إشعال الثورات بين الدول وبين افواج المجتمعات والمجتمع الواحد المواقع الالكترونية وشبكات التواصل الاجتماعية وعلى رأسها الفيسبوك الذي كان له تأثير قوي في قيام الثورات والاحداث والتظاهرات، على الرغم من ان المحرك الرئيس لتلك الثورات هي المخططات الصهيونية والتي استخدمت الاعلام الدولي وشبكات الانترنت بكل اشكالها كأداة من الادوات الاستعمارية التخريبية لخدمة اهدافها وتحقيق مصالحها.

ويمكن القول ان تأثير الوسائل الالكترونية على الاحداث السياسية والمنافسة الكبيرة ما بينها وبين الوسائل التقليدية ساهم مساهمة واسعة في ادراك اهمية وسائل الاتصال الجماهيري ومدى تأثيرها القوي على المجتمعات والدول على حد سواء.

وللاعلام اهداف عدة مدروسة ومحددة لا بد من ذكرها وهي: هدف اعلامي، وهدف اغرائي، وهدف ترفيهي. فالاول يخاطب عقل الانسان اما بطريقة

ايجابية او بطريقة سلبية، حيث يهتم بإخبار الناس (اجتماعياً وسياساً واقتصادياً ...الخ) سواء اكان الخبر مسموعاً او مقرؤءاً او مشاهداً او الكترونياً.

اما الهدف الثاني فهو يخاطب عاطفة الانسان، من خلال ما تنشره وسائل الاعلام من معلومات واخبار وبرامج اجتماعية تتعلق بحياة الانسان وقرب المكان ومشاكله وافراحه...الخ. والهدف الثالث فهو ترفيهي لازالة شحنات التوتر والاضطراب التي يتعرض لها الفرد نتيجة تعرضه للهدف الاول والثاني عبر وسائل الاعلام المختلفة.

ولكن! فان ظهور وتطور تأثير وفاعلية الاعلام الدولي ادى لتغيير مفهوم الاعلام المعتاد عليه المتلقي لتصبح معظم وسائل الاعلام باشكالها المختلفة اضافة الى شبكة الانترنت وما تحويه من مواقع وشبكات للتواصل الاجتماعي اهدافا بغرض التشويش على العقل البشري، واحداث الفوضى ما بين الافراد او الجماعات او الدول، وقد يتحول في بعض وسائل الاعلام ليصبح هدفا لنشر الاخبار والمعلومات المضللة.

ولا شك بان التطور التكنولوجي الكبير في مجالي الاتصال والاعلام كان له الاثر الابرز والرئيس في ايجاد مؤسسات ومنظمات وهيئات واتحادات دولية هدفها تنظيم التعاون الدولي وايجاد المنطلقات العلمية وتحقيق التفاهم الانساني بين الدول.

❖ **مؤسسات الاعلام الدولي:**

"لم تتمكن مرحلة ما بعد الاستعمار من الوصول الى عالم اكثر عدلاً وسلاماً. فالادلة تشير الى حضور المزيد من الاخبار والصور عن العالم الغربي في مقابل استمرار التخوف من الدخول الى الثقافة عير الغربية فيما يتعلق بالمعلومات، والمعرفة، والتسلية، وغيرها من الاشكال والعناصر الثقافية"[4].

ومما لا شك فيه ان الامم المتحدة لعبت دوراً كبيراً في مجال التعاون الدولي من خلال منظماتها ومؤسساتها وهيئاتها الدولية. وسوف نوضح بشكل

مختصر ابرز المنظمات والمؤسسات والاتحادات الدولية وابرزها منظمة اليونيسكو والمنظمات الدولية ونبدأ اولا بمنظمة اليونيسكو وذلك على النحو الآتي:-

أ- منظمة اليونيسكو:UNESCO

ظهرت هذه المنظمة لاول مرة عام 1945 عقب المؤتمر الذي عقد في لندن لعدد من وزراء التربية والتعليم العالي في العالم. اما ولادة المنظمة بشكل رسمي فكان عام 1946 بعد ان صادقت على انشائها (20) دولة، حيث سميت المنظمة الجديدة باسم "منظمة لامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة" UNESCO وتهدف بالدرجة الاولى الى تعريف الشعوب ببعضها البعض، وتفهمها المتبادل للقيم الثقافية من خلال وسائل الاتصال الجماهيري.

وقد اصدرت المنظمة قرارات وتوصيات عدة خلال مسيرتها الطويلة كضرورة عقد الاتفاقيات الدولية اللازمة لانتقال الافكار والحرية من خلال الكلمة والصورة وغيرها من القرارات.

"وعلى الرغم من اغلب القرارات التي صدرت عن اليونسكو بشأن الموضوعات الاعلامية قد تم التوصل اليها باتفاق عام في الرأي فان عملية صياغتها كانت عملية مؤلمة، فقد قامت خلافات واضحة وحادة من اجل وضع معايير ومبادىء عامة يمكن ان تسترشد بها وسائل الاعلام كي تلعب دوراً اكثر ايجابية في ايقاظ الرأي العام تجاه المشكلات الكبرى التي تواجه الجنس البشري وحلولها الممكنة، اضافة الى اصدارها للكتاب السنوي الاحصائي للامم المتحدة الذي يشمل احدث البيانات والاحصائيات في مجال الاتصال الدولي"[5].

وما زالت منظمة اليونيسكو تقوم بالدفاع عن فكرة التوصل لميثاق اخلاقي عالمي لوسائل الاعلام في كل الدول للدفاع عن مهنة الصحافة وتأكيد مصداقيتها. ولا اريد ان اخوض بتفاصيل الجهود التي قامت بها المنظمة والتي كثفتها مع المنظمات المهنية والدولية والاقليمة في هذا الاطار، ولكن من بين المبادئ الكثيرة التي اصدرتها اليونيسكو مبدأ تدعيم السلام الدولي ومبدأ كرامة

الشعوب اضافة الى مبدأ احترام الثقافات والذات الثقافية، لكن الصحافيين في الغرب بخاصة في امريكا لا يرغبون بتطوير ميثاق اخلاقي عالمي للصحافة ، ولا يشعرون بالتزامهم تُجاه هذه المبادئ وغيرها من المبادئ التي وضعتها اليونيسكو، ويفضلون ان يكونوا احرارا من أي التزامات سياسية واجتماعية ، فعدم التوصل الى سلام فعال وحقيقي على ارض فلسطين والحرب على العراق من الدلائل الواضحة على ذلك.

اما مبدأ احترام الثقافات والذات الثقافية للشعوب المختلفة فهذا المبدأ له اهمية كبيرة خاصة في ظل تطور تكنولوجيا الاتصال الذي شكل تهديدا خطيرا على الثقافة واللغة، والسبب يعود لاحتكار الدول المتقدمة وسيطرتها على دول العالم الثالث. الأمر الذي ادى لتعريض الذاتية لخطر ناجم عن التبعية الفكرية والثقافية والتي لا تقل عن التبعية السياسية .. فكيف لشعوبنا من تحقيق احترام الذات الثقافية وتحقيق السلام والتفاهم الدولي في ظل الاحتكار والسيطرة الغربية؟

اما عن مبدأ احترام كرامة الدول والشعوب والافراد فهذا هو الميثاق الاول الذي ظهر في اعلان اليونيسكو المبادئ الاساسية عام 1978 تلاه المبدأ الثاني (كرامة الانسان) عام 1983 ولكن للاسف هذا المبدأ ما زال محدودا جدا حتى الان.

ولا شك بان هناك وكالات عدة خاصة تابعة للامم المتحدة وهي:

- الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية: International Telecommunication
- المنظمة العالمية للملكية الفكرية: WIPO

وهناك العديد ايضا الى جانب تلك المنظمات يوجد منظمات صحية وتعليمية واجتماعية حيث يعد الاتصال جزءا اساسيا فيها ويلعب دوراً فعالا في استراتيجية كل منظمة من هذه المنظمات.

ب- المنظمات الدولية:

تتمثل تلك المنظمات باتحاد المواصلات الدولي ITU وهو اختصار لكلمة حيث انشىء عام 1865 كمنظمة متخصصة عرف باسم الاتحاد الدولي للتغراف،

وفي عام 1932 تغير اسمه ليصبح International Telecommunication Union (ITU) . وكانت بدايته مقتصرة على المشكلات الفنية فقط وكان من بين محاولاته الاولى وضع قواعد دولية لاشارات مورس Morse Code . وكان الاتحاد يضم مئة وتسعة وعشرين عضواً ومقره جنيف، لكن في تسعينيات القرن الماضي وصل عدد اعضائه الى 188 عضواً.

اما اليوم فيضم 137 دولة عضو بالاتحاد، اضافة الى 51 وزيرا للاتصالات والمعلومات، فضلا عن 1314 من اصحاب الشأن والقرار.

ويعمل على تحسين خدمات المواصلات السلكية وللاسلكية، وتطوير الوسائل الفنية في جميع انحاء العالم. كما يوفر اسلوب التسجيل وتخصيص الترددات لمختلف الدول اضافة الى الى التعاون بين اعضاء الاتحاد.

"وقد سارعت الدول الهامشية الى اثارة قضية عدم التوازن في توزيع حصص الطيف الاذاعي على اساس انها تدخل ضمن قضية الاستعمارية الثقافية التي سبق وان اثارتها في إطار النظام الاعلامي العالمي الجديد، من خلال قضايا مثل تركيز الملكية وسيطرة القطاع الخاص على وسائل الاعلام، وعدم التوازن في التدفق المعلوماتي"[6].

وقبل الخوض في تفاصيل الاعلام الدولي لا بد لنا بداية ان نعرج قليلا لنقدم للقارىء مثالين مختلفين لقضيتين من قضايا الاعلام الدولي الاولى: اعلام امريكا اللاتينية والقضية الثانية: الاثر الماركسي ونبدأ اولا بالقضية الاولى وذلك على النحو الآتي:-

اولا: اعلام دول امريكا اللاتينية:

لا شك بان وسائل الاعلام في امريكا اللاتينية تختلف اختلافاً واضحاً عن الاعلام في دول امريكا الشمالية فلا زالت تلك الدول اقل تطوراً مقارنة من دول الشمال. ويمكن ان نوضح نقاط الخلاف بشكل مختصر على النحو الآتي:-

1- **الاختلاف الاول**: اسواق واجواء العمل المتوافرة

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عاشت بعض دول امريكا اللاتينة اجواءً من الاضطرابات والتحولات على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي ايضا.

ولا تزال تلك الدول تعيش تحت مظلة انظمة دكتاتورية مدعومة عسكرياً، ومن المؤكد ان الذي يحكم وسائل الاعلام في تلك الدول ويسيطر عليها هي الحكومات من خلال فرض القوانين والرقابة الصارمة وتضيق الحرية وحشد الناس وراء السلطة والقيادة.

وعلى الرغم من ان دول امريكا اللاتينية كانت على موعد مع مجموعة من التغييرات الجذرية سواء على مستوى الحكومات او وسائل الاعلام للدخول الى اجواء ديمقراطية، والتمتع بمساحة حرية اكثر انفتاحاً، وتحسين الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية لشعوبها، الا اننا نجدها اليوم انها تقف على مفترق طرق فإما ان تختار التغييرات الجديدة او ان تعود الى انظمتها العسكرية السابقة.

2- **الاختلاف الثاني:** صعوبة الموازنة الاعلامية

تتميز اسواق امريكا اللاتينية بظاهرتين اساسيتين على الرغم من صعوبة الموازنة اعلامياً ما بين القديم والجديد. الاولى هي سيطرة اللغة الاسبانية وبالتالي لم تخضع لسيطرة ما تبثه وسائل الاعلام الامريكية من خلال التلفزيونات الامريكية وما تبثه من برامج وافلام هوليود التي تقدم باللغة الانجليزية، باستثناء البرازيل التي تتحدث اللغة البرتغالية.

اما الظاهرة الثانية فهي التي نتجت عن هذا الاختلاف اللغوي وتتميز بانتاج الروايات التلفزيونية والاوبرا الاسبانية التي نجحت واشتهرت في المكسيك الى اقصى امريكا الجنوبية. "ودفعهم هذا النجاح الى تصدير اغلب الممثلين والممثلات في هذه الرواية التلفزيونية من رموز المجتمع في دول امريكا اللاتينية، كما يلاحظ ان سوق التصدير في تطور سريع لان تكلفة انتاجها اقل من نظيراتها في هوليود ونيويورك"[7].

3- **الاختلاف الثالث:** دور الصحف ونجاحها

لقد كان لدور الصحف ونجاحاتها اختلاف اخر ما بين الامريكيتين الشمالية واللاتينية. ففي العقد الماضي تم دمج الصحف وتقليص عددها ليصبح المعيار وجود صحيفة لكل مدينة في امريكا الشمالية. بينما نجد ان عدد الصحف

في امريكا اللاتينية في نمو متزايد ليصل الى (1000) صحيفة يومية تستهدف (100) مليون نسمة، الامر الذي يشكل تحدياً كبيراً امام نجاح المحطات الخاصة، ولعل الناشرون واصحاب الصحف لا يترددون في دعم الاتجاه لتحقيق مزيد من الحرية والديمقراطية ودعم المجال الاعلامي كون الصحف مُلكية الافراد.

ثانيا: الاثر الماركسي

قدمت امريكا اللاتينية نموذجاً فريدا من نوعه يسعى لتشابك المصالح ما بين اتحادات العمال والاكاديميين الذين سعوا لتطبيق الحلول الماركسية. وتفترض الماركسية ان كل المجتمعات تتقدم خلال الصراع بين الطبقات الاجتماعية اي ما بين طبقة الملاك المتحكمين بالانتاج والطبقة العمالية الذين يعملون بانتاج السلع. ففي امريكا قدم الاكاديميون انتقادات حادة لبعض نماذج الحياة الامريكية المتمثلة بالملكية والاسواق الحرة والاعلانات حيث هاجموا بعنف افلام هوليود والبرامج التلفزيونية الامريكية والغربية وقنوات الاغاني كقناة MTV .

وقد فقدت هذه المجموعات والاتحادات في امريكا اللاتينية زخمها ومصداقيتها وذلك مع انهيار الفكر الماركسي ونهاية الحرب البارد. وشهدت امريكا اللاتينية تغيرات على الصعيد الاعلامي مثل تحرير وسائل الاعلام والخصخصة واعادة تنظيم تلك المؤسسات الاعلامية وخفض حجم الملكية الحكومية وزيادة في الاعلانات، اضافة الى تقليص القوانين المسيطرة على الاعلام الالكتروني.

ولا شك بان التغيير الثقافي في دول امريكا اللاتينية مرتبط بالتغيير الاقتصادي، ولعل علماء الاتصال في امريكا اللاتينية ومن خلال كتاباتهم لا زالوا اشد عدائية للولايات المتحدة الامريكية على الرغم من التغييرات التي طرأت على خريطة الاعلام العالمي الدولي.

المبحث الثاني

(التدفق الحر للمعلومات والنظام الاعلامي العالمي الجديد)

لا بد بداية للاشارة هنا الى ان النظام الاعلامي العالمي الجديد قد وفر اطاراً عاماً جديداً لدراسة الاطر الاعلامية وهذا الاطر تتمثل بنظريتين هامتين اعتمادهما " ثوماس ميكافيلي" وهما: (نظرية الاستعمار الالكتروني) و (نظرية النظام العالمي).

اما بالنسبة للنظرية الثالثة المتمثلة بـ "النظام الاعلامي العالمي الجديد" فربما يستغرب القارىء! لماذا لم يتم تناولها مع النظريات الاعلامية السابقة؟ . ويعود السبب في ذلك كون ان فكرة النظام الاعلامي العالمي الجديد جاءت بعد ان تغول الاعلام الدولي وهيمن على العالم، حيث ادركت معظم الدول الغربية والعربية بأهمية اقامة نظام اعلامي عالمي جديد للحد من الاحتكار الصهيوني وتغول الاعلام الدولي من خلال السيطرة والتدفق الحر للمعلومات والهمينة على هذا التدفق من قبل امريكا والصهيونية العالمية التي تسيطر على دول العالم.

وسبق وان قدمنا للقارىء في الفصل الثالث من هذا الكتاب ايضاً، توضيحاً عن تلك النظريات. كما سبق وان اوضحنا في الفصل نفسه عن الدول الهامشية وشبه الهامشية والدول المركزية كما قمنا بتمثيلها من خلال الرسم. ومن المؤكد بان القارىء اصبح لدية رؤية واضحة عن تلك الدول.

وقبل الدخول الى الاطار الثالث والمتمثل بـ "النظام الاعلامي العالمي الجديد"، لا بد لنا بداية ان نتناول قضية "التدفق الحر للمعلومات" وعلاقته بالهيمنة، لعدم تشتت ذهن القارىء من حيث تسلسل وترتيب الافكار والموضوعات. كون المطالبة بايجاد "نظام اعلامي عالمي جديد" جاء نتيجة التدفق الحر للمعلومات "احادي الاتجاه" الذي يسير فقط من دول الشمال الى الجنوب.

◆ **الهيمنة والتدفق الحر للمعلومات**

لا شك ان نتائج الحرب الباردة ما بين المعسكريين الاتحاد السوفيتي سابقاً والولايات المتحدة الامريكية قد نتج عنها سقوط المعسكر الاول بحيث اصبحت الولايات المتحدة الامريكية هي الدولة العظمى صاحبة القطب الاوحد، الامر الذي جعلها واوروبا وحلفاؤها يسيطرون على وكالات الانباء العالمية وفضائيات الاعلام، وبالتالي التحكم في الاعلام الدولي من حيث توجيهه وتحديد مساره الذي يعمل باتجاه واحد من الشمال الى الجنوب فقط ، وتأثيره على الشعوب والمجتمعات بخاصة دول الجنوب ومنها اقطار العالم العربي.

ونجد ان معظم سجلات التاريخ واحداث الماضي القريب تثبت مدى قيام وسائل الصحافة والاعلام في الدول القوية وكيفية تأثيرها على الساحة العالمية من خلال قوة انتشارها وتحكمها في مهاجمة المواقف والاراء المتعلقة بالصراعات او القضايا الدولية التي تخالفها حتى لو كانت عادلة وتتفق وحقوق الشرعية الدولي.

فقد نجحت جماعات النفوذ والضغط اليهودية والصهيونية في التأثير على الاعلام الامريكي خاصة في كيفية تعامله مع القضية الفلسطينية والصراع العربي- الاسرائيلي وكيفية تدخله بشكل مباشر في هذه الصراعات ومدى تأثيره على تشكيل الرأي العام الامريكي.

فقد كشفت دراسة وثائقية أعدها الكاتب الأمريكي (ديفيد ديوك) عن سيطرة اليهود الموالين للدولة الصهيونية على أجهزة الإعلام الأمريكية. ويسيطر اليهود على أغلب دور النشر والإنتاج السينمائي والمكتبات العامة لخدمة مصالحهم، ويبلغ عدد الصحف المستقلة عن سيطرة الإمبراطوريات الإعلامية اليهودية حوالي 25٪ فقط من بين 1600 صحيفة تصدر في أمريكا ويمتلك نيوهاوس لوحده حوالي 12 قناة تلفزيونية و87 محطة كيبل و24 مجلة و26 صحيفة يومية.

وأشار (ديوك) لسيطرة اليهود على الصحف والمجلات والقنوات التلفزيونية غير اليهودية من خلال سيطرتهم على شركات الدعاية وتوجيه الإعلان لما تتماشى مع ميولهم ، مما جعل افتتاحيات تلك الصحف تعبر وتدافع عن مصالح اليهود[8].

ان هذا الاعلام المؤثر قادر على ان يغلق امام المواطن الامريكي اي مصدر اخر للمعلومات بحيث يصبح اسيراً للمصادر الامريكية فقط. وعلى الرغم من ان المصداقية تعتبر من اهم العناصر التي تمتاز بها الاخبار الا ان السجلات التاريخية اثبتت ان اهم الصحف العالمية سقطت لنشرها العديد من التقارير والاخبار لانها كانت مزورة وبعيدة عن الحقائق بحيث قللت هذه الصحافة من التغطيات العالمية واحداث عالمنا المتشابك بخاصة في حرب الخليج .

وقد كشف الكاتب الامريكي "مايكل بايير" النقاب عن منظمات ومؤسسات يهودية وصهيونية في الولايات المتحدة تمارس ضغوطا ضد كل من يحاول كشف مخططاتها او الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني ودعم القضايا العربية حتى ان الكاتب نفسه واجه ضغوطات وتهديدات بسبب كتاباته. فتشويه الحقائق قد يأخذ صورا اخرى غير الاحداث، ولعل ما حدث خلال الاحتلال الامريكي - البريطاني للعراق مثال واضح على كيفية تصرف هذا الاعلام في تغطية حرب الخليج، فالتعليمات التي يعطيها البنتاغون لتغطية النزاع ونشر الصور بامكانه ان يقرر منع نشرها اذا لم تكن لصالح الدول الغربية.

والجدير بالذكر ان الامريكيين لم يروا صور الاسرى والقتلى الامريكيين وجثث المدنيين العراقيين المتقطعة بصواريخ وقنابل القوات الحليفة في العراق وما حصل ويحصل لم يؤد الى جهل المواطن، بل قد يكون حتما فاقما للصراعات. فقد تم الاخلال باخلاقيات المهنة في معظم الدول بما فيها الدول الاكثر ديمقراطية. والغريب في هذه الدول انها ترفع شعار الديمقراطية والحرية وهي تمارس الدعاية الاعلامية والاكاذيب والتعتيم وتقوم بتشويه الحقائق وتزوير الوقائع.

ولا ننكر ان هناك فترات طويلة من المحاضرات والمؤتمرات عن الصحافة الحرة والتدفق الاعلامي الحر للمعلومات اعطاها الامريكيون للعالم ، فيما اشار خبراء اعلاميون امريكيون بان الصحافة الامريكية ليست حرة بالمعنى المطلق لكنها تعتبر نسبية مقارنة بالحرية المتاحة للعالم ذلك لانها تعمل داخل احكام ونظم واتفاقيات وقيود.



وقد سبق ان ذكرنا ان هناك شركات كبرى في الولايات المتحدة الامريكية سنقوم بالحديث عنها لاحقاً تستخدم الدكتاتورية وتسيطر على ما يسمعه وما يشاهده ويقرأه الجمهور الامريكي، فوَهْم "حرية الاختيار" فيما يتعلق بالاعلام هي اكثر انتشارا في الولايات المتحدة الامريكية من أي مكان آخر في العالم، ولهذا فان اللذين يسيطرون على الاعلام يحافظون على استمرار الخلط بين الكم الاعلامي وتنوع المضمون.

ولا بد لنا ان نتساءل! لمن يخضع هذا الاعلام ؟ لا شك انه يخضع للنظام الايدولوجي الرأسمالي سواء من جانب الصحافيين او الجمهور، حيث لم يعد متاحاً تحقيق ضمان مصداقية الصحف الامريكية في ظل سيطرة الشركات الكبرى وتزايد ظاهرة الاحتكار. والطريق المنطقي الوحيد لتحقيق المصداقية كان ضمان الاستقلال لهيئة تحرير الصحف.

وقد اكد الباحث الامريكي Schiller "ان التركيز على مبدأ التدفق الحر للمعلومات يمثل جزءاً من المخطط الامريكي الرأسمالي للحصول على شرعية دولية لهذا المبدأ. وان الرأسمالية استغلت تزايد الحديث عن الحرية كمطلب اساسي للمجتمع الدولي لتدعيم مبادئها على المستوى الدولي، وهذه الحرية تشمل حرية رأس المال، وكذلك حرية تدفق المعلومات"[9].

ونتساءل ايضا! هل اصبح صحافيو الغرب يقومون بدورهم لغرض التجارة ولتحقيق الارباح لهؤلاء الذين يسيطرون على الوسائل الاعلامية ؟.

من المؤكد ان نتائج ظاهرة السيطرة والاحتكار كانت على حساب امور كثيرة ومنها اخلاقيات الدور الوظيفي والخدمة العامة الاجتماعية لوسائل الاعلام الغربية وتحديدا في الولايات المتحدة الامريكية التي ارتبطت اخلاقياتها المهنية بالتجارة والتسويق. وقد ادى ذلك الى وجود خطر معنوي اصبح يشعر به الصحافيون الامريكيون اذ اصبحوا قلقين من القيم التي يتبناها مديرو الشركات التي تمتلك الصحف في أمريكا.

ومن هذا الاطار انطلق بما يسمى "المسؤولية الاجتماعية" التي ظهرت للحد من ظاهرة الاحتكار والتركيز والسيطرة في ملكية وسائل الاعلام في الدول الغربية وتحديدا في الولايات المتحدة الامريكية. لكن وللاسف فان التطورات التكنولوجية والتجارية قد ادت الى تقليل فرص الافراد والجماعات المتنوعة في الدخول الى السوق والتمتع بحق النشر، كما وادت لهبوط معايير اداء الصحافة في الغرب وفشلها في تلبية احتياجات مجتمعاتها.

وباعتقادي لا يوجد ما يسمى بالحيادية والموضوعية في وسائل الاعلام الغربية ازاء أي حادث او قضية انها تعمل فقط ضمن اطار التجارة والبزنس والتسويق، لذا فلن يكون هناك أي وسيلة اعلامية حيادية وعادلة وموضوعية ما لم يتم تحررها من شركات الاحتكار الاعلامي الامريكية. وهذه الامور حتما اثرت على دول العالم الثالث ولا سيما الوطن العربي.

وقد كانت حرب الخليج نموذجاً واضحاً لعملية ادارة المعلومات والاراء وتصنيعها والتحكم فيها من خلال الشركات الاعلامية المحتكرة، حيث قامت وسائل الاعلام الامريكية بتعبئة الرأي العام وتصنيع التأييد العام للموقف الامريكي وقد استخدمتها الشركات الاعلامية المحتكرة كأداة للدعاية في الحرب.

❖ **وكالات الانباء الدولية:**

تعتبر الوكالات عصباً رئيساً من اعصاب جمع المعلومات، فقد بدأ وكالات الانباء الدولية عملها قبل وسائل الاعلام المسموعة والمرئية (اذاعة وتلفزيون) بسنوات عدة. وقد كان لوكالات الانباء الدولية الدور الرئيس والواضح في تطور العمل الاذاعي والتلفزيوني بخاصة في المجال الاخباري من حيث جمع الاخبار وصناعتها وتحريرها.

ويعود تاريخ نشوء وكالات الانباء الى عام 1835 وهي السنة التي تم فيها ولادة انباء "هافاس الفرنسية" عام 1825. والجدير بالذكر ان اول من ابتدع اسم وكالة الانباء واول من وضع فكرته موضع تنفيذ الوكالة هو البرتغالي الجنسية

"شارل لوي هافاس"وذلك من خلال قيامه بتأسيس مكتب له في فرنسا بسبب الظروف التي سادت الثلاثينات من القرن التاسع عشر والصحافة في اوروبا ايضاً، فكان من الضروري ايجاد مؤسسة اخبارية تتوكل مهمة جمع الاخبار الجديدة وتهيئتها وايصالها للصحف. وكان هذا الهدف بداية لقيام وكالات الانباء الدولية في العالم. حيث بدأت الصحافة الفرنسية بعد ذلك مرحلة الازدهار والتطور وارتفاع نسبة توزيع الصحف وذلك عام 1848.

اما وكالة رويتر للانباء فتعتبر اول واقدم وكالة خدمات اخبارية، فقد "تأسست على يد اليهودي اسرائيل "بن جوزاخاث" الذي اعتنق المسيحية وسمى نفسه "جوليوس رويتر"، وذلك عام 1851 في بروكسل في مطلع عام 1851"[10].

فقد كانت بدايتها ان يعمل " بول جوليوس رويتر" في وكالة هافاس في باريس بعد ان قدم طلباً للعمل بها. وقد نجح رويتر في تأسيس وكالة انباء عام بعد اكتسابه الجنسية البريطانية عام 1851 بعدما ما فشل في محاولة انشاء وكالة انباء في باريس وكذلك في المانيا. وقد استطاعت ان تعقد وكالة رويتر اتفاقية تبادل مع الوكالتين الفرنسية "هافاس" والالمانية وذلك عام 1858. وتعتبر وكالة رويترز اول وكالة ادركت اهمية الانترنت والمواقع الالكترونية في عملية الاتصال.

"وتمخضت عن هذا الاتفاقية تقسيم العالم الى ثلاث مناطق، حيث اخضعت لوكالة رويتر الامبراطورية البريطانية والشرق الاقصى، في حين كان نفوذ هافاس يشمل الامبراطورية الفرنسية ودول امريكا اللاتينية والبحر المتوسط وخاصة ايطاليا واسبانيا والبرتغال"[11].

والجدير بالذكر ان "جولويس رويتر" هو اول من استخدم الحمام الزاجل لذا سُميت هذه الوكالة باسمه، من ثم اصبحت مجموعة من الشركات وتحولت من رويتر الى وكالة رويترز للانباء.

اما وكالة "الاسوشيتدبرس" الامريكية ومقرها نيويورك والتي تعود جذورها الى عام 1848 فقد بدأ صراعها حين اقدمت ست صحف امريكية في

نيويورك على توحيد جهودها لهدف الحصول على المعلومات والاخبار من الصحف القادمة من اوروبا مع الوكالات الثلاث.

وفي عام 1907 ظهرت وكالة جديدة في امريكا هي "اليوناتيدبرس" اسسها (ادوارد فيلبس) حيث اصبحت وكالة منافسة. وفي عام 1927 بدأ التوقيع على اتفاقية بعد فشل الاتفاقية الاولى حيث تضمنت الثانية اعادة تقسيم النظر بالتقسيم الدولي القديم لتصبح للوكالة الامريكية الحق في تغطية امريكا الشمالية والممتلكات الامريكية في العالم.

اما وكالة هافاس الفرنسية فقد اختفت مع نشوب الحرب العالمية الثانية، حيث اصبحت الحرب تدور لصالح الحلفاء، وعندها اصبح "كنت كوبر" مديراً لوكالة الاسوشيتيدبرس" والاقوى من حيث الموقف. الامر الذي دفع وكالات اوروبا عام 1943 بالموافقة على مطلب "كوبر" بحرية تدفق المعلومات والاخبار وحق الجميع في الوصول اليها، وبالتالي اصبحت الوكالتان الامريكيتان (اليوناتيدبرس والاسوشيتدبرس) في المركز الاول، ووكالة رويتر في المركز الثاني. اما وكالة الصحافة الفرنسيةAFP فقد احتلت المركز الثالث. والجدير بالذكر انه وفي عام 1985 اندمجت الاجهزة الامر الذي ادى لظهور الفضائيات.

ولا بد لنا ان نذكر اسماء بعض الوكالات العالمية للانباء في مجال الاعلام الدولي على النحو الآتي:-

- وكالة رويترز Reuters R البريطانية 1851
- وكالة تاس Tass 1849 روسية
- وكالة نوفستي الرسمية 1941
- وكالة الصحافة الفرنسية aep Agency France Press الفرنسية 1944
- وكالة الاسوشيتدبرس AP The Associated Press الامريكية 1948
- وكالة يونايتدبرس UPL United Press International - امريكا 1958

- وكالة الانباء الصينية / شينخوا Xinuha الصينية
- وكالة EPA للتصوير
- وكالة وكالة بلوومبرج Bloomberg الامريكية
- وكالة داو جونز اند كومبانيDow Jones & Compay - امريكا

وكالة انتربرس سيرفيسز Inter Press Services - ايطاليا

وفي الاشارة هنا، الى ان هناك عدداً محدوداً من الوكالات الدولية تسيطر على نشر وبث المعلومات والاخبار وتداولها، فهي تملك امكانيات ضخمة يمكنها ان تغطي العالم كله، اضافة الى ان هذه الوكالات تمتلك مئات المكاتب المنتشرة في العالم كله، كما انها تبث يومين ملايين الكلمات الى الوكالات والصحف والاذاعات والتلفزيونات في انحاء العالم.

وهذه الوكالات هي: الوكالتان الامريكيتان "اسوشيتدبرس"، و"اليونيتدبرس انترناشونال" و"الصحافة الفرنسية"، و" رويتر البريطانية".

والجدير بالذكر ان وكالة رويترز تتصدر مركز الصدارة في افريقيا والشرق الاوسط وجنوب اسيا.

وهناك ايضا وكالات انباء تكميلية في الاعلام الدولي ولا نريد الخوض بها لان ما يهمنا في هذا الجزء من هذا الباب هو معرفة الهدف من تلك الوكالات، وكيف تسير معلوماتها واخبارها الى دول العالم؟ وهل تتدفق هذه الوكالات بشكل معتدل ومتواز؟ وهل تستخدم اساليب التضليل والتشويش من خلال اخبارها ؟ وما هي نوعية المعرفة التي يتلقاها جمهور اليوم؟ وما مدى اهمية تلك المعلومات التي تقدمها وسائل الاعلام للجماهير؟ ومن المسيطر الرئيس عليها؟.

اما الاساليب التي تتبعها الوكالات الدولية لتقوية موقعها منذ بداية العصر الالكتروني حتى الان انها:-

- تعمل ضمن الاطار الليبرالي.
- تسعى لتسويق نفسها على الاعلام العربي.

- تستخدم التكنولوجيا الحديثة
- معلوماتها تباع وتشترى.

وقد تميزت وكالات الانباء الدولية بخصائص عدة هي:-

1- تهتم الوكالات بدول الشمال (الدول المركزية)
2- تعتمد على الصحف وبالتالي قللت من عدد الصحافيين
3- تقدم اخبارها باعتمادها تسلل الاجندة (الالويات) بما يخدم مصالحها.
4- تتمركز في الدول الصناعية.
5- تركز على اخبار ومعلومات اسواق المال والاقتصاد
6- تقوم على الفلسفة الغربية (سوق من الافكار الحرة).
7- تقدم الاخبار الى دول الجنوب بالوقت الذي تروج لمصالحها.

وفي هذا الاطار نقرأ هذه العبارات التي سطرتها بروتكولات حكماء بني صهيون: "يجب ان لا يصل اي طرف من خبر الى المجتمع من غير ان يحظى بموافقتنا، ولذلك لا بد لنا من السيطرة على وكالات الانباء التي تتركز فيها الاخبار من كل انحاء العالم وحينئذ سنضمن ان لا ينشر من الاخبار الا ما نختاره نحن ونوافق عليه".

ومما لا شك فيه بان نظم الاعلام تختلف من دولة لاخرى لطبيعة الانظمة الدولية واختلافاتها وربما السبب في ذلك يكمن من حيث الامكانات البشرية والتقنيات، كما ان هناك اسباباً ترتبط بعناصر المجتمع وتطوراته على الصعيد السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي ايضاً، الامر الذي يدفع الاسلوب الذي تتعامل معه وسائل الاعلام في اي دولة بان يعكس طبيعة نظامها السياسي والاجتماعي والسلطة ونفوذها، اضافة الى طبيعة العلاقة التي تربط الافراد بمؤسسات الدولة.

ففي الوقت الذي تزعم فيه وسائل الاعلام الغربية بانها تستخدم الموضوعية والمصداقية في وسائل اعلامها، في الوقت الذي توجه فيه الدول ذات الطابع الشمولي سابقاً اصابع الاتهام لتلك الدول.

وفي الوقت الذي كانت تفرض الدول الشمولية سيطرتها على وسائل اعلامها لحشد الناس وراء السلطة والقيادة، في الوقت الذي كانت تركز فيه وسائل الاعلام داخل الانظمة السلطوية في دول الجنوب على الموضوعية والمصداقية في نشر الاخبار.

والجدير بالذكر ان هناك اماكن كثيرة في العالم النامي لا يوجد لوكالات الانباء الوطنية والمؤسسات الصحفية ووسائل الاعلام فيها مراسلون خاصون، لذا فان هذه الدول تعتمد اعتماداً كاملاً على وكالات الانباء العالمية للحصول على المعلومات والاخبار الاقليمية والدولية.

ومن اسباب ذلك ان ظروف العمل السيئة في الدول النامية تمنع من ارسال مراسلين بأعداد كبيرة لتغطية الاحداث، اضافة الى الاهمال المتعمد من وكالات الانباء الدولية اتجاه الدول النامية، والتوزيع غير العادل لمراسلي وكالات الانباء الدولية بحيث نجد ان افريقيا والشرق الاوسط ومن ضمنها الوطن العربي في مؤخرة التوزيع.

اما التغطية الاخباري فلا شك بانها غير متوازنة وغير عادلة هي ايضا من حيث التدفق الحر للمعلومات فنجد ان وكالات الانباء العالمية ووسائل الاعلام في الدول المتقدمة الغربية لا تركز الا على الازمات والحروب والانقلابات والاحداث التي تحدث وتشهدها دول العالم الثالث والوطن العربي، وكل ما يعطي صورة مشوهة للحقائق بحيث تعطي فقط الصورة النمطية عن تلك الدول لمواطنيها في الدول الغربية.

وقد حاولت الكثير من دول الجنوب والاقطار العربية التقليل قدر الامكان من التدفق الحر للمعلومات الا ان هناك اسبابا كثيرة تجعلها تخضع لهذا التحكم ولهذه السيطرة. فالدول الجنوبية ومنها الاقطار العربية لا تشهداً تدفقا اعلامياً للمعلومات باتجاه واحد فحسب، بل تعاني ايضاً من مشكلة كبيرة وهي عدم اهتمام وكالات الانباء الدولية ووسائل الاعلام الغربية بقضاياها ومشكلاتها واخبارها. ولا تتوقف السيطرة الاعلامية من الغرب على المضمون الاعلامي فحسب،

بل ان هذه السيطرة والتحكم اجتازا الحدود الوطنية عبر الاقمار الصناعية، وهذا ما جعل الفجوة تتسع ما بين دول الشمال ودول الجنوب.

ولا شك بان الطوفان الهائل من المعلومات التي يأتينا من دول الشمال يحقق اهدافاً عدة اهمها:-

- هدف سياسي: يهدف الى دعم القيم الامريكية لتحقيق استراتيجية السيطرة، والسيطرة على العقول بخاصة الضعيفة، والسعي الى (امركة العالم) من خلال نقل الغزو الفكري والثقافي وهذا بحد ذاته يعتبر استعماراً بقالب جديد الا وهو (الاستعمار الالكتروني).
- هدف اقتصادي: يهدف لتحقيق المصالح الامريكية والمكاسب الاحتكارية وزيادة الارباح، والتوسع الاقتصادي من خلال نظام الخصصة في انحاء العالم وبخاصة دول الجنوب وبالتحديد الوطن العربي.

ففي القرن الحادي والعشرين اصبحت وسائل الاعلام هي محور ارتكاز الاقتصاد العالمي، بحيث تشكل المناخ الثقافي الذي تنمو فيه الرأسمالية العالمية وبالتالي تحقيق المزيد من الارباح من خلال زيادة التطلعات والرغبات الاستهلاكية ونشر ثقافة المتعة واللذة عبر الاذاعات والتلفزيونات المسيطرة بالعالم والتي يتم تسويقها من خلال الشركات العملاقة متعددة الجنسيات.

ولا ننكر ان هذه الوكالات والوسائل الاعلامية الاخرى تشكل المناخ السياسي ايضا بحيث تفرض على السياسيين اتخاذ القرارات التي تحقق مصالح سادة النظام الرأسمالي، وبالتالي فان التدفق المعرفي لم يعد اداة من ادوات تطوير القدرات الثقافية والانسانية بقدر ما اصبح اداة لتكريس السيطرة الراسمالية وادة للاستغلال والهيمنة والاستعمار الالكتروني على العالم.

ولا ننكر باننا نشهد تدفقا معلوماتياً هائلا، ولكن! هل كل ما يتدفق الينا من معلومات واخبار يمكن ان نستفيد منه برغم وفرته الكبيرة ؟ بالتأكيد لا، فقد شهدت صناعة الصحافة ووسائل الاعلام تحولاً ملحوظاً سواء على الصعيد المعلوماتي او الاخباري في الاحداث والقضايا التي تهم القراء كمواطنين الى

معلومات تهم القراء كمستهلكين فقط، الأمر الذي يوضح عدم اعطاء الجمهور ما يريده بل ما يريده المعلنون والمحتكرون فقط.

وفي الاشارة هنا، انه بعد ان كان هناك معسكران هما: الاتحاد السوفيتي سابقا وامريكا وكان كل منهما يحاول طرح افكاره وفرضها والتأثير بها على الراي العام. وعندما اصبحت امريكا القوة العسكرية الكبرى المسيطرة في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في الحرب الباردة اخذت تفرض سيطرتها ونفوذها على جميع الاصعدة بخاصة استخدام الاعلام كأكبر وسيلة في التأثير على الرأي العام بخاصة الرأي العام الامريكي وبالتحديد في حرب الخليج. الامر الذي يعود نتيجة للتدفق المعلوماتي باتجاه واحد من دول الشمال الى دول الجنوب والذي تسيطر عليه الصهيونية العالمية.

فنحن نعرف عن دول الشمال كل شيء لكن شعوب الدول الغربية وبخاصة الشعب الامريكي لا يعلم شيئا عن دول الجنوب والاحداث التي تدور في الوطن العربي وما هي اسبابها. والسبب في ذلك هو ان وكالات الانباء العالمية تقوم ببث ما تريده لخدمة مصالحها وتحقيق اهدافها في التأثير على الرأي العام الامريكي من خلال تضليل الحقائق وتزييف المعلومات والاحداث، وبالتالي فدول الجنوب والدول العربية محكومة لهذا التدفق المعلوماتي المسيطر على وسائل اعلامنا بخاصة في المجال الاخباري. فلا يمكننا نشر اي خبر اقليمي او عالمي الا عن طريق تلك الوكالات المسيطرة على العالم.

وامثلة على ذلك، "حرب الخليج" التي كانت نموذجاً لاستخدام وسائل الاعلام في التضليل والتشويش الاعلامي وليس فقط نموذجاً لعملية التحكم في تدفق الاخبار والمعلومات من وكالات الانباء الدولية ووسائل الاعلام الغربية.

فقد قامت وسائل الاعلام الامريكية والبريطانية بحملات مضللة ومزيفة تتحدث عن وجود اسلحة دمار شامل في شمال العراق بالرغم من قيام اللجنان الدولية بالتفتيش وعدم الحصول على معلومات او حقائق تدل على وجود تلك الاسلحة. ومع ذلك ظلت الدول العظمى تروج لهذه المعلومات المضللة عبر وسائل الاعلام في الوقت

الذي كانت فيه القيادة العراقية تحاول الوصول الى الرأي العام الغربي للتأثير عليه ولكشف الحقائق، الا ان عمليات التشويش والتضليل والتزييف التي استخدمتها امريكا منعت القيادة العربية من كشف اللاعيبها.

ولا شك بان التقنية الرقمية ايضاً اصبحت تهدد الصحافة بشكل عام حيث اصبح معظمها غير قابل للتصديق من خلال استخدام التلاعب بالصور بواسطة الكومبيوتر والتعديل عليها وعلى مضمونها والتحكم بالالوان والاشخاص حيث يمكن حذف او اضافة صور بعض الاشخاص الى الصورة الاصلية ومن الصعب اكتشاف تلك التعديلات، وهذه التقنية استخدمت في ثورات ما يسمى "الربيع العربي" ايضاً.

اما بالنسبة لمديري الاخبار في الحكومة الامريكية فقد قاموا اثناء حرب الخليج سواء اكانوا في غرف الاخبار ام في ميدان القتال بالتحكم في تدفق المعلومات الى وسائل الاعلام، وقد تم ايضاً منع الصحافيين من الحصول على المعلومات ونشرها. ولكن لا بد لنا ان نوضح بان هناك الكثير من المعلومات التي تحصل عليها وسائل الاعلام والتي تقوم السلطات بمنع نشرها عن طريق اصدارات بحظر النشر.

فقد "فرضت الادارة الامريكية السرية والتكتم على المعلومات المتعلقة بالمبادرات السلمية التي عرضها العراق للانسحاب من الكويت مقابل تعديلات طفيفة في الحدود بين العراق والكويت تتيح للعراق الوصول الى الخليج، وحفظ حقوقه في الرميله، لكن هذه المبادرات العراقية رفضتها الحكومة الامريكية، ذلك انها كانت قد اتخذت قرار الحرب، ولذلك لم تظهر هذه المبادرات في وسائل الاعلام الامريكية"[12]. وهذا مايؤكد على ان العمل الصحافي الذي تمارسه الدول الغربية وعلى رأسها امريكا غير اخلاقي من خلال الضغط وفرض السيطرة على وسائل الاعلام ومصادر المعلومات.

فقد كانت الادارة الامريكية تدفع بمصادر الاخبار ووكالات الانباء الدولية ووسائل الاعلام الغربية على زيادة رفع روح العزيمة وزيادة الروح المعنوية داخل

المجتمعات الغربية وبخاصة داخل المجتمع الامريكي. كما قامت باخفاء ارقام خسائرها وضحاياها في تلك الحرب.

"وهذه الرؤية تتبناها وزارة الدفاع الامريكية وصناع القرار في الولايات المتحدة الامريكية، حيث تعتبر وزارة الدفاع الامريكية ان السرية ضرورة للحرب الناجحة"[13]. وهذا ما يؤكد ان الضحية الاولى في حرب الخليج هي الحقيقة لان وسائل الاعلام الامريكية فشلت في توفير الاخبار والحقائق الكافية لمواطنيها اذ انهم لا يعرفون الحقائق الاساسية عن الموقف السياسي في الشرق الاوسط، او عن تاريخ السياسة الامريكية تجاه العراق.

ويمكن القول بان حرب الخليج وما اعقبها من احداث اوضحت خطورة استمرارية سيطرة الولايات المتحدة الامريكية على النظام الاعلامي الدولي، وتقييد حق الشعوب في الحوار والمناقشة. الامر الذي يؤدي الى زيادة حدة البؤس والظلم التي تعاني منه البشرية، حيث فقدت وسائل الاعلام في الدول الغربية وامريكا قدرتها على ادارة المناقشة الحرة نتيجة لتزايد ظاهرة الاحتكار والتركيز من خلال سيطرة 10 شركات راسمالية عملاقة على معظم وسائل الاعلام في العالم. وبالتالي فان تبعية وسائل الاعلام للسلطة ارغمت وسائل الاعلام على ان تكون اداة لنقل وجهة نظر احادية هي وجهة نظر السلطة. اما التبعية للسلطة في دول الجنوب فقد ارتبطت بالتبعية للنظام الاعلامي الدولي، وبالتالي اصبحت منفصلة عن الجماهير وغير قادرة على التعبير عنها.

ولا شك بان وكالات الانباء الدولية ووسائل الاعلام في دول الشمال تقوم بدور الدفاع عن مصالح المجتمع طبقاً للايدولوجية الرأسمالية التي تحكم هذا المجتمع، بدل القيام بدور المدافع عن مصالح هذا المجتمع. كما ان وسائل الاعلام الامريكية والاوروبية تتبنى الاهداف العامة للنظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي ايضاً، وطبقاً لهذا الدور الذي تقوم به وفقاً للايدولوجية الرأسمالية فانها بالتالي تقوم بدور دعائي بخاصة خلال فترة الحروب والازمات والاحداث.



ولكن السؤال الذي يطرح نفسه! لماذا يوجه اللوم باستمرار على السلطات في دول الجنوب عندما تحاول التحكم في التدفق المعلوماتي لحماية امنها القومي والمحافظة على استقرارها؟

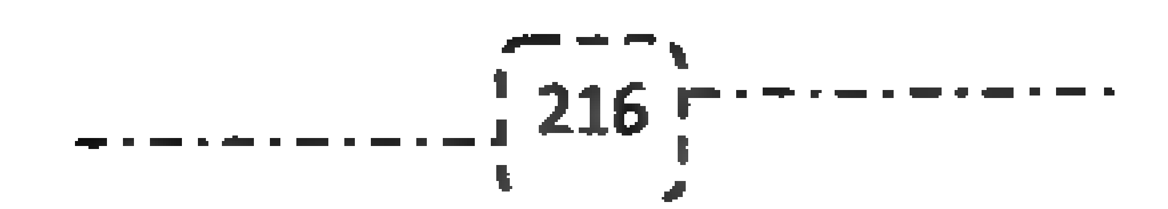
ولماذا لا نغضب ونعبر عن غضبنا اتجاه الولايات المتحدة الامريكية المسيطر الاقوى في العالم على وكالات الانباء ومصادر المعلومات ووسائل الاعلام؟ ولماذا نتقبل كل ما يأتينا من معلومات واخبار بعيدة عن الحقيقة وخالية من المصداقية ومليئة بالتشويش والتضليل وعمليات التزييف ؟ ولماذا يعتبر احتكار المعلومات حراماً في حرب الخليج وفي ثورات ما يسمى الربيع العربي واحداث غزة وفلسطين، بينما يعتبر هذا التحكم حلالاً وطبيعياً بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية؟ مع العلم انه لا يخفى على احد ان الشيئين الرئيسيين اللذين تمتلكهما الصهيونية العالمية هما: الاعلام والمال، وفي هذه الحالة يمكن القول بان اسرائيل وبالتحديد الصهيونية العالمية هي التي تتحكم بوسائل الاعلام وبمصادر المعلومات في العالم عن طريق الولايات المتحدة الامريكية ومع هذا نتقبل هذا التحكم ونعتبره شيئاً عادياً للاسف.

حقيقة نحن نعيش استعماراً الكترونياً نتيجة الطوفان الهائل الذي نشهده كل ثانية من المعلومات والأخبار التي تتدفق الينا من الوكالات الدولية، اضافة الى الاذاعات والتلفزيونات الدولية الموجه الينا والتي سنشرح عنها لاحقاً.

ونحن نشهد اختلالا واضحاً في عدم التوازن من حيث نشر المعلومات والاخبار والتي تسير باتجاه واحد من دول الشمال الى الجنوب فقط. ولا بد لنا في هذا الاطار ان نوضح بعض الحقائق الدولية في مجال الاعلام الدولي التي ساعدت على زيادة السيطرة والاحتكار وهي على النحو الآتي:-

1- ان الوضع الدولي السائد حاليا في مجال الاعلام والاتصال يركز على السيطرة والاحتكار من قبل القوى الاحتكارية في العالم.

2- ان مصادر المعلومات تتمركز في مراكز اعلامية محددة في العالم وهي دول المركز.



3- ان المؤسسات الصحفية والمطبوعات الكبيرة تتمتع بانتشار دولي ومؤثر على العالم.

4- ان وكالات الانباء العالمية واهمها رويترز، واسويشتيدبرس، واليوناتيدبرس، والصحافة الفرنسية، وتاس تسيطر وتحتكر التدفق المعلومات في العالم حيث تشر ما يقارب 90٪ من المعلومات والاخبار للعالم.

5- سيطرة برامج الاذاعات الموجه عبر الراديو والتي تبث معظمها من محطات الدول الصناعية والتي سنقوم بشرحها لاحقاً.

6- اعتماد التلفزيون ومضمونه من حيث الافلام والبرامج على المواد الدولية المنتجة في امريكا وبريطانيا.

7- ان الجهود التي تبذل في تسويق الانتاج الاعلامي ومنها التلفزيوني هي من مؤسسات غربية.

8- الهيمنة والغزو الفكري نتيجة احتكار المواد الاعلامية يتحدد في دول معينة ثلاث او اربع دول من بين (150) دولة في العالم.

9- احتكار نشر المواد الاعلانية والدعائية والاعلامية ايضا.

10 – ان الهيمنة والاحتكار والسيطرة والجهود التي تبذل تصب في صالح الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية لامركة العالم وتحقيق اهدافها ذات البعد السياسي والاقتصادي بالدرجة الاولى والثقافي والاجتماعي ايضا، وهذا ما يؤكد اننا نعيش استعماراً الكترونياً على جميع الاصعدة وفي كل مجالات الحياة كافة نتيجة لما وصلت اليه الثورة التكنولوجية من تطورات هائلة ساعدت على التوسعة والتحكم والسيطرة من خلال العولمة.

11- من المتعذر على اي صحيفة قبول اي صحافي مستقل نتيجة سيطرة الشركات متعددة الجنسيات وهيمنتها على الصحف المحلية والاقليمية.



والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الاطار؛ التوسع الشرس من قبل الدول المركزية على حساب من؟ بالتأكيد سيكون على حساب شركات الانتاج الوطني ووكالات الاعلان المحلية في الدول شبه الهامشية والدول الهامشية .

وهنا يمكننا القول بان الاستعمار الالكتروني اصبح اكثر عمقاً واتساعاً خاصة في ظل عصر العولمة الذي نعيشه الان والنظام الاعلام الجديد الذي نشهده.

فالاختلال الواضح في التدفق الاعلامي الحر من دون رقيب ولا حسيب حتماً سيسيء للعالم، حيث ان ظهور القوى الاحتكارية الاعلامية ادت الى خلق هذا الاختلال والتفاوت في التدفق المعلوماتي الذي يسير باتجاه واحد من الشمال الى الجنوب.

ولا شك بان الكم الهائل من التدفق المعلوماتي سواء اكان من وكالات الانباء الدولية ام الاذاعات الدولية والتلفزيونات الدولية وغيرها من الوسائل تحتاج اليوم الى منهج اخلاقي بخاصة اننا نفتقد الى سوق حرة حقيقية للافكار والاراء. فالاقوياء يسيطرون على الصحافة ووسائل الاعلام ومنابر التعبير ويحتكرونها ونادراً ما نجد بان هناك منافسة حقيقية ما بين وسائل الاعلام، حتى ان التضامن ما بين الصحافيين انفسهم محدود جداً، وربما وان وجد يكون لمواجهة السلطة او مواجهة ملاك الصحف، وفي غياب تلك الحرية حتماً فان حرية الصحافة ستتعرض للكثير من الانتهاكات.

وفي هذا الاطار يمكن القول، انه ربما يكون اسهام وسائل الاعلام في دول الجنوب في تحقيق تماسك المجتمعات والحفاظ على وحدتها هو الانجاز الوحيد الذي يمكن تحقيقه بخاصة في ظل سيطرة الولايات المتحدة الامريكية على العالم، وبالتالي على النظام الاعلامي الدولي التي ادت سيطرتها عليه الى تفتيت المجتمعات بخاصة في دول الجنوب التي تعيش استعمارا الكترونيا يتوسع يوما بعد يوم.

ويمكننا القول ان الهيمنة الغربية على وسائل الاعلام في العالم تتوسع وتزداد من خلال وكالات الانباء العالمية ومكاتبها وشبكاتها التلفزيونية ومراسليها المنتشرين في انحاء العالم، الامر الذي يؤثر على لغتنا وثقافتنا من خلال ما تنشره وتبثه من افلام وثائقية وسينمائية وبرامج ترفيهية واقراص مدمجة ما يؤكد اننا نعيش عصر الاستعمار الالكتروني.

فاخلاقيات الاعلام بحاجة الى نظام اعلامي جديد يحدد لوسائل الاعلام في الغرب بشكل عام وامريكا بشكل خاص مكانة داخل المجتمع لكي تنمو وتتطور من دون ان يقتصر دورها على تحقيق الارباح لصالح مجموعة قليلة من الملاك. وقد ابدت دول الجنوب بشكل عام الرغبة في التوصل الى نظام اعلامي عالمي جديد وهي دعوة كفاح ضد اشكال الاستعمار وضد الاحتكار الغربي بكل اشكاله.

نظرية النظام الاعلامي العالمي الجديد

New World Information & Communication Order (NWICO)

لعل القضايا الاسياسية في اعلام امريكا اللاتينية والفكر الماركسي والحرب الباردة ان قدموا امثلة لقضايا اساسية في الاعلام الدولي كانت تنتمي في الماضي الى الجدل حول النظام الاعلامي العالمي الجديد. ويتضمن ذلك الجدل[14]:-

1- تقييم يبحث عن تدفق عادل وحر ومنصف للمعلومات ومضامينها.
2- الحد من النزعة الاستقلالية (الاستعمار).
3- على المستوى الدولي تدفق معلوماتي في اتجاهين يعكسان اوضاع وانشطة الدول الاقل تطوراً والاقل نمواً.

ولا بد للاشارة هنا الى عملية التقييم، فالدول الغربية اكثر تدفقاً في المعلومات الى الدول النامية. ودول الشمال اكثر تدفقاً للمعلومات الى دول

الجنوب. والدول المركزية اكثر تدفقاً للمعلومات الى الدول شبه الهامشية. لكن اليونسكو تخلت او قللت الاهتمام بهذه الانظمة الجديدة.

ولا شك بان التغيير الدولي المتسارع قد وضع حداً فاصلاً بين المراحل التاريخية المختلفة. فالتغييرات الجذرية والتحولات السياسية والتاريخية والدينية المتمثلة بانهيار الاتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة واعادة توحيد الالمانيتين ساعدت في ظهور ما يسمى بـ " النظام الاعلامي العالمي الجديد".

وقد ساهم هذا النظام في انهيار القوة القطبية المنافسة للاتحاد السوفيتي سابقاً. الامر الذي جعل الولايات المتحدة الامريكية تستفيد من هذه الظروف والتحولات، فقامت بتطوير قوتها وسيطرتها من خلال مجموعة من المجالات منها التكنولوجيا الرقمية كـ "نشر العاب الفيديو" التي تتزايد يوماً بعد يوماً بحيث تؤثر بشكل سلبي على المجتمعات النامية عند استخدامها لمثل هذه الالعاب. ولعل هذه الصناعة الجديدة ربما دفعت الى تطوير العولمة الاعلامية التي ساعدت في انتاج شكل من اشكال الاستعمار الالكتروني. بحيث قامت الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية بابتكار تقنيات جديدة بهدف السيطرة والهيمنة على السوق من خلال انتاج ثقافات تكون مفروضة على الجماهير باشكال ووسائل مختلفة كالسينما، والتلفزيون، والانترنت، والفيديو، والاقراص المدمجة ... الخ.

والنظام الاعلامي العالمي الجديد هو مصطلح سياسي تسيطر عليه القيم الليبرالية السياسية والثقافية والاقتصادية ايضاً والتي تجاوزت الحدود الجغرافية وكسرت الحدود الوطنية، الامر الذي يدل على تغول العولمة وسيطرتها وتأثيراتها بخاصة على الدول الهامشية وشبه الهامشية.

وقد "ظهر مفهوم النظام الاعلامي العالمي الجديد بعد استخدام مصطلح النظام الاقتصادي العالمي الجديد، فقد طالب قرار الامم المتحدة

رقم 3201 في عام 1074 باقامة نظام جديد في العلاقات الاقتصادية بين الدول النامية والدول الصناعية، وكان لهذا المفهوم تأثير مباشر على النقاش الدولي الدائر حول الحاجة لنظام اعلامي جديد، لذلك قدم مصطلح النظام الاعلامي الجديد للمرة الاولى في الندوة التي نظمتها دول عدم الانحياز في تونس عام 1976، وكانت تدور حول (السياسيات الاعلامية). ومنذ ذلك الحين ربط نقاش القضيتين ببعضهما البعض في المحافل الدولية"[15].

"وتنطلق فكرة النظام الاعلامي الدولي الجديد من فكرة (حق الاتصال) الذي تبنته الامم المتحدة منذ الاربعينيات حيث تناول اول نص دولي الحقوق الاعلامية من خلال قرار رقم (59) الذي اتخذته الجمعية العامة للامم المتحدة في 14 كانون اول 1946 والذي ينص على ان حرية الاعلام حق انساني اساسي ومُلك لكل الحريات التي كرست لها الامم المتحدة"[16].

"كما صدر عن الامم المتحدة الاعلان العالمي لحقوق الانسان في العاشر من كانون الاول عام 1948 والذي حددت مادته التاسعة عشرة "لكل فرد الحق في حرية الرأي والتعبير ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الاراء دون تدخل، واستقاء المعلومات والافكار وتلقيها ونقلها من خلال اية وسيلة وبغض النظر عن الحدود"[17].

وبناءا على ذلك اتجهت الدول غير المنحازة للدعوة الى اقامة نظام اعلامي عالمي جديد من خلال لجنة دولية كُلفت للاعداد لمسودة هذا النظام.

❖ النظام الاعلامي العالمي الجديد .. متى يتحقق؟

يرى مؤتمر اليونسكو بان النظام الاعلامي العالمي الجديد للاعلام والاتصال يمكن ان يستند الى:-

1- القضاء على اختلال التوازن واوجه التفاوت التي يتسم بها الوضع القائم.

2- ازالة الآثار السلبية لبعض الاحتكارات العامة او الخاصة.

3- تذليل العقبات الداخلية والخارجية التي تحول دون التدفق الحر والانتشار الاوسع نطاقاً والاكثر توازناً للمعلومات والافكار.

4- تعدد مصادر وقنوات الاتصال.

5- حرية الصحافة والاعلام.

6- تمتع الصحفيين وجميع المهنيين العاملين في وسائل الاعلام بحرية لا تنفصل عن المسؤولية.

7- تدعيم قدرة البلدان النامية على التواصل لتحسين وضعها الخاص ولا سيما عن طريق التزود بالمعلومات وتطوير اطرها وتحسين بناها الاساسية، وجعل وسائل الاعلام والاتصال الخاصة بها قادرة على الوفاء باحتياجاتها وتطلعاتها.

وكما اشارت بنود اليونسكو فيما يتعلق باقامة هذا النظام فانه ينبغي تحديد الاولويات لنجاح النظام الاعلامي الجديد وذلك من خلال:-

- الجانب السياسي: وذلك بتحديد سياسة الاعلام ودور المعلومات وتحديد التدابير الخاصة بجمع الانباء وتحريرها واختيارها ونشرها وذلك بمساهمة عدة جهات: الدول النامية، والبلدان المتقدمة، والمنظمات الدولية.

- الجانب القانوني: وذلك بتحديد تعريف الحقوق في المجال الاعلامي الدولي وخاصة فيما يتعلق بحق الاتصال، وتحقيق فهم واضح لديمقراطية وسائل الاعلام، واقامة نظام قانوني يعزز التداول الحر والعادل بين البلدان المتقدمة والنامية من ناحية المحتوى والكثافة، مع ضرورة وضع القوانين لقواعد السلوك المهني وحماية الاعلاميين.

- الجانب التقني والمالي: وذلك باعادة تقييم شاملة للبنى التقنية على المستوى الدولي في مجال المواصلات السلكية واللاسلكية واستخدام



الاقمـار الـصناعية وتوزيـع طيـف الـترددات ونقـل المطبوعـات، ونقـل التقنية.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا لم يطبق اي بند من هـذه البنـود حتى الان؟ والى متى ستبقى هذه البنود مجرد حبر على ورق ؟.

ومتى سترى النور وتطبق على ارض الواقع؟ وكيف لنا أن يتحـرر النظـام الاعلامـي العربـي مـن عولمـة الاعـلام والتـدفق الحـر للمعلومـات غـير العادل ؟.

المبحث الثالث

(الامبراطوريات الاعلامية العالمية)

لا شك أن بعض النخب والقوى في الولايات المتحدة الامريكية عملت على تكريس مصادرها الهائلة وذلك منذ الحرب العالمية الثانية. ولتحقيق اهدافها ومصالحها السياسية والاقتصادية سعت جاهدة للسيطرة على وسائل الاعلام والتي من خلال تلك السيطرة تستطيع التحكم في الرأي العام الامريكي والعالمي. وكان من ابرز تلك الجهات المسيطرة هي الشركات العملاقة متعددة الجنسيات، والكونغرس الامريكي، ووكالة الاستخبارات المركزية الامريكية CIA حيث تستخدم هذه الوكالة مختلف وسائل التجسس الحديثة التي كانت تستخدمها فوق الاراضي السوفيتية خلال الحرب العالمية الثانية.

ففي بداية الثمانينات بدأ سوق الاعلامي الدولي التنافسي في التغيير مع قيام الشركات غير الامريكية بشراء بعض استوديوهات هوليوود ودخول الشركات الالمانية والفرنسية والكندية في مجال الصناعات الثقافية الدولية، ودخول شركة نيوز كوربوريشن الاسترالية مجال التلفزيون والاقمار الصناعية في امريكا الشمالية واوروبا وآسيا، والشركات الاعلامية الاجنبية العملاقة في تنافس يومي مباشر مع المجموعات الامريكية العملاقة مثل مجموعة امريكا اون لاين تايم وارنر AOL Time Warner ، ومجموعة فياكوم Viacom، ومجموعة ديزني Desney[19].

وعلى الرغم من ذلك الا ان الانتاج الامريكي يسيطر على الافلام السينمائية والبرامج التلفزيونية واجهزة التلفزيون في انحاء العالم كافة مقارنة بالانتاج الاجنبي الذي لا يزال محدوداً اما الانتاج الامريكي.

ومما لا شك فيه بان الشركات الاعلامية العملاقة تمتلك شركات الانتاج الامريكي، وهي موزعة في اماكن محدودة في العالم. ومن الناحية الاستراتيجية

فان الشركات العملاقة الاعلامية تتواجد في الولايات المتحدة الامريكية في كل من نيويورك وهوليوود.

وقد اصبحت تلك الشركات اكثر شراسة وتغولا وتوسعة في العالم بخاصة في دول الجنوب ومنها الاقطار العربية. حيث ان هذا التوسع يأتي على حساب شركات الانتاج الوطنية ووكالات الاعلان المحلية. كما تمتلك الشركات العملاقة ميزانية ضخمة ربما تفوق ميزانية بعض الدول.

وهذه الشركات العملاقة تسعى لتحديد علاقاتها مع الدول الاخرى، وتحديد خطوط الانتاج الاعلامي، وتحديد الاعلان ايضاً، كما تسعى لتوسعة انشطتها الاقتصادية.

ويمكن وصف هذه الامبراطوريات الاعلامية من خلال ثلاث نقاط وهي:

أ- **العائدات**: ان اكبر ثلاث امبراطوريات في العالم هي (امريكا اون لاين تايم وارنر) وتحتل المركز الاول، يليها مجموعة (دزني) وتحتل المركز الثاني، و(فياكوم) وتحتل المركز الثالث.

ب- **نظرية الاستعمار الالكتروني**: ان تلك الامبراطوريات تروّج وتسوق منتجاتها باللغة الانجلزية وتروج الاذواق الغربية وتشجع القيم والثقافات الغربية وذلك من خلال الافلام والاقراص المدمجة والبرامج والموسيقى والاعلانات والكتب والقصص ...الخ. الامر الذي يؤدي الى القضاء على الصناعات الوطنية المحلة في الدول الهامشية وشبه الهامشية.

ج- **نظرية النظام العالمي**: لا شك بان انشطة الولايات المتحدة تتوسع اقتصادياً وتزداد تغولا وشراسة.

ويوجد في كل من نيويورك وهوليوود (9) شركة عملاقة (4) منها امريكية والباقي غير امريكية. ولا نريد ان ندخل في تاريخ تلك الشركات فما يهمنا هو اهدافها وتوجهاتها ومدى تأثيرها على الدول الهامشية ودول شبه الهامشية. وهذه الشركات هي:-

1- امريكا اون لاين تايم وارنر ALO Time Warner الامريكية.



2- فياكوم Viacom الامريكية.

3- ديزني Disney الامريكية.

4- برتلزمان Bertelsmann الالمانية.

5- نيوز كوربوريشن News Corporation (نيوز كروب) الاسترالية.

6- سوني Sony اليابانية.

7- ففندي يونيفرسال Vivendi Universal الفرنسية.

8- جنرال اليكتريك (NBC) General Electric الامريكية.

9- VNU N.V الهولندية.

وللاشارة هنا بانه لا يوجد اي امبراطورية محددة فكل شركة من هذه الشركات لها ادواتها التسويقية ومن اهم خصائصها (التنوع) كما انها تسعى للقضاء على الصناعات الوطنية الاعلامية في الدول الهامشية وشبه الهامشية وبذلك فهي تتجه نحو (نظرية الاستعمار الالكتروني).

وسوف نوضح اهمية كل مجموعة من هذه المجموعات بصورة مختصرة، ونبدأ اولاً بالشركات الامريكية الاربع وذلك على النحو الآتي:-

أ - الامبراطوريات الامريكية العملاقة:

اولاً: مجموعة امريكا اون لاين تايم وارنر: AOL– Time warner

تعتبر هذه المجموعة من اكبر الشركات الاعلامية الامريكية في العالم، حيث تحتل المركز الاول من خلال خطتها الاستراتيجية، وتعمل هذه المجموعة في ست قطاعات اعلامية وهي: انظمة التلفزيون السلكي والنشر والافلام والاذاعة والتلفزيون والموسيقى بالاضافة للانترنت.

وقد قام بعض المستهلكين في الدول غير الامريكية بمحاربة هذه الشبكات لانها تؤثر على انتاجهم الوطني لان هذه الشركات تسلك طريق الاستعمار الالكتروني.

ففي عام 2000 اندمجت وسائل اعلام تقليدية مع وسائل اعلام جديدة، حيث اندمجت مجموعة (تايم وارنر) التقليدية مع مجموعة (امريكا اون لاين) الجديدة فاصبح اسمها مجموعة (امريكا اون لاين تايم وارنر) AOL Time Warner، وهذا الاندماج يمثل جزءاً من ثورة الانترنت.

والجدير بالذكر ان (امريكا اون لاين تايم وارنر) تسيطر على شبكتين تلفزيونيتين رئيسيتين هما: شكبة الى CNN وشكبة HBO . وربما تزيد ارباحها ما يقارب ال (30) بليون دولار.

"وتمتلك مجموعة وارنر للفيديو نحو ستة الاف فيلم، كما تمتلك 32 الف برنامج تلفزيوني و 14 الف برنامج رسوم متحركة"[20].

ثانياً: فياكوم Viacom

تحتل فياكوم المركز الثاني وتعد جزءاً هاما في صناعة الاذاعة حيث قامت بشراء مجموعة CBC الاذاعية والتلفزيونية.

وتسيطر هذه الشركة على اكثر من 35٪ من السوق الاذاعي في الولايات المتحدة الامريكية، و38 محطة تلفزيونية، و 163 محطة راديو و 13 شركة انترنت" كما تسيطر على اكبر مجموعة دور عرض سينمائي في كندا وهي Famous Players ، وتمتلك وتدير اكثر من 700 شاشة عرض سينمائية في اكثر من مائة موقع.

والجدير بالذكر ان ممتلكاتها تشمل شبكة ال MTV وشركة باراموت للانتاج السينمائي، حيث يمثل الاعلان اهم عائداتها عن طريق ال MTV التي تجذب المعلنين.

وتنشط فياكوم في الترويج لمنتجاتها الاعلامية في الاسواق العالمية الاقليمية بما فيها استراليا وامريكا اللاتينية وآسيا على وجه الخصوص. وهي ايضا تسلك طريق نظرية الاستعمار الالكتروني في الهيمنة والسيطرة الاعلامية.

ثالثا: مجموعة ديزني Disney

بدأت ديزني مسيرتها بعد الحرب العالمية الثانية في مطلع القرن الماضي (القرن العشرين) تحت قيادة مؤسسها والتر ديزني Walter Disney الذي كان لديه رؤية مهنية لاستخدام الرسوم المتحركة والافلام السينمائية كمشروعات تجارية رئيسية[21]. وكانت بداياتها مقتصرة على الانشطة في الفنية في مجال الرسوم المتحركة مثل: (ميكي ماوس) و (دونالد دك).

وبعد الحرب العاليمة الثانية بدأت الشكرة في اضافة مدن التسلية الى انشطتها، حيث دخلت ديزني في مشروع مدينة تسلية جديدة للالعاب وهي (هونج كونج ديزني لاند) ومن خلال هذه الخطوة فان مجموعة ديزني الامريكية تسعى لنقل الثقافة الامريكية الى المجتمع الصيني لامركته. وتعد مجموعة ديزني ثالث اكبر امبراطورية اعلامية في العالم.

وبسبب المشكلات التي واجهتها في عرض برامجها على شاشات التلفزيون في الاوقات التي تريد، دخلت ديزني مجال شبكات الاذاعة والتلفزيون بقوة عندما اشترت شبكة ABC Capital Cities/ في منتصف التسعينات بمبلغ 19 مليون دولار. حيث كانت خطوة جوهرية بالنسبة لمجموعة ديزني. هذا وتعد الخدمات الاخبارية من اهم ما تقدمه شبكة ABC .

ويقدم انتشار ديزني في آسيا نموذجاً واضحاً على دخول مؤسسة متعددة الجنسية من دولة من دول المركز الى منطقة شبه هامشية وهي الصين.

وتملك ديزني اكبر الشركات السينمائية في العالم، وتنتج افلامها الى السوق العالمية. وتصل عائداتها السنوية نحو (25) مليون دولار.

رابعاً: جنرال اليكتريك General Electric – (GE)

تأسست هذه الشركة عام 1892 على يد (توماس ايدسون) Thomas Edison وتمتلك عدة خطوط انتاج عالمية في مجالات الاجهزة الكهربائية، والاضاءة، ومصادر الطاقة، والانظمة الطبية. بالاضافة الى شبكة

تلفزيـون NBC والـتي تتفـرع منهـا NBC للتـسلية والرياضـة والاخبـار وانظمـة الكـابيلات والميكروسوفت (ان بـي سـي) للفيـديو. حيـث اصبحت شبكة NBC الرياضية تبث الالعاب الاولمبية. وتعد (جنـرال اليكتريك) رابع اضخم امبراطورية اعلامية امريكية في العالم.

ولا بـد للاشـارة هنـا الى ان عـددا قليلا مـن الـدول الهامشية غمرتهـا تلـك الوسائل الاعلامية ، والشركات الضخمة وما تشمله مـن اعـلان وخـدمات ومنتجـات اعلامية ، ويعود السبب في ذلك هو افتقار الدول الهامشية للبنية التقنية ، والافتقار الى معـدلات الـدخل المناسـبة ، وهـذا يمنـع مـن اقامـة مـشاريع اقتصادية في تلك الـدول ، بالاضافة الى ذلك فان الدول الهامشية الاقل نمواً تتخوف من التوسعة الاتصالية لعدم سيطرة الثقافة الامريكية وبالتالي حماية ثقافتها الوطنيـة والمحافظـة عليهـا ، وايضـا ربمـا لحماية معتقداتها الدينيـة وتراثهـا وعاداتهـا وتقاليـدها. لكـن مـع ذلـك فـان هـذه الشركات تستطيع المنافسة في السوق العالمية بكل شراسة.

❖ مزايا واهداف الامبراطوريات الامريكية

لا شك بان الامبراطوريات الامريكيـة العملاقـة تمـارس انشطتها بكفـاءة عالية بسبب تمتعها بعدة مزايا لتحقيق اهدافها وذلك على النحو الآتي:-

- تتمركز هذه الشركات في الدول المركزية (الولايات المتحدة الامريكية) في كل من نيويورك وهوليوود.
- تقدم هذه الامبراطوريات منتجاتها باللغة الانجليزية.
- لديها مصادر مالية ضخمة .
- كان للعولمة دورا بارزا في تحديد الخط الاستراتيجي لهذه الشركات .
- نجحت في الاندماج بشركات غير اعلامية .
- نجحت في الوصل الى حجم كبير من المواهب والممثلين والمخرجين والمنتجين والفنانين والنجوم.
- تمتاز بالتنوع من حيث منتجاتها.
- تعتبر ممتدة عبر القارات.

- تسعى للربح وتتغول في الدول الهامشية وشبه الهامشية بشراسة.
- تمتلك ادوات تسويقية، فمنها الامريكية والاوروبية والاسترالية.
- تهدف للقضاء على الصناعات الوطنية الاعلامية من خلال توسعاتها وسيطرتها وكفائتها.
- تعمل على تسويق منتجاتها من خلال شركات التوزيع داخل بلادها وخارجها.
- تهدف لتحويل دول العالم الثالث كقاعدة استهلاكية لها من خلال القضاء على الصناعات الوطنية.
- تسير هذه الشركات على مبدأ (نظرية الاستعمار الالكتروني).

ب- شركات الولايات المتحدة الاوروبية:

The United States of Europe (USE)

تشهد وسائل الاعلام الاوروبية في مجالات التلفزيون والافلام والموسيقى وشركات الكايبل والاقمار الصناعية ظاهرة غير مسبوقة من الاندماج. ولعل ما يبرر استخدام تعبير " الولايات المتحدة الاوروبية" ان الشركات الاوروبية تعمل كمجموعة بدلا من ان تعمل كدولة منفصلة بخاصة عندما يتعلق الامر بوسائل الاعلام الدولية

وفي هذا الاطار يتساءل John Tagliabue "بالقول: "ما الذي يسبب الهوس في إعادة التنظيم؟ انه الاقتصاد الدولي الذي يجبر الشركات الاعلامية الصغيرة في اوروبا على الانضمام الى قوى اخرى لتغطية نفقات التحول الى الخدمات الرقمية وخدمات "ادفع لتشاهد" التلفزيونية وخدمات التلفزيون التسويقي المتكامل وخدمات الانترنت"[22].

خامساً: مجموعة برتلزمان الالمانية Bertelsmann

تمتلك هذه المجموعة وجوداً اعلامياً قوياً في اكثر من (60) دولة في العالم وتعد رابع اكبر مجموعة اعلامية دولية بعد مجموعة امريكا اون لاين تايم وارنر AOL Time Warner، ومجموعة Viacom، ومجموعة Disney التي تحتل المراكز الثلاثة الاولى[23].



وفي عام 1835 اسس كارل برتلزمان Carl Bertelsmann هذه الشركة كدار نشر دينية، وتقدر عائدات هذه الشركة ببلايين الدولارات كما لها ست وحدات اعلامية رئيسية في العالم تشمل الموسيقى والمجلات والصحف والنشر والاذاعة والطباعة. وتمتلك هذه الشركة وسائط متعددة ذات صلة بالانترنت، كما لها امتدادات في كل من فرنسا والمانيا والنمسا واستراليا، كما ودخلت هذه الشركة مجال الاقراص المدمجة CDs .

سادساً: مجموعة فيفندي العالمية Vivendi Universal

تأسست هذه الشركة في القرن التاسع عشر حيث عملت ولا تزال في مجال الخدمات العامة والمقاولات. وتعتبر هذه المجموعة مجموعة فرنسية اعلامية رئيسة في كل من فرنسا واوروبا في قطاع الانتاج الاذاعي والتلفزيوني. وتمتد ممتلكاتها الى الولايات المتحدة وافريقيا والشرق الاوسط ومنطقة المحيط الهادي.

وقد صُنفت شركة سياجرام Seagram احدى شركات مجموعة فيفندي والتي تتخذ من كندا مقراً رئيساً لها. وفي عام 1995 قامت شركة سياجرام بشراء شركة MCA بمبلغ ستة بلايين دولار واطلق عليها اسم استديوهات يونيفرسال Universal Studios التي بدأت في تقديم سلسة من الافلام الكرتونية الشهيرة مثل: Woody Woodpecker، وتعد شركة يونيفرسال للموسيقى اكبر شركة موسيقى في العالم تليها شكرة سوني[24].

سابعاً: VNU N.V

تعتبر مجموعة VNU امبراطورية اعلامية هولندية متعددة الوسائل، وتشمل انشطتها الانتاج السينمائي من حيث الافلام والموسيقى بالاضافة الى انشطة النشر والتلفزيون وخدمات الانترنت.

وتقوم شركة نيلسون Nielson وهي شركة بحوثات لوسائل الاعلام على تقدير عدد المشاهدين التابعة لمجموعة VNU.

وتوجد شركات اخرى اوروبية مثل: مجموعة سكاي بي الاذاعية البريطانية British Sky Broadcasting Group (BSKyB) التي تعتبر الموزع الرئيس لخدمات التلفزيون، وماترا هاشيت Matra Hachette، التي تهتم بمجال النشر ووسائل الاعلام والتصنيع العسكري والاعلان ايضا، وشركة بيرسون Pearson التي تصدر صحيفة الفاينتشال تايمز (FT) والتي تتنافس مع صحيفة وول ستريت جورنال، ومجموعة VNU، ومجموعة ميدياسيت Mediaset التي تهتم بالمسلسلات التلفزيونية الاعلانية.

ج- **شركات اعلامية اجنبية اخرى**

Other Foregin Communication Corporations

ثامناً: نيوز كوربوريشن News Corporation

تعتبر الشركة من الامبراطوريات الاعلامية العملاقة التي اكتسحت العالم، ويعد الاسترالي (روبرت مردوخ) المولود في امريكا والمقيم في اوروبا مالك شركة News Corporation. وهو مالك صحف كل من (نيويورك بوست، والتايمز ، والصن).

وقد اعلن إمبراطور الإعلام (مردوخ) تقسيم شركته "نيوز كوربوريشن" إلى شركتين منفصلتين؛ إحداهما للصحف ونشر الكتب وتحمل اسم "نيوز كورب"، والأخرى للترفيه وتحمل اسم "فوكس للقرن الحادي والعشرين"، واختار شعاراً جديداً، في محاولة لإعادة مؤسسته الإعلامية إلى نشاطها المعتاد مرة أخرى. ويمثل الشعار في كتابته بخط اليد لكل من روبرت مردوخ ووالده، ليؤكد مجددا أن هذه المؤسسة "شركة عائلية"[25].

والجدير بالذكر ان زوجة مردوخ السيدة (ويندي دينغ) كانت تشرف على استثماراته الضخمة، لكن مردوخ اعترف ولأول مرة، بأن زوجته السابقة ويندي دينغ كانت تتواعد سراً مع رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير. كما تحدث عن فضيحة التنصت على الهواتف االتي طالت صحيفة خاصة اسبوعية (نيوز اوف ذي وورلد) لتي أُغلقت بسبب الفضيحة[26].

وتبلغ تكلفة فضيحة تنصّت شركة " نيوز كوربوريشن " المملوكة من قبل روبرت مردوخ، الشريك الجديد في مؤسسات إعلام الأمير الوليد بن طلال على هواتف الآلاف من الشخصيات في بريطانيا، وصلت في ثلاثة أشهر فقط إلى ما يزيد عن 200 مليون دولار. وتجرؤ شركة مردوخ في التجسس على هواتف العائلة المالكة ورؤساء وزراء بريطانيا، جعلت عيون العاملين في الإعلام البريطاني والمكافحين للفساد في الدوائر المختلفة، تدور في محاجرها هلعاً من مدى سطوته، إذ وصل لحجرات نومهم. لذلك انبرت نقابات أصحاب المهن المتعلقة بالإعلام والصحافة والمطابع، في حشد القوى لوقف تغوّله في بريطانيا ووقف امتلاكه للمزيد من المؤسسات الإعلامية، وكشف ما استتر من سياسات هذا الرجل الذي يحاول السيطرة على سياسات الدول من خلال منفذ عولمة الإعلام والاستثمار فيه[27].

ومن خلال ما تنتجه صحافة وإعلام شركات مردوخ نعلم تمام العلم بأنه لا يحترم العرب ولا دينهم ولا ثقافتهم أو تقاليدهم، بل يحتقرهم وينظر لهم نظرة دونية، ومساندته الصريحة لإسرائيل ودفاعه المستميت عنها لا يختلف عليها اثنان. ونظرة خاطفة على ما تبثه قناة فوكس التي يمتلكها كافية للتوضيح. إذ يرى في العرب والمسلمين إرهابيين ومتطرفين ودائماً مرتبطين بجرائم القاعدة وأن اليهود هم دائماً ضحايا التمييز العنصري. لذلك لا تخلو مغامرته الجديدة في الشرق الأوسط من دوافع أبعد ما تكون عن البراءة.

ان مردوخ الصهيوني الانتماء، الأسترالي الجذور ليس بمستثمر عادي. إنه أخطبوط، لديه شهية ليس لها حدود، وحلمه السيطرة على الإعلام في العالم. والمتتبع لقصة سيطرته على الإعلام في أمريكا في فترة زمنية قياسية يستطيع أن يقرأ ما بين السطور ليكتشف أين تتجه خارطة الطريق التي رسمها. صحيح أن الوليد بن طلال يشابهه في نهمه للاستثمار وفي طموحه، لكنه يختلف عنه بشيء أساسي وهو أنه لا يحظى بدعم جيش من الساسة والمتنفذين في الكونغرس الأمريكي وخصوصاً شركاءه في دعم الأجندة الصهيونية[28].

كما قال عنه تقرير واشنطن 1995" بان (روبرت مردوخ) ليس يهودياً كما هو شائع عنه في الكتابات العربية، لكنه يميني متطرف، يعشق الصهيونية وملتزم بكافة توجهاتها ومبادئها ويوصفه احد أباطرة الاعلام في العالم يعد الملياردير الاسترالي الاصل الصوت الاعلامي الاول والاقوى تأثيراً لدى مجموعة التطرف المسيحي في الولايات المتحدة المعروفة باسم "المحافظين الجدد". كما انه ليس من اعضاء مجلس اليهود الامريكيين (إيباك) وعلى الرغم من ذلك فهو افضل من يمكن تكليفه بإصدار مجلتين جديدتين تعملان لدعم اسرائيل اعلامياً"[29].

وفي مقال نشر في صحيفة "ميديا جارديان" عام 2001 حول الدعم الإعلامي (الموردوخي) لإسرائيل قال الصحافي (جاسون دينز): إن أسباب استقالة "سام كيللي" مراسل صحيفة "التايمز" في أفريقيا، يعود إلى الرقابة الصارمة المفروضة على تقاريره حول قضية الشرق الأوسط، على اعتبار أن تقاريره موالية للعرب، ويضيف "دينيز": "إن مثل هذه العلاقة بين روبرت موردوخ ورئيس الوزراء الإسرائيلي تنعكس على سياسة التحرير في صحيفة التايمز فالحرب الكلامية بين طرفي النزاع في الشرق الأوسط لها دورها الحاسم في توجيه الرأي العام". ويتابع نقلاً عن كيللي "انه من الصعب أن تجد صديقاً قوياً لإسرائيل يمكنه التأثير على الرأي العام بنفس قوة صحيفة مثل التايمز"[30].

وعودة الى الكاتبة اقبال التميمي التي تؤكد في مقالها ان دخول مردوخ ممرات القرار في العالم العربي من خلال نافذة الاستثمار في الإعلام يحتاج إلى أكثر من وقفة مراجعة لقياس مدى المخاطرة، لأن الأحداث أثبتت أن مؤسساته وكادره المهني يفتقرون إلى النزاهة والشفافية مما سيجعل خطره على أمن المنطقة مضاعفاً لأنه سيملك مفتاح الأمن الاقتصادي والاجتماعي دون وجود آليه لمساءلته. لأن للإعلام دوراً رئيسياً كبوابة ضبط للأمن السياسي. ليس لأن الإعلام هو من أكثر أدوات السياسة خطورة فحسب، بل لأن المنطقة العربية بشكل عام ما زالت بؤرة حساسة لأي تدخل أجنبي تقني لانعدام وجود قاعدة كفاءات علمية لمتابعة

وكشف أي عبث بأمن المنطقة من خلال تقنيات الاتصال وما يتعلق بها من علوم حيث تسارع منحنى التقدم فيها في دول الغرب أشد صعوداً وأسرع من قدرات الدول العربية في اللحاق بها أو كشفها. إضافة إلى الوضع الحالي الذي تمر فيه المنطقة من تحولات ديمقراطية وحيث تعتبر المعلومة التي تمر عبر الاعلام الجماهيري هي إحدى أخطر الأسلحة. لأنه على هامش الاستثمار في المشاريع الإعلامية يتم رصد خفايا الدول الداخلية والتجسس على سياساتها ومراقبة تحركاتها. ومن خلالها تتم قولبة المواطن فكرياً واجتماعياً وسياسياً مما يعني التحكم في استثارة جمعية وتهييج وترويج لأيدولوجيات أشد خطراً على الهوية الثقافية من أي حرب مكشوفة بمعناها التقليدي[31].

وربما يعود السبب في ذلك الى ان إدارة التحرير الموالية بالكامل لإسرائيل ترفض تماما نشر أي موضوعات تتحدث عن عمليات الاغتيال الإسرائيلية المتعمدة أو العمليات التي يكون ضحيتها أطفالاً، أو العمليات التي يقوم بها جيش الاحتلال الإسرائيلي ضد المدنيين، وقد غضب مديرو شبكة مردوخ بشدة لأن مراسل الصحيفة أجرى حواراً مع وحدة من الجيش الإسرائيلي متهمة بقتل صبي فلسطيني.

والسبب الاخر هو ان صداقة مردوخ لرئيس الوزراء الإسرائيلي الاسبق ، آريل شارون، والاستثمارات الضخمة التي يمولها الأول في إسرائيل، وحرصه عليها، تقف حائلا دون نشر التقارير كاملة كماهي. وهذه الصداقة لا تتوق على رئيس وزراء واحد فقط، بل تمتد لكل رئيس وزراء اسرائيلي جديد. الامر الذي يؤكد ان وسائل الإعلام الغربية التي تتمثل في الشركات العلاقة قد خضعت للضغوط الإسرائيلية في تقاريرها المتعلقة بالصراع العربي- الإسرائيلي أثناء انتفاضة الأقصى وحرب الخليج وثورات الربيع العربي وما يجري ولا يزال من احداث وقضايا تمر بها منطقة الشرق الاوسط.

وفي هذا الاطار يمكننا القول: ان "روبرت مردوخ" يتغول بشراسة ليمتلك المؤسسات الاعلامية في العالم ويتغول بشراسة اكثر في الدول الهامشية وشبه

الهامشية للسيطرة والاحتكار والتحكم بالعقول وبخاصة الضعيفة، والتحكم والسيطرة على الاعلام العربي بكل اشكاله ووسائله وهذا ما يؤكد اننا نشهد استعماراً الكترونياً.

والجدير بالذكر ان الاهداف السياسية لقناة (فوكس) Fox التي يمتلكها مردوخ هي التي ساعدت الرئيس السابق جورج بوش على النجاح اضافة للاهداف الربحية التي تسعى اليها هذه الشركة.

تاسعاً: مجموعة سوني Sony

كان اسم الشركة في بدايات تأسيها عام 1946 "شركة طوكيو الهندسية للاتصالات"، لكن في عام 1958 تغير اسم الشركة الى (سوني) Sony.

وعلى الرغم من ان مقر الشركة في العاصمة اليابانية طوكيو الا ان هذه الشركة لها شقيقة في الولايات المتحدة الامريكية تحت اسم "سوني امريكا" Sony Corporation America، حيث تهدف الى خلق اسواق جديدة لتكنولوجيا الاتصال. وقد اطلقت سوني اول راديو ترانزستور وقدمت للسوق اول منتج يحمل العلامة التجارية لها وهو راديو بحجم الجيب. وتشمل سوني الاجهزة السمعية والبصرية والتلفزيونات والمعلومات والمكونات الالكترونية والاتصالات التي تغزو العالم.

مزايا واهداف الامبراطوريات غير الامريكية

- تتمركز هذه الشركات في الدول المركزية
- لديها مصادر مالية ضخمة .
- كان للعولمة دورا بارزا في تحديد الخط الاستراتيجي لهذه الشركات .
- تسعى لتحقيق ارباحها عن طريق الدول الهامشية وشبه الهامشية.
- تعمل على (الحتمية)، اي تغيير الخط الاستراتيجي.
- لعبت الخصخصة دوراً في وسائل الاعلام حيث سعت لشراء الشركات الصغيرة.



- لها اهداف سياسية ايضاً.
- ادى ربط الاجهزة واندماجها الى ظهور الانترنت فاصبح هناك توسعاً في الممتلكات (كالكمبيوتر).
- لم تتخلى هذه الشركات عن الصناعات الامريكية لانها وجدت ان الصناعات الامريكية لا مثيل لها.
- تهدف الى نقل الثقافات واللغات.
- تسعى للهيمنة على عقول دول العالم الثالث، ويعود السبب في ذلك لان المنتج المحلي لا يستطيع ان يتصدى لهذه الشركات، ولان الاعلام اصبح عابراً للقارات. الامر الذي يربطها ارتباطاً وثيقاً بنطرية الاستعمار الالكتروني.
- تمتلك كل شركة من هذه الشركات ادوات تسويقية ووسائل تسويقية خاصة بها.
- تمتلك هذه الشركات قاعدة استهلاكية حقيقية على المستوى الدولي.
- ان عولمة تكنولوجيا الاتصال مهدت لعولمة الاقتصادية.

اذن هذه هي الشركات التسع العملاقة المتمركزة في كل من هوليود ونيويورك، اربع منها امريكية والباقي غير امريكية.

ونستنتج مما سبق بان الامبراطوريات الاعلامية (التسع) الموجودة في الدول المركزية قد احتكرت صناعة الاعلام خلال العقود الثلاثة الاخيرة في الولايات المتحدة الامريكية واوروبا الغربية وتغولت بشراسة في العالم كافة من خلال نشر الثقافة الغربية الهابطة التي تشجع الانسان بخاصة الانسان العربي على الحصول على اقصى درجات من اللذة والمتعة وبالتالي زيادة ارباحها من حيث معدل الاستهلاك والانفاق. حيث ان العالم الغربي لم يسلم من نشر تلك الثقافات الهابطة المتمثلة بالاباحية الجنسية حيث يرى الكثيرون في المجتمعات الغربية بان هذه الثقافات التي تبث عبر البرامج تشكل اساءة لمجتمعاتها واعتداء على كرامة الانسان.

والجدير بالذكر ان وسائل الاعلام الغربية لا تقوم بنشر تلك المواد لان الجمهور يريدها، بل لان المعلنيين هم الذين يريدون تقديم تلك المواد ونشرها

للجمهور. بهدف الربح التي تسعى اليه الشركات متعددة الجنسيات، وبهدف ابعاد الجماهير عن التفكير بالمشكلات التي تواجههم في المجتمع.

ويشار الى ان ظاهرة العولمة اثرت على البرامج المقدمة عبر وسائل الاعلام وعولمتها حيث بدأت تعمل بطريقة وطنية فاصبحنا نجد ان كل دولة تشتهر باسلوبها البرامجي التلفزيوني.

ولا شك بان المواد الجنسية التي يتم نشرها عبر وسائل الاعلام الغربية تحوي اغلبها العنف وارتكاب الجرائم وتعاطي المخدرات والتي من شأنها تعزيز العنف والجرائم وتعاطي المخدرات لدى المشاهد. كما ان هذه المواد لها تأثيرات سلبية وسيئة على الاطفال والمراهقين.

كما ان المجتمع الغربي لم ينج من الافلام التي تقوم وسائل الاعلام الغربية بعرضها وتقديمها له والتي تحوي الاغتصاب والعنف والشذوذ الجنسي وتعاطي الكحول والمخدرات والانحرافات الجنسية والاخلاقية. الامر الذي ادى لخروج تظاهرات في الولايات المتحدة الامريكية نتيجة ما ينشر من مواد سلبية تؤثر على المجتمع الغربي والامريكي على حد سواء. الامر الذي يؤكد ان الاستعمار الالكتروني لا يستهدف مجتمعات دول العالم الثالث ومنها العالم العربي فحسب، بل طال ايضاً المجتمعات الغربية والمجتمع الامريكي نفسه الذي يعتبر صانعاً لهذا الاستعمار.

كما ان وكالات الانباء العالمية مثل: رويترز البريطانية، واليوناتدبرس، واسوشيتدبرس، بالاضافة الى NASA للفضاء والطيران، وراديو اوروبا، واذاعة BBC ، ومحطة CNN ، واذاعة صوت امريكا VOA لها تأثيرات خطيرة وسلبية على مجتمعات دول العالم الثالث من حيث العادات والتقاليد ومنهج التفكير من خلال الترويج للسلع الغربية والثقافات الغربية على حساب الثقافات المحلية والوطنية، الامر الذي يؤثر على اعلامها وعلى تنمية المجتمعات من خلال الاذاعات والتفزيونات العالمية والفضائيات والانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي والخلويات وغيرها من الوسائل.



وقد نجحت في الهيمنة على الجانب الاقتصادي من خلال نظام الخصخصة، والجانب الثقافي، والاجتماعي، وحتى السياسي ايضا من خلال وكالات الانباء العالمية والصحف الاجنبية من خلال التحكم والسيطرة بالمعلومات ومن خلال تسويق منتوجاتها الى الدول النامية والاقل نمواً، والتأثير على العقول وبخاصة الضعيفة من خلال من تقوم باستقباله العقول من منتجات وافلام ومسلسلات وبرامج واقراص مدمجة عبر وسائل الاعلام بشتى اشكالها، ما يجعلنا نعيش عصرا استعماريا الكترونيا بكل اشكاله اثر على لغتنا وثقافتنا وسلوكياتنا.

استعمار أثر على الانسان العربي سواء اكان طفلا ام مراهقاً ام شاباً ام فتاة، ام رجلا ام امرأة. الامر الذي اثر بشكل سلبي على الاسرة التي تعتبر قاعدة المجتمع الاولى عن طريق تنميط البشر والشعوب بقالب الحياة الامريكية وتكريس منظومة قيم الحياة الامريكية كبديل للقيم التي تعتنقها الشعوب الاخرى. ما ادى الى تعريض الذاتية الثقافية للخطر وفرض نماذج تعكس قيماً واساليب حياة غريبة.

◆ **اهم الوسائل الاعلامية الدولية:**

سبق وان تناولنا وكالات الانباء الدولية. ولا بد لنا ان نتناول الاعلام الدولي من حيث، اهم المحطات الاذاعية والقنوات الفضائية الدولية من حيث سلطة الاحتكار والهيمنة على العالم وذلك على النحو الآتي:-

اولاً: الصحافة

ثانياً: الراديو

ثالثا: الفضائيات

ونبدأ اولا باهم الصحف العالمية المسيطرة على العالم وهي:

اولا: الصحافة الدولية

1- نيويورك تايمز New York Times

يعتبر (اودلف اس اوكس) مؤسس وناشر جريدة النيويورك تايمز عام 1851، وهي قريبة من الحزب الديمقراطي، وتعتبر جزءاً من الحكومة، وتشتهر تلك المؤسسة الصحيفة الامريكية بانها صحيفة النخبة الاكثر رواجاً، حيث تستفيد من خدماتها 100 صحيفة امريكية.

وهذه المؤسسة لديها تسع صحف محلية، واربع اسبوعيات، وست مجلات، ومحطتا اذاعة، وثلاث دور نشر، وحصص من ثلاثة مصانع للورق في كندا، ولديها اكبر فريق عمل صحفي من امريكا يتألف من 550 صحفياً يتواجدون في نيويورك و40 صحفياً في واشنطن و 19صحفياً في ارجاء امريكا، و32 خارجها[32]. كما يحتل الاعلام 75٪ من مساحتها.

والجدير بالذكر ان هذه الصحيفة اشتهرت جراء نشرها ملفات البنتاغون السرية عام 1971 خلال حرب فيتنام.

وقد كانت في فترة (اودلف اوكس) تقوم على الموضوعية حتى مع اخبار اسرائيل. لكنها تعرضت الى مقاطعة اعلانية من قبل الصهيونية العالمية عام 1946 حيث قامت بفرض ضغوطات على تلك الصحيفة واجبرتها على الرضوخ للوبي الصهيوني في امريكا.

وتشير دراسة علمية الى ان نيويروك تايمز انتهجت مواقف مزدوجة في تناولها للصراع العربي – الصهيوني، وقامت بعمليات تضليل للرأي العام الامريكي فيما يتعلق بموضوع مشاكل الشرق الاوسط اضافة الى دورها في تشويه صورة العرب في عقول الامريكيين[33]. لذا فهذه الصحيفة لها ميول صهيوني واضح فيما تنشره وتكتبه وتحرره بخاصة تجاه قضايا الشرق الاوسط، وتضليل الراي العام الامريكي فيما يتعلق بصورة العرب وقضايا الشرق اوسطية بالتحديد وذلك من خلال سيرها باتجاه واحد من الشمال الى الجنوب.

2- واشنطن بوست Washington Post

تأست عام 1877 حيث تطورت لتصبح صحيفة المجتمع الامريكي، كما تعد الصحيفة الاولى التي استخدمت الاقمار الصناعية للنقل المباشر للنصوص.

وقد اشتهرت انجازات هذه الصحيفة الامريكية بصورة اوسع واكبر اثناء نشرها فضحية (ووتركيت) عام 1972. كما ان لها سلكاً تحت البحر لنقل المعلومات والاخبار من لندن الى واشنطن.

والجدير بالذكر ان اللوبي الصهيوني يسيطر ايضاً على توجهات هذه الصحيفة من خلال ما تقوم به من عمليات تشويه وتضليل للحقائق تجاه قضايا العرب حيث تقوم بنشرها وتقديمها للرأي العام الامريكي للتأثير عليه من خلال ما تقوم بنشره من معلومات واخبار مزيفة عن قضايا العرب والاحداث والثورات التي يشهدها العالم العربي.

3- وول ستريت جورنال Wall Street Journal

تأسست عام 1882 بهدف تقديم اخبار المال. وتعتبر من الصحف الامريكية التي تؤثر على السياسية الامريكية واصحاب القرار مقارنة بصحيفة النيويورك تايمز. وايضا فهذه الصحيفة يهيمن عليها اللوبي الصهيوني الذي يتحكم في اتخاذ القرارات والتأثير على السياسة الامريكية من خلال ما تقوم بنشره.

اما عن اهم الصحف اليومية البريطانية فهي على النحو الآتي:

1- التايمز The Times

يعتبر (جون ولتر) هو مؤسس صحيفة التايمز التي صدرت عام 1758. وتعتبر صحيفة التايمز البريطانية من اهم الصحف في العالم في تاريخ الصحافة ويعود السبب في ذلك لانها صحيفة ذات تاريخ عريق رسمت سياسة ومنهجاً لها منذ القرن الثامن عشر.

وتمتاز التايمز بالتنوع بمقالاتها التحليلية، وهي قادرة ان تتنبأ بوقوع بعض الاحداث. الامر الذي لفت انتباه القراء لها بشكل اكبر.

2- الجارديان:

تعد هذه الصحيفة من افضل الصحف في العالم بالنسبة للغرب، حيث تقوم على التحليلات في مجال الشأن الدولي، ولها مراسلون وموزعون في انحاء العالم.

والجدير بالذكر ان هذه الصحيفة التي تأسست عام 1821 كان اسمها: Manchester Guardian كونها في مقاطعة مانشستر. وفي عام 1959 تغير اسمها لتصبح (الجارديان).

3- فاينانشال تايمز Financial Times

ظهرت هذه الصحيفة في ثمانينات القرن التاسع عشر، وتقوم على تقديم الخدمات الاقتصادية. وتعبر هذه الصحيفة على المستوى الدولي عن ولائها للكيان الصهيوني لانها مرتبطة بصلاتها المالية باكبر ممثلي بيوتات الرأسمال الاحتكاري الصهيوني الدولي مثل بنك لازاريف.

والجدير بالذكر " ان اليهود سيطروا على صحيفة (الصنداي تايمز) و(الديلي تلغراف) و(الديلي اكسبريس) و (الديلي ميل) و(النيوز نكرونكيل) و (الديلي هيرالد) ومجلة (الاكنومست) ومجلة الويك إيند)"[34]. كما يمتلك (مردوخ عدداً من الصحف الامريكية مثل صحيفة (نيويورك بوست).

ونستنتج مما سبق ان اليهود استطاعوا ان يسيطروا على اعرق الصحف في العالم وهي البريطانية فتجد ان صحيفة Times ومنذ صدروها عام 1788 قد سيطر عليها اليهود بالمال، حيث تحولت ملكيتها الى اليهودي (الفيوكونت نورثكليف) واخرين وذلك عام 1908.

كما ان الصحف الامريكية هي صحف ذات توجهات صهيونية تخدم مصالح الصهيونية العالمية واهدافها من خلال ما تقوم بنشره وتحليله في التأثير على الرأي العالم الامريكي من خلال نقل صورة مشوهة عن العرب والمسلمين وتزييف الحقائق بخاصة القضية الفلسطينية، والصراع العربي– الاسرائيلي، وحرب الخليج، وثورات الربيع العربي.

اما الصحف البريطانية التي كانت تعبر عن الروح الاستعمارية في الخارج فقد تراجع فيها نوعية المضمون الذي كانت تتمتع به تلك الصحافة العريقة بسبب انتقال ملكيتها من العائلات الارستقراطية الى الشركات العملاقة وملاّك الصحافة. فهي اليوم تخدم المصالح السياسية والاقتصادية لعدد من ملاكي الصحف وتجارها العملاقة، فتجد ان المليادير اليهودي الاسترالي (مردوخ) صاحب احدى الامبراطوريات العملاقة (نيوزكوربشين) قد قام عام 1908 بانقاذ الصحيفة



البريطانية (التايمز) من خسائرها حيث قام بشرائها وتحمل الخسائر وبالتالي سيطر عليها.

وقد نجح (مردوخ) في السيطرة على تلك الصحف من خلال ما قام بنشره من صور عارية وعناوين مثيرة وتحقيقات وفضائح خاصة ونشر خصوصيات نجوم المجتمع. الامر الذي ادى لتدهور الصحافة البريطانية وتدهور سمعتها ورصانتها.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الاطار! كيف لصحافيي دول الجنوب وبالاخص صحافيي الدول العربية ان يعتمدوا هذه الصحف باعتبارها مصادر موثوقاً بها ؟ وكيف يتم تدريس اجيال المستقبل المتخصصين في مجال الصحافة والاعلام والعاملين الجدد في المؤسسات الاعلامية على ان الصحف البريطانية والامريكية مصادر موثقوق بها وهي لا تخدم الا توجهات واهداف اللوبي الصهيوني ؟.

ثانياً: الاذاعة الدولية الموجهة

1- اذاعة بي بي سي B.B.c

- اذاعة اخبارية تأسست عام 1922 وبدأت البث عام 1923.
- نظامها ليبرالي مستقل.
- تعتبر ال "بي بي سي" هيئة مستقلة يحكمها حاكم، وتأخذ الهيئة من كل مواطن مبلغ معين يتم تحويله للاذاعة بشرط ان لا تتدخل الحكومة فيها. وهذه الهيئة تحدد سياسية "بي بي سي".
- محكومة من قبل وزارة الخارجية.
- تعتمد على آلية معينة في بثها.
- تغطية اخبارية فورية.
- تتنافس مع محطة CNN التلفزيونية.
- تعتبر ال "بي بي سي" المعيار الذي يقاس عليه العمل الاعلامي ككل.
- وضعت معايير تلفزيونية واذاعية وهذا ما يميزها عن غيرها.

ففي دراسة هي الاولى من نوعها نقلتها (ميدل إيست أون لاين) حملت عنوان "إمبراطورية الإعلام: بي بي سي والعالم البريطاني، 1922- 1970"، يشير الباحث (سيمون بوتر) إلى أن المملكة المتحدة سعت إلى تسخير الآلة الإعلامية المتمثلة في البداية في إذاعة "بي بي سي"، مع بقية مؤسسات الهيئة، لتدعم نفوذها في العالم بعد أن بدأت تتغير ملامح القوى العالمية.

ويشير الباحث إلى أنه بعد تحجيم دور المملكة المتحدة وتصاعد التيار القومي بزعامة مصر التي كان لها دور فعّال في المنطقة حاولت هيئة "بي بي سي" التعويض عن تراجع الإمبراطورية البريطانية وفقدان المستعمرات بـ"الاحتلال الثقافي" من خلال سيطرة التكنولوجيات الجديدة للاتصال الجماهيري وتأثيرها.

ويذكر الباحث في هذا السياق أنه تم تسخير البرامج الكوميدية والاحتفالية والثقافية والرياضية لتحقيق هذه الغاية، كما تم اطلاق "خدمة بي بي سي" التي تطورت وأصبحت اليوم تعرف بـ"الخدمة العالمية" (وورلد سيرفيس). الامر الذي جعل "بي بي سي" تحقق نجاحا كبيرا حيث بسطت نفوذها بعدما أصبحت تخاطب شعوب العالم بلغاتها المختلفة أينما كانت. الامر الذي يؤكد ان ال "بي بي سي" صنعت خطابها الاعلامي وكرست نفوذ بريطانيا الاستعماري.

وفي الاشارة هنا الى "ان بي بي سي تنطلق من ايديولوجية وثقافة عربية اسلامية اصولية في توصيفاتها وليست اعلامية حيادية. وما يؤكد ذلك هو تغافل تلك القناة الاذاعية عن تغطية ونقل احداث العنف المتبادل بين حكومة صدام حسين وانصار التيار الصدري عام 1999 إثر اغتيال المرجع الديني محمد صادق الصدر والتي شهدت اعمال عنف كبيرة استمرت لاسبوع على الاقل في بغداد ومدن الجنوب، وعلى اهمية هذا الحدث وقيام النظام السابق بقمع المعترضين الا ان ال بي بي سي التي تفتخر بان لديها شبكة من المراسلين في كافة انحاء العالم لم تنقل هذا الحدث"[35].



والجدير بالذكر ان هناك اذاعات دولية موجهة تقوم بنشاطات دعائية لصالح الولايات المتحدة الامريكية والتي تقوم بتوجيهها عادة وكالة الاستعلامات الامريكية (USIA) والتي تتمتع بامكانات مادية ضخمة.

2- اذاعة صوت امريكا:

تأسست تلك المحطة عام 1942 كخدمة تابعة لوكالة الاستعلامات الامريكية، وهي الاذاعة الرسمية الحكومية. وتوجه برامجها التي تحوي التعليقات القصيرة والموسيقى ومعظم البرامج ذات الطابع الدعائي باللغة الانجليزية والاندونيسية ولغة الروس واللغات الاخرى.

وتعمل هذه المحطة ببث برامجها من مقرها في العاصمة الامريكية، وقد اصبحت اذاعة صوت امريكا تابعة للاعلام الدولي عام 1978 .

اما مصادر تمويلها فهو الكونغرس الامريكي ووزارة الخارجية الامريكية ووكالة الاستعلامات الامريكية، والمخابرات الامريكية، والتمويل التجاري ايضاً.

3- اذاعة صوت امريكا: VOA

بدأت العمل عام 1948، حيث تهتم بالجانب الاخباري في برامجها، وتتبع النمط الامريكي في السياسة والحياة من خلال بثها مواضيع عن الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان في امريكا، الامر الذي من خلاله تحاول التأثير على المستمع العربي والسيطرة على عقله وفكره.

4- راديو سوا: Radio Sawa

بدأ راديو سوا البث باللغة العربية عام 2002 بتمويل من الكونغرس الامريكي حيث تعود تلك المحطة لمكتب الاذاعات الدولية الامريكية.

ويتم اعداد البرامج والاخبار من استوديوهات العاصمة واشنطن. ويهدف راديو سوا من خلال برامجه الشبابية للتأثير على عقول الشباب العربي وتغيير انماطه وافكاره في اطار الرؤية الامريكية ما يعني (امركة العقل العربي).

5- اذاعة دوتشه فيله: Deutshe Welle

- تعتبر اذاعة DW.DE الالمانية نظاماً اذاعياً قصير الموجه.
- تقدم خمس لغات في ساعات قصيرة باللغة الاسبانية.
- تقدم نشرات اخبارية باللغة العربية.
- غير سياسية وغير تجارية لكنها ثقافية.
- تشمل الرياضة والاخبار والبرامج.
- وقد دخلت خدمة الانترنت.

6- اذاعة يورونيوز Euro News

تم انشاؤها من قبل الاتحاد الاوروبي عام 1993، وتأتي هذه الاذاعة في المركز الثاني بعد CNN فيما يتعلق بالجمهور عبر اوروبا، حيث تقدم وجهات النظر الاوروبية في الشؤون العالمية والاقليمية والمحلية.

وتبث هذه الاذاعة سبع لغات واخرها الروسية. ومن سلبياتها ان تمويلها يأتي بشكل غير مباشر من المخصصات المالية. الامر الذي دفعها للاعتماد على الاعلانات للتغلب على هذه السلبية.

وفي هذا الاطار فان اذاعة الدول الغربية تتحكم بـ 90٪ من الموجات الاذاعية ما يعني السيطرة والتحكم بالمضمون وبكل ما يبث عبر هذه الاذاعات الخاضعة للصهيونية العالمية.

ثانيا: الفضائيات الدولية

لا نريد الخوض في شرح فيما يتعلق بالتلفزيونات الدولية، وما يهمنا هنا هو شبكة ال CNN العالمية وتلفزيون MTV، ونبدأ اولا بشبكة ال CNN.

1- شبكة CNN

تعتبر هذه الشبكة من اشهر الشبكات العالمية الامريكية حيث تمتاز بقدرتها على التغطية السريعة للاحداث العالمية. الامر الذي جعلها قادرة على اجتياح الشبكات التلفازية الاخرى خلال سنوات.

وتعد CNN المرجع الاساس بالصوت والصورة لما يجري في العالم. حيث اعتمد اسلوبها على التقارير الاخبارية الحية ومواقع الاحداث وتقديم مختلف وجهات النظر. وبرز دورها خلال حرب الخليج ما جعلها تتربع على عرش الشبكات الاخبارية الدولية.

وقد انتشرت هذه القناة في العالم العربي عام 1990، وقبل هذا التاريخ كانت تبث الى مصر مجاناً لمدة اربع ساعات من ثم اصبح البث لمدة 24 ساعة.

اما عوامل نجاح شبكة CNN على النحو الآتي:-

- استخدمت قمر عربسات للوصول الى المنطقة العربية.
- تركز على بث الرؤية الامريكية للاحداث الدولية.
- التخصص في المجال الاخباري.
- - تغطية الاخبار والاحداث من مواقعها.
- استقلالية الشبكة وعدم تبعيتها للحكومة.
- استخدام التكنولوجيا الحديثة.
- الأداء المهني العالي.
- الفورية والآنية والسرعة.
- التنوع في الاشكال الاخبارية.
- كفاءة العناصر البشرية العاملة فيها.
- تبث اذاعياً عبر إنتلسات.
- تتمركز في دول المركز.
- هدفها الربح.

ولا شك بان حرب الخليج عام 1991 مثلت فرصة تحد لشبكة "سي ان ان" حيث لم تكن الشبكة الاولى فحسب، بل الوحيدة من بين الشبكات التلفزيونية التي سمح لها الطرفان (العراق والسلطات العسكرية الامريكية)

باستمرار البث، بينما حُرمت الشبكات التلفزيونية الاوروبية والآسيوية المماثلة من الوصول الى الخطوط الامامية من الجبهة.

والجدير بالذكر ان حرب الخليج قد خلقت نجماً صحفياً بارزاً من صحفي شبكة CNN وهو (بيتر أرنت) Peter Arnet. وعلى الرغم من ان الكثيرين احبوا (آرنت) والذي منحته CNN لقب صحفي من الطراز الاول، الا انه تعرض لانتقادات عدة على اساس انه كان متساهلاً وسمح للمسؤولين العراقيين بالظهور على شاشات الشبكة لاوقات اكثر من اللازم لبث وجهة نظرهم خلال الحرب وذلك بعد انتهاء عملية عاصفة الصحراء.

كما تعرض للانتقاد بسبب افتقاده للولاء للولايات المتحدة الامريكية وذلك بسبب اصراره على البقاء خلف خطوط العدو.

فعندما نقل (آرنت) خبر قصف قوات الحلفاء مصنعاً عراقياً ينتج البان الاطفال وليس مصنعا لانتاج اسلحة بيولوجية كما زعم الجيش الامريكي، تزايدت المخاوف الشعبية من احتمالات استغلال تقاريره الاخبارية في أغراض دعائية لصالح العراق. وفي بعض اللحظات كان المشروعون الامريكيون يضغطون من اجل اخضاع بث رسائل "آرنت" للرقابة[36].

وفي عام 1999 لم يتم اختيار (بيتر آرنت) في فريق CNN الذي قام تغطية النزاع في كوسوفو، ثم تلى ذلك فصله من CNN بعد ان ادلى بتصريحات للصحافة اعرب فيها عن اسفه من تجاهل الشبكة له في حرب كوسوفو. وقد اعتبر الكثيرون ان هذه السقطة سوف يكون لها نتائج سلبية على المدى الطويل بالنسبة لمصداقية CNN كشبكة اخبارية وبالنسبة للمعايير التي وضعتها للتقارير الصحفية الاستقصائية[37].

ونستنتج مما سبق اتساع الهيمنة الامريكية وسيطرتها على الاعلام الدولي والتحكم بالمعلومات والاخبار التي تنشر باتجاه واحد من الشمال الى الجنوب.

كما ان حرب الخليج تؤكد ان شبكة CNN لم تلتزم الموضوعية والحيادية في نقل الاخبار، ولم تلتزم بالتوازن الاخباري. كما انها تخلو من المصداقية

من خلال تشويه الحقائق وبث ونشر ما يخدم وجهات النظر الامريكية والصهيونية العالمية. الامر الذي اثر سلباً على الرأي العام الامريكي من خلال تصديقه لكل ما تقوم بنشره هذه الشبكة. كما نستنتج بان الهدف المركزي للسياسة الخارجية الامريكة هو كسب معركة التدفق العالمي للمعلومات، والسيطرة على الموجات الهوائية. الامر الذي يؤكد اننا نعيش استعماراً الكترونياً.

اما بالنسبة للقضية الفلسطينية فان وسائل الاعلام الغربية تصور اطفال فلسطين على انهم يقومون باعمال العنف، حيث ان هذا التصوير يتعارض مع كل الاخلاقيات الانسانية والقيم الحضارية. الامر الذي جعل الصحافيين ادوات للدعاية، وليسوا صحافيين اصحاب ضمير.

"وقد اكدت لجنة ماكبرايد ان اثار التبعية الفكرية والثقافية لا تقل اهميتها عن آثار التبعية الاقتصادية او الخضوع السياسي، ولقد قيل بحق: "لا يمكن للامة ان تدعي الاستقلال اذا كانت وسائلها الاعلامية تحت سيطرة اجنبية"[38].

2- شبكة تلفزيون MTV

- يعتبر MTV الرابط الموسقي العالمي المسيطر في العالم.
- يعمل تلفزيون MTV على تشيجع التجانس الثقافي
- يعتبر وسيلة تسلية قوية
- يصل الى اكثر من 340 مليون منزل في 139 دولة و اكثر من 71 مليون مشترك.
- يمثل فئة شبابية ويستهدف المراهقين التي تتراوح اعمارهم من 12- 34 عاما .
- تعتبر شبكة MTV اول شبكة موسيقية مصورة بالفيديو وتعمل لمدة 24 ساعة.
- يتم دعم الشبكة من خلال (الاعلان) التجاري
- تملكها مجموعة (فياكوم) احدى الشركات العملاقة في دول المركز.
- نجح MTV آسيا في خلق وعي تسويقي مناسب بينما يروج للثقافة الشعبية الغربية في اتحاد العالم باللغة الانجليزية. الا ان برامجها ما زلات ذات طابع امريكي.
- دخلت هذه الشبكة مجال التغطية السياسية للانتخابات بشعار يقول: (اختر وإخسر)
- نجح تلفزيون MTV على الصعيد الوطني والعالمي بخاصة مع ظهور الانترنت وتزايد قدرة الافراد بنقل الموسيقى عبر مواقع الانترنت.



- تحاول شبكة MTV دمج الفنون الوطنية ودمج انواع متعددة من الموسيقى كالبدائية والهندية التقليدية والافريقية من خلال الاستعمار الالكتروني.

ولا شك بان شبكة MTV "تروج للثقافة الشعبية الغربية في جميع انحاء العالم وفقاً لخريطة الشبكة في امريكا الشمالية، حيث ان غالبية برامج MTV تبث باللغة الانجليزية. ويتم استيراد اكثر من 50٪ من برامج التلفزيون MTV اسيا بشكل مباشر من تلفزيون MTV الولايات المتحدة. وبالاضافة الى ذلك فان الثقافة الشعبية الامريكية تتواجد في كل شيء يتم بثه على تلفزيون MTV اسيا، وحتى في البرامج التي تستهدف تقديم الثقافات الآسيوية"[39]. وهناك خمس مجموعات موسيقية عالمية تبث باللغة الانجليزية وتهدف للسيطرة على العملية الانتاجية عن طريق العثور على مواهب جديدة عبر (الانترنت) وانشاء مواقع للمغنيين والمشاهير والفنانين، كما ان القرصنة كان لها دور في سرقة الموسيقى.

"ويعترف احد المسؤولين في الوكالة الاميركية للاعلام امام الكونغرس بان (كمية الصادرات من الافلام التلفازية والتي تصل ال (100) مليون في العام بلغت من الضخامة بحيث ان شاشة التلفاز اصبحت المصدر الرئيس لعرض الصورة الامريكية للملايين المتزايدة من الناس في الخارج، كما ان برامج التلفزيون الامريكية اصبحت هي التي تحدد نغمة واسلوب انتاج البرامج في العالم بأسره، مثلما كانت هوليود بالنسبة لصناعة السينما"[40].

وفي هذا الاطار يمكن القول بان الصهيونية استطاعت السيطرة على التلفزيون الدولي والفضائيات العالمية والاخبارية من خلال بث الرؤية الصهيونية التي تتيح الافلام والبرامج الداعمة للرؤية الصهيونية والتي من خلالها تؤثر على الرأي العام العالمي، ومنها الامريكي من حيث اظهار ان اليهود ابرياء وانهم يعيشون محيط ارهابي بخاصة مع ثورات ما يسمى بـ "الربيع العربي"، وانهم مضطهدون وان الاسلام دين ارهابي من خلال ما تبثه من احداث واخبار وصور ونصوص مخالفة للواقع وبعيدة عن المصداقية. الامر الذي يؤكد اننا نعيش عصراً استعمارياً الكترونياً بكل اشكاله وادواته.



المبحث الثالث

(النفوذ الامريكي – الصهيوني)

ان الهيمنة التي نشهدها والمسيطرة على وسائل الاعلام والتحكم في الرأي العام داخل الولايات المتحدة وخارجها انما هي جزء من الادوات الخفية التي تملكها تلك النخبة من اعضاء مجلس العلاقات الخارجية. وقد ازدادت الهيمنة وتوسعت على عهد ادارة بوش من خلال السماح للشركات الاعلامية العملاقة بالاندماج، ما يعني الهيمنة والسيطرة على المزيد من المحطات الاذاعية والقنوات الفضائية المحلية عبر الولايات المتحدة الامريكية.

ومما لا شك فيه "بأن الذين يسيطرون على شركات الاعلام الامريكية العملاقة من منتسبي مجلس العلاقات الخاريجة، هم جميعاً بلا استثناء من اليهود، وهي حقيقة معروفة، وبمعنى اخر فان الاعلام الأمريكي متمركز في أيدي فئة قليلة اكثر من اي وقت مضى في التاريخ، وبان الهيمنة الاعلامية محصورة في أيدي اعضاء مجلس العلاقات الخارجية، الذين يتصادف ان يكونوا في معظمهم يهود.

❖ صورتنا النمطية في العين الامريكية

لقد ترجم الباحثون العرب مصطلح Stereo type الى مصطلح الصورة النمطية، والصورة كما ترى هي شكل او وصفة الشيء، او النمط هو الجماعة من الناس امرهم واحد، وتعني ايضاً الصنف[41]. (كما عرّف (جودي دويزكي) الصورة النمطية على انها "شيء يطبق على نمط ثابت او عام، وخصوصاً صورة عقلية قياسية يحتفظ بها جميع افراد المجموعة، وتمثل رأياً مبسطاً او موقفاً وجدانياً قابلاً للنقد"[42].

بينما يرى الدكتور صالح ابو اصبح الصورة النطية على انها "تلك الصورة التي تنطبع في الاذهان عن اشخاص، او شعوب حاملة معها سمات موضوعية في قالب

ذهـني بحـد الـتفكير، في تـصور هـؤلاء الاشـخاص او الـشعب بـصورة مخالفـة للذهن"[43].

ويمكـن القـول بـان الـصورة النمطيـة Stereo type هـي صـورة سـلبية تتسم بالجمود وتُبنى على معلومات غير حقيقية وخالية من المصداقية تسير باتجاه واحد وقائمة على التشويه والتضليل والتزييف للحقائق، محملة بالمشاعر الذاتية ومشحونة بالعواطف والتجارب الشخصية تتشكل اما عن الافراد او مجموعات او مؤسسات او نظام او اي شيء اخر بطريقة سلبية من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة التي تمثل لاصحاب تلك الصورة واقعا صادقا بغض النظر عن مصداقية هذا الواقع او تزييفه، بحيث ترفض استقبال اي رسائل معكوسة لها لا تنسجم مع اتجاهاتها وافكارها. وتقوم الصورة النمطية على سمات عدة من حيث الخوف والقلق والكراهية والاحتقار والارهاب والفقر والجرائم التي تثير مشاعر الشخص عند تكوينه الصورة النمطية عن الاخرين. والصورة سواء أكانت صورة ذهنية (ايجابية) ام صورة نمطية (سلبية) فهي تتكون من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة حيث ترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم وعقائدهم. وبغض النظر عن صحة او عدم صحة المعلومات التي تتضمنها خلاصة التجارب والاحداث التاريخية التي يمر بها العالم فهي تمثل بالنسبة لأصحابها واقعا صادقا ينظرون من خلاله الى ما حولهم وليس غريبا ان تتشكل هاتان الصورتان بعقل الفرد الواحد.

وللاشارة هنا الى ان الصورة النمطية تؤدي الى التعقيد وكلما ازداد هذا التعقيد ادى في مراحل اعلى الى التمييز العنصري. والجدير بالذكر ان الصورة النمطية غالباً ما تقف وراءها جهات (جماعات او مؤسسات) تهدف لتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

وامثلة على ذلك صورتنا النمطية من خلال حرب الخليج، وصورة الشعوب العربية في ثورات الربيع العربي وقلب الصورة وتزييف النصوص والمعلومات وفبركة الفيديوهات المقدمة عبر الاعلام الجديد بأشكاله المختلفة ...الخ. بعكس الصورة

الذهنيـة القائمـة علـى الحقـائق والموضـوعية والايجابيـة والـتي تـزداد وضـوحاً كلمـا اتسعت والتي تسير باتجاهين من مرسل الى مستقبل وبالعكس.

ولكن تُثبت لنا احداث التاريخ ان الصورة النمطية ليست وليدة احداث 11 ايلول وليست وليدة حرب الخليج وغيرهـا بل كانت ومـا زالـت عبر الاجيـال تتوارثها الانبـاء حيـث غالبـا مـا تقـف خلـف هـذه الصـورة جهات (جماعـات او مؤسسـات) ذات مصالح اقتصادية او سياسية او اجتماعيـة حيث تـؤدي الى التعقيـد وفي مراحل اعلـى قد تؤدي الى التمييز العنصري.

اما التيارات الاسلامية فان الوسائل الاعلاميـة الغربيـة ترسم صورة نمطية لتلك التيارات الاسـلامية مبالغا فيها الامر الذي لا يؤثر على الاسلاميين بحسب، بل على الامة العربية ككـل. بحيـث يصبح الـرأي العام العالمي والامريكي على وجـه الخـصوص ناقمـاً علـى الامـة العربيـة جمعـاء نتيجـة لنقـل تلـك الـصورة النمطيـة. ومـن هنـا نـستطيع القـول بـان الاعـلام الغربـي عمومـا والامريكـي - الـصهيوني خصوصا لعب دورا بـارزا في تقديم الصورة النمطيـة عن العرب حيث يصورهم هـذا الاعلام بانهم جميعا بدائيون وارهابيون وجهلاء وهذا نتيجة اختلال التوازن الاعلامـي ما بين دول الشمال ودول الجنوب.

ولا نستطيع ان ننكر ان الاحداث التاريخية ساهمت ايضا في خلق الصورة النمطية حيث لا يصل الى المجتمع الامريكي من الصورة العربية الا مـا تعانيه تلك الـدول مـن امـراض وانقلابـات وفـضائح، والـسبب في ذلـك ان المجتمـع الامريكـي بطبيعته يؤمن بالتخصص وقد يصدق ما يصله عبر وسائل اعلامهم التي لا تنقل لهم سوى الصورة النمطية عن دول العالم الثالث.

وعلينا ان ندرك ان العامل الجغرافي ايضا يجعل المجتمع الامريكي معزولا عن العالم العربي وان تم ربطه عبر الاقمار الصناعية ما يساعد على تكبير وتوسيع الصورة النمطية للعرب في عين المجتمع الامريكي.

وفي هـذا الاطـار نجـد ان اسـرائيل والـصهيونية العالميـة تـشعر بـان العـالم وبخاصـة العـالم العربـي يتـشكل لديـه الـصورة النمطيـة عنهـا مـن حيـث افعالهـا واتجاهاتها وسلوكياتها وافكارها ...الخ.

وقد ازدادت واتسعت تلك الصورة للكثيرين بخاصة في ثورات الربيع العربي، لذا فهي تسعى جاهدة من خلال تلك الثورات ان تصور نفسها للعالم اجمع بانها تعيش في محيط ارهابي وانها بريئة من كل ما يحصل.

ولا شك بان الصهيونية العالمية تمتلك شيئين هامين في العالم هما: الاعلام والمال لايصال الصورة النمطية عن العرب للرأي العام الغربي من خلال صناعاتهم أخبار تغرس صورة مفرطة لانحطاط الشرق الاوسط وعزل كفاحه ونضاله العربي عبر التاريخ.

لذا فنحن لم نسمع او نقرأ بان هناك محطة اذاعية او فضائية تلفزيونية او واي سيلة اعلامية بخاصة التي تبث الى الوطن العربي ودول الجنوب ان اصحابها يهود، لان العالم بخاصة دول الجنوب والوطن العربي تشكل لديه منذ عقود طويلة صورة نمطية عن اسرائيل، لذا نجدها تسعى الى ايجاد افراد لتعيينهم اصحاب لتلك الوسائل الاعلامية لان اسرائيل تعلم جيداً ان دول الجنوب والعالم العربي لا يثق بالاعلام الاسرائيلي، فنجد ان بعض الفضائيات العربية تمولها جهات خارجية وتدير مضمون رسالتها الاعلامية جهات خارجية تحت اسم فضائيات عربية وحتى الفضائيات العربية الاخرى التي تمتلك اكثر من محطة فهي في الخفاء يملكها افراد يهود.

وكون الاعلام والمال في أيدي الصهيونية العالمية فحتما فان الصورة المأخذوة عن دول العالم الثالث ومنها الاقطار العربية هي صورة نمطية عن كل ما يجري ما احداث وصراعات وقضايا في دول العالم الثالث وبخاصة الوطن العربي كالصراع العربي – الاسرائيلي، حيث تم تشويه صورة المقاومة الفلسطينية، والقيام بعمليات التشويش على حقوق الفلسطينين وقرارات الشرعية الدولية، وقضية اللاجئين. كما قدمت تلك الصورة للرأي العالم العربي والعالمي بان اسرائيل تعيش وسط محيط ارهابي وذلك من خلال ثورات ما يسمى بالربيع العربي والتي كانت مخططا صهيونياً لتحقيق الحلم الصهيوني من خلال تسليط الضوء على ان الدول العربية مليئة بالارهاب وبالتالي ابعاد الشبهات واصابع الاتهامات عن اسرئيل.

ولم تسلم حرب الخليج، وقضية النفط، وثورات ما يسمى بالربيع العربي. من هذه الصورة النمطية التي يتم نقلها الى الرأي العام الامريكي والغربي، كما لم تسلم المرأة العربية والرجل العربية مما تتناقله وسائل الاعلام الامريكية ووكالات الانباء العالمية عن صورة تظهر فيها تخلف المرأة العربية والرجل العربي. وجهل الشعوب العربية، بالاضافة الى تشويه الدين الاسلامي والصاق الارهاب به. وللاسف نجد ان الراي العام الامريكي والغربي غير قادر على ادراك الحقيقة التي يتم التلاعب والتزييف بها من قبل جهات عُليا كالامبراطوريات الاعلامية ووكالة الاستخبارات الامريكية ومجلس العلاقات الخارجية وصندوق النقد الدولي، وذلك بفعل تأثير اللوبي الصهيوني في غرب اوروبا وامريكا.

فنجد ان الوكالات الدولية تسيطر عليها مجموعة من الشركات متعددة الجنسيات، فهي مطالبة بشراء اخبارها من وكالات مثل: نيويورك تايمز، والواشنطن بوست، وداو جونز، وول ستريت جورنال. وما يؤكد صهيونية تلك الشركات والوكالات والصحف، ان "وكالة نيويورك تايمز مملوكة لعائلة "آرثر سولزبيرغر" Arthur Sulzberger ، كما ان رئيس التحرير فهو حاخام يهودي واسمه "جوزيف ليلفيد" jaseph Leyveld. ونجد ان ابرز الشخصيات التي تسيطر على الاعلام الدولي هو "روبرت مردوخ" عملاق الاعلام الاسترالي، اليميني المتطرف للصهيونية.

❖ النفوذ الصهيوني – الامريكي وكيفية سيطرته على العالم

ربما يتساءل الكثيرون بخاصة مجتمعات الدول النامية والاقل نمواً، كيف سيطرت امريكا على العالم واصبحت دولة عظمى وليس بالامكان ان تقف امامها اي دولة في العالم؟ وفي هذا الاطار لا نريد ان ندخل بتفاصيل امريكا من حيث تاريخها السياسي وما فعلته حتى وصلت الى ما وصلت اليه لتكون قوى عظمى، الا انه يمكننا ان نوضح نقاط رئيسة اصبحت من خلالها دولة عظمى استطاعت ان تحكم سيطرتها على العالم وذلك من خلال:-

- احتكارها تجارة السلاح: حيث تصرف أمريكا (41٪) في المائة من مجموع ما يصرفه العالم مجتمعا على التسلح والقوات المسلحة ما يقارب التريليون دولار، ومعظم حلفائها يشترون إنتاجها من مصانعها الحربية بأسعار مرتفعة، ما عدا إسرائيل.
- تدميرها الحضارات: فقد قامت امريكا بتدمير حضارة الهنود الحمر واعطت للاجيال السابقة والحاضرة الصورة النمطية والسلبية، وصورت اجدادهم بالوحشية لدرجة ان الاجيال ابناء الهنود صدقوا ذلك. وما يؤكد تدميرها للحضارات ان الصهيونية الامريكية حاولت تدمير حضارة العراق اثناء حرب الخليج وسرقة تراثها وهي تسعى اليوم لتدمير الحضارة العربية ولكل حضارة تقف عائقاً امام تاريخها. وهذا يعود الى ان الحضارة الغربية قامت على اسس عنصرية وقد كان تبريرها للعمليات الاستعمارية ضد شعوب اسيا وافريقيا هو (سيادة الرجل الابيض في تمدين البشرية) وما زالت وسائل الاعلام الغربية تتعامل مع الاقليات الدينية والعرقية باعتبارها تشكل خطرا على المجتمعات.
- سيطرتها على الثورات بخاصة ثورات الوطن العربي وما تحويه من نفط، فالفقر والمجاعات في العالم سببها امريكا.
- سيطرتها على الشرعية الدولية: من خلال تحكمها في مجلس الامن الدولي.
- السيطرة الاعلامية على الاعلام العالمي: من خلال الاعلام الدولي وشركات متعددة الجنسيات ووكالات الانباء العالمية التي تلعب دوراً بارزاً في التحكم والسيطرة على دول العالم بخاصة الدول الهامشية وشبه الهامشية.
- تسعى لتعزيز نظرية الاستعمار الالكتروني: من خلال العولمة والثورة التكنولوجية الهائلة.
- احتكارها اسلحة اقتصادية كالمنظمات الدولية وصندوق النقد الدولي الذي لا يخدم الا مصالحها.
- نجحت في الاندماج بشركات غير اعلامية .

وفي هـذا الاطـار لا بـد لنـا ان نتنـاول كيفيـة الـسيطرة الاقتـصادية الامريكية على النحو الآتي:-

❖ **النفوذ الصهيوني.. استعمار إلكتروني**

ويستمر الخداع والوهم الذي تفرضه الصهيونية العالمية على دول العالم الثالث والدول العربية على وجه الخوص، ويستمر دورنا كمتلقين ومستهلكين للمعلومة ومستسلمين لكل ما يصلنا من تدفق اعلامي من وكالات الانباء العالمية والصحف والاذاعات والفضائيات العالمية الخاضعة للوبي الصهيوني. وتستمر السيطرة الصهيونية الامريكية في التحكم بعقولنا وانماط حياتنا من خلال نقل الثقافات الغربية سواء عن طريق الافلام او الموسيقى او البرامج او الاقراص المدمجة او الخصخصة او التدخل في المناهج الدراسية ... الخ.

وما زال التدفق الاعلامي يسير باتجاه واحد من دول الشمال (الدول الغربية) الى دول الجنوب (العالم الثالث) والذي اثر بشكل سلبي على المجتمعات المتلقية لذلك التدفق الهائل من الاخبار والمعلومات. وهذه المعلومات والاخبار لا تحمل للغرب عن دول العالم الثالث سوى الاحداث والقضايا والحروب والازمات والنزاعات والاضطرابات والاحداث والقتال والتي تنقل بصورة اخرى عن طريق الفبركة بالصور والتلاعب بالفيديوهات وتزييف للحقائق حيث لا تنشر عن دول العالم الثالث سوى الجوانب السلبية واظهارها للرأي العام الغربي والامريكي على وجه الخصوص. الامر الذي يؤكد ان هذه الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية المنفذ لاستراتجيات ومخططات الصهيونية لا تقوم سوى بتوظيف ما يخدم مصالحها واهدافها ويتماشى مع سياساتها وثقافاتها.

وعلى الرغم من اكتشاف التلفزيون الا ان اليهود لم يكتفوا به، بل توسعت سيطرتهم لتصل الى السينما العالمية لخطورتها. وتعود سيطرتهم الى عام 1909 عندما سيطروا على اول شركة انتاج سينمائية امريكية وهي (فينا غراف) والتي خصصت لانتاج الافلام السينمائية الصهيونية. الامر الذي جعلهم سادة صناعة السينما العالمية وذلك من خلال امتلاكهم لاشهر شركات الانتاج السينمائي العالمي.

ما جعلهم يسيطرون سيطرة شبه تامة على السينما العالمية (هوليود). كما وتشير معظم الاحصائيات الى ان العاملين في المجال السينمائي من مخرجين ومصورين ومنتجين وممثلين هم يهود، حيث تقوم الادارة الصهيونية بطرد كل من لا ينتمي اليها ولصناعاتها السينمائية.

ونجد ان مضمون البرامج والافلام المليئة بالتسلية والترفية والتي تنقلها وسائل الاعلام الغربية المتمثلة بالامبراطوريات العملاقة لا يحمل سوى افكار وقيم ذات طبيعة سياسية وليست تجارية، ومعظمها يحمل ثقافات الغرب ولغتهم وعاداتهم التي تؤثر علينا بشكل سلبي.

فمعظم الافلام السينمائية مليئة بالاغراء والجاذبية والاثارة ومسلسلات البوليس والمطاردة والعنف والمخدرات والجرائم ... الخ. وهذا ما يجعلهم يتحكمون في مضمون الافلام السينمائية وبيعها لدول العالم الثالث بهدف تخدير العقول ومنها عقول الشباب العربي.

كما نجد ان افلام العنف والرعب التي تستوردها دول العالم الثالث، معظمها لا يتم عرضه في الدول الغربية والتي تهدف لتربية اجيال المستقبل على الجرائم وتعزيز النزعة العدوانيه لديهم.

والجدير بالذكر ان صحيفة الاخبار المسيحية الحرة Christian Free News الصادرة بتاريخ1- 4- 1938م، قد اوردت ما يلي: "لقد اصبحت هوليود بسببهم (سدوم العصر الحديث)، حيث تنحر الفضيلة، وتنشر الرذيلة، وتسترخص الاعراض، وتنهب الاموال من دون رادع او وازع، وهم يرغبون كل من يعمل لديهم على تعميم ونشر مخططهم الاجرامي تحت ستائر خادعة كاذبة، وبهذه الاساليب القذرة افسدوا الاخلاق في البلاد، وقضوا على مشاعر الرجولة والاحساس، وعلى المثل العليا للأجيال الأمريكية. واختتمت المجلة كلامها بالقول: "اوقفوا هذه الصناعة المجرمة لانها اضحت اعظم سلاح يملكه اليهود لنشر دعاياتهم المضللة الفاسدة"[(44)].

ويمكننا القول في هذا الاطار بان ما اوردته صحيفة الاخبار المسيحية عام 1938 بالقول: بان صناعة السينما اضحت اعظم سلاح يملكه اليهود هو صحيح،

ولكن اعتقد ان هذا ينطبق في فترة العقود الماضية. اما اليوم ونحن نعيش في القرن الحادي والعشرين فان اخطر سلاح يملكه اليهود هو "الاعلام الجديد" بكل اشكاله من فضائيات، واجهزة خلويات، وشبكات الانترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي، واجهزة التنصت والتجسس المتطورة.

اما الاميرال "وليم غاي كار" ففي كتابه "احجار على رقعة الشطرنج كتب "استناداً لعلم اللاهوت والقانون الدولي في جامعة (نغولد شتات) في المانيا ويدعى (آدم وايزهاوبت) الذي اعتنق الديانة اليهودية، اسس في عام 1776م جمعية يهودية من اليهود اطلق عليها اسم (جمعية النوارنيين). ووضع تعليمات كان البند الرابع فيها ينص على مايلي:-

"على النوارنيين الوصول الى السيطرة على الصحافة وكل اجهزة الاعلام الاخرى والسيطرة على الاخبار"(45).

اما الحاخام اليهودي (داشورون) فقد عبر في خطاب القاه عام 1869 في العاصمة التشيكية براغ (تشيكوسلوفاكيا) سابقاً عن اهتمامه بالاعلام بالقول: "اذا كان الذهب هو قوتنا الاولى للسيطرة على العالم، فان الصحافة ينبغي ان تكون قوتنا الثانية".

ومن بروتكولات حكماء صهيون احتوى البروتوكول الثاني عشر على قراراتها منها: ان القنوات الاعلامية يجب ان تكون خالصة في يد الصهيونية، وان اي نوع من انواع النشر والطباعة يحب ان يكون تحت سيطرة الصهيونية ، ما جعل صحافى اوروبا تخضع للسيطرة الصهيونية وذلك قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في بال بسويسرا وذلك عام 1897.

وبذلك نجد ان الصهيونية لا تسيطر على الصحافة في الجانب السياسي فحسب ، بل انها تشمل الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والحياتية ايضاً. فنجدهم قد تسربوا الى الصحافة الهندية كصحيفة (انديا اكسبرس)، كما استطاعوا التغول في مدينة شنغهاي الصينية فسيطروا على اعلامها وصحافتها،

كما سيطروا على المسرح والثقافة والوسائل الاعلامية من مرئي ومسموع. كما سيطروا على الهاتف وبذلك نجحوا في السيطرة على اهم وسائل الاعلام الدولي.

وفي هذا الاطار يمكن القول بان السيطرة والاحتكار الصهيوني لم يؤثر على دول العالم الثالث فحسب، بل اثر ايضا على المجتمع الامريكي واجياله، وبالتالي فان الاستعمار الالكتروني بات يغزو المجتمعات الغربية والمجتمع الامريكي على وجه الخصوص.

ويمكن القول الى ضرورة الوعي والادراك بأهمية الاعلام المحلي لكل دول، والذي يمكنه ان يقف امام التغول الشرس من قبل الاعلام الدولي. ولكن كيف لنا من تحقيق ذلك والاعلام الدولي يسيطر على الاعلام المحلي في كل دولة ويتغول بشراسة من دون رقيب ولا حسيب؟

ففي هذا الاطار يمكن القول ان الاعلام الدولي هو "اعلام صهيوني" بكل ما تعنيه الكلمة يتغول بشراسة للسيطرة على العقول ولا سيما عقول الشباب العربي.

ويمكن تشبيه الاعلام الدولي بـ "طريق الشيطان" الذي يهدف الى الاستعمار من خلال الثورة التكنولوجية، والذي لا يمكن ان يسلك طريقاً من دون ان يمر باخرى. فالصهيونية لا يمكن ان تحقق اهدافها الاستعمارية الا من خلال ممرات رئيسة لا يمكن المرور بواحدة من دون الاخرى وهذه الممرات هي (السياسية – الاقتصادي - الاعلام)

ومن خلال تلك السيطرة السياسية والاقتصادية استطاعت ان تسيطر على العالم، لكنها لم تكتف بذلك، بل سعت الى نوع اخر من الاستعمار الا وهو (الاستعمار الالكتروني) من خلال وسائل الاعلام والاعلام الجديد بكل اشكاله، لترتفع البطالة، ويعشش الفقر، ويتغلل الجهل، وتقل فرص العمل، وترتفع الاجور، وينتشر المرض، وتغيب الثقافة، وتنهار الاخلاق، وتتراجع وسائل الاعلام من حيث المهنية، ويتقلص دور الاعلام المحلي، ويتقلص مضمون الرسالة الاعلامية، وتتراجع الشخصية الاعلامية، وتصبح الصحافة وظيفة اكثر منها مهنة، وتكثر الجرائم،



وتنخفض الروح الوطنية لدى الشباب العربي، واشعال ثقافة الارهاب، وتغيب معاني الانتماء والولاء، وتتدنس الانوثة، وتنهار الرجولة، وتنهار الاسرة، وتتراجع التربية، وتتراجع اسس التعليم الفعلي، وينهار المجتمع. وهذا ما تريد تحقيقه الصهيونية الامريكية من خلال الاعلام الدولي والذي يعتبر اداة رئيسة من ادوات الاستعمار الالكتروني حيث استطاع بابسط الادوات والاجهزة والطرق الوصول الى عقول الشباب والمراهقين واجيال المستقبل لتدميرها والسيطرة عليها من خلال اساليب الدهشة من ثم التخدير من ثم التدمير. ما يعني اننا نعيش استعماراً الكترونياً.

❖ **النفوذ الصهيوني والهيمنة الاقتصادية على العالم**

يقول جون بيركنز John Perkins الذي يعتبر من اهم القادة الاقتصاديين في العالم في كتابه "اعترافات قاتل الاقتصادي" الذي اعتبر قنبلة نووية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية يقول: " إن القتلة الاقتصاديين هم قتلة محترفون، يقبضون أعلى الأجور، ليخدعوا الدول في شتَّى أنحاء العالم، ويسرقوا مليارات الدولارات منها.

ويتحدث في كتابه ان هناك طريقتين لقهر واستعباد امة: الاولى هي بحد السيف والاخرى هي عن طريق الديون، نحن القتلة الاقتصاديون مسؤلون حقاً عن خلق هذه الامبراطورية العالمية الاولى من نوعها. ونعمل بطريقة مختلفة لكن ربما كانت الطريقة الاكثر شيوعاً هي اننا نحدد بلداً لديه موراد تثير لعاب شركاتنا، مثل النفط، وبعد ذلك نرتب قرضاً ضخماً لهذا البلد من البنك الدولي او اي من المنظمات الحليفة. لكن المال لا يذهب لهذا البلد، وبدلاً من ذلك يذهب الى شركاتنا لبناء مشاريع البنية التحتية في ذلك البلد، كمحطات توليد الطاقة والمجمعات الصناعية والموانيء. الامور التي تعود بالنفع على قلة من الاغنياء في ذلك البلد، بالاضافة الى شركاتنا. ويضيف لكنها لا تساعد اغلبية الناس على الاطلاق، وهؤلاء الناس وكل البلد يُترك حاملاً عبء دين ضخماً يستحيل سداده وهذا جزء من الخطة.



ولذلك في مرحلة ما فنحن القتلة الاقتصاديون نعود اليهم قائلين: انتم مديونون لنا بالكثير من المال، ولا يمكنكم دفع ديونكم فقوموا ببيع النفط الخاص بكم بسعر بخس لشركاتنا النفطية واسمحوا لنا ببناء قاعدة عسكرية في بلدكم. وارسلوا قوات لدعمنا في مكان ما من العالم مثل العراق، او صوتوا معنا في تصويت الامم المتحدة المقبل على خصخصة شركة الكهرباء الخاصة بهم، وعلى خصخصة شركات الماء والمجارير الخاصة بهم، وبيعها للشركات الامريكية او شركات دول اخرى[46].

والجدير بالذكر ان مؤلف الكتاب (جون بيركنز) كان نفسه أحد هؤلاء القتلة. وعن كيفية اختيار القتلة الاقتصاديين وعملية تجنيدهم وتأهيلهم للمهمات التي سيضطلعون بها في دول العالم، يقول (بيركنز) استناداً إلى تجربته الشخصية: انه في أواخر ستينيات القرن العشرين، عام 1968، جرى تجنيده من طرف وكالة الامن القومي، عندما كان طالباً في كلية الأعمال، وقد تم ادخاله في سلسة من الاختبارات منها اختبارات للشخصية، واختبارات لكشف الكذب، وعدد كبير من الاختبارات الحساسة الأخرى. حيث اكتشفوا بعد هذه الاختبارات انه مرشح ممتاز ويصلح لان يكون قاتلاً اقتصادياً بأمتياز. حيث جنّدته وكالة الأمن القومي الأميركية (C.I.A) سراً، وعمل معها تحت غطاء عمله في شركة استشارية دولية، فزار أندونيسيا وكولومبيا وبنما والإكوادور والمملكة العربية السعودية وإيران وسواها من الدول التي تمتلك أهمية في الاستراتيجية الأميركية.

ونستنتج مما سبق ان الاستعمار قد اخذ اشكالا اخرى على مر السنين وتطورت ادواته لتصبح اكثر خطورة على المجتمعات فاصبح الاستعمار استعماراً اقتصادياً وتكنولوجياً – الكترونياً هو المسيطر في المرحلة الحالية، حيث يتمثل الاستعمار الاقتصادي بنظام الخصخصة والسيطرة من قبل الامبراطوريات الاعلامية والشركات العملاقة على العالم وبخاصة دول الجنوب.

❖ الاعلام العربي والاستعمار الالكتروني

ان الاستعمار الالكتروني لا يقتصر على استعمار افراد او مجموعات او دول فحسب، بل ان هذا الاستعمار استطاع السيطرة على الاعلام العربي ووسائله ومضمونه وقنوات اتصاله، الامر الذي يجعل الرسالة الاعلامية المقدمة ركيكة ومتخلخلة ومضمونها ضعيف، وبالتالي فان هدف الرسالة المقدمة حتماً سيكون غير مقنع في التأثير على الرأي العام المحلي والاقليمي نتيجة التيارات الاعلامية الغربية التي تعصف به. الامر الذي ربما يفقد الاعلام العربي هيبته امام هذه المواجهة الشرسة.

ولا شك اننا اصبحنا نعيش حروباً من نوع اخر حلت محل الاسلحة وهي الحروب الاعلامية والتي تعتبر من اخطر الحروب التي نشهدها اليوم .

ففي الوقت الذي يسيطر فيه الاعلام الدولي بكل اشكاله وادواته على وسائل الاعلام العربية من خلال الاحتكار والهيمنة، وانتشار الفضائيات والمحطات الاذاعية العالمية الموجهة، اضافة الى انتشار الفضايات العربية والتي يخضع معظمها للسيطرة الغربية، نجد بان وسائل الاعلام العربية محدودة الانتشار وغير قادرة على سيطرة الطوفان المعلوماتي والتكنولوجيا بكل اشكالها وغير قادرة على مخاطبة الانسان العربي والتأثير عليه بصورة ايجابية، كما انها غير قادرة على اقناع الرأي العام العربي بما يجري من احداث وحروب وثورات خاصة على الصعيد المحلي والاقليمي.

وفي الوقت الذي نجد فيه وسائل الاعلام الغربية مسيطرة من خلال وكالات الانباء العالمية والشركات متعددة الجنسيات، نجد ان وسائل الاعلام العربية تتراجع الى الخلف نتيجة لتعرقل جهودها في تحقيق التنمية على جميع الصعد.

وعلى الرغم من ان الاعلام العربي قد واجه صعوبات ومشاكل كثيرة وقفت عائقاً في وجهه، الا ان مجالي الصحافة والاعلام قد شهدا منتصف القرن العشرين تقدماً ملموساً في معظم اقطار الدول العربية. ما ادى لتطوير الصحافة وتقدمها، وتطور الخدمات الاذاعية من حيث امتلاكها لمحطات ارسال قوية ما

مكنها من زيادة ساعات البث الاذاعي. وتقدم التلفزيون وتطوره من حيث الخدمات وشبكات الارسال التي امتدت للمناطق النائية.

وفي ثمانينات القرن العشرين شهدت الاقطار العربية ظهور الفضائيات التي تعتبر مرحلة هامة في حياة المشاهد العربي.

اما تسعينيات القرن الماضي فقد شهدت الاقطار العربية ظهور الانترنت من ثم ظهور الاعلام الالكتروني في معظم الاقطار العربية.

وعلى الرغم من هذا التقدم والتطور الذي شهده الاعلام العربي، الا انه بات اليوم يقف عاجزاً عن فعل اي شيء بخاصة في القرن الحادي والعشرين الذي يشهد طوفاناً خطيرا ليس فقط من خلال وكالات الانباء العالمية والامبراطوريات الاعلامية فحسب، بل من خلال الاعلام الرقمي الالكتروني الذي ظهر حديثاً. كما ان الاعلام الجديد بكل اشكاله يلعب دوراً خطيرا في تراجع الاعلام العربي الى الخلف. الامر الذي يشعرنا حقيقة باننا اصبحنا نعيش عصرا استعماريا الكترونيا بكل اشكاله.

ولا يخفى على احد ان الهيمنة والسيطرة الاعلامية الامريكية والنفوذ الصهيوني بخاصة في المجال الاعلامي والذي يتمثل بالغزو الفكري والطوفان المعلوماتي جعل الاعلام العربي امام تحد كبير ومنافسة كبيرة على الصعد كافة. ونتيجة لذلك فان هذه الهيمنة الغربية واحتكارها لوسائل الاعلام العربية أدى لأن تفقد تلك الوسائل الكثير من استقلاليتها، وبالتالي لم تعد تسيطر على الاعلام الدولي الذي يسعى للاختراق الذهني والسيطرة على العقول وبخاصة الضعيفة.

وكما هو معروف فان وسائل الاعلام العربية المطبوعة والمسموعة والمرئية تخضع للنظام الحكومي في السيطرة والتوجيه والاشراف والرقابة، فنجد ان الاعلام في الدول ذات النظام الشمولي سابقاً تسعى لحشد الناس وراء السلطة والقيادة، بينما نجد في الانظمة السلطوية ان وسائل الاعلام الحكومية تخضع للرقابة وتوجهات الدولة والتماشي مع سياسية الصحيفة او المؤسسة الاعلامية الخاضعة لسياسية الدولة.



ولا شك ان التطور التكنولوجي اثر بشكل سلبي على سائل الاعلام العربية من اذاعة وتلفزيون في عدم تلبية الحاجات الاجتماعية والنفسية والثقافية لمواطنيها، ويعود السبب في ذلك هو اعتماد تلك الوسائل على المواد المستوردة من الخارج سواء اكانت افلام ام برامج ام اقراص مدمجة ام موسيقى ام معلومات ام اخبار، والتي تصل نسبتها الى 60٪. الامر الذي اثر على المستمع وبخاصة المشاهد العربي سواء اكان طفلا ام مراهقاً ام رجلا ام امرأة.

وفي الاشارة هنا الى وكالات الانباء العربية فهي تمثل وجهة نظر الحكومات وتعزيز وجهات نظرها، ولا تهتم بتغطية قضايا الشعب، كما لم تنجح في اختراق الحدود العربية، ويعود السبب في ذلك ان اعلامنا العربي اعلام محلي يخاطب الانسان داخل الدولة، ما عدا الاعلام المصري الذي تعتبر (وكالة الشرق الاوسط – المينا) من الوكالات الاقليمية القوية، والى حد ما الاعلام اللبناني.

نعم، ان دول العالم الثالث لا تزال تقف دور المتفرج وان الاعلام العربي غير قادر على تحليل ما يجري من احداث وحروب وثورات، ولا يزال اعلامنا ضعيف امام الاستقصاء والتحقيقات والتحليلات الصحافي. ولا يزال يقف امام وكالات الانباء العالمية والاعلام الدولي دور المستهلك فقط، ولا يزال ضعيفاً في المشاركة الدولية من حيث الثورة الاعلامية المعاصرة التي تتفجر فيها ابداعات العلماء يوما بعد يوم.

وما يؤكد ذلك ان الحرب الاعلامية الامريكية استطاعت ان تسيطر على الاعلام الدولي والغربي ايضاً، من حيث اتجاه المسير، والتسويق، والاعلانات، والترويج، واللغة.

كما استطاعت ان تُجند الاعلام العربي من خلال بعض المحطات والفضائيات العربية لمساعدة الاعلام الدولي الصهيوني- الامريكي ونقل وجهات نظره وثقافته من خلال الحملات الاعلامية التي تشنها بخاصة حملات (الحرب على الارهاب). فالاعلام الدولي اشبه بمقولة (يقتل القتيل ويمشي بجنازته) فنجد ان الاعلام الدولي قد قاد الحرب على افغانستان، والعراق، والسودان، وجنوب السودان، واقليم دارفور، والحرب على الصومال، وثورات ما يسمى بالربيع العربي.

ففي حرب الخليج قام الاعلام الدولي بتصوير معتقلات غوانتنامو على انها تضم مجموعة كبيرة من الارهابيين الاصوليين في الوقت الذي غض النظر عن ما يدور ويجري داخل سجن غوانتانموا، وكيف يتم تعذيب الاسرى. كما ركز الاعلام الدولي على المقابر الجماعية بعد خلع الرئيس السابق صدام حسين في الوقت الذي غض النظر فيه عن كشف خسائر الجيش الامريكي المرتزقة وفشلهم في خوض المعركة.

كما ان الاعلام الدولي قد غض النظر عن قضايا الانتحار التي كانت تزداد يوماً بعد يوم بين افراد الجيش الامريكي، كما غض النظر عن المشاكل النفسية التي اصابت نسبة كبيرة من افراد الجيش الامريكي. حيث قدم الاعلام الدولي للرأي العام العالمي وبخاصة الرأي العام الامريكي بان الجيش الامريكي في حالة الانتصار وان اوضاعه المعنوية عالية والصحية والجسدية بحالة جيدة ومستقرة.

كما نجد ان الاعلام العربي عجز عن شن حملات مضادة لمواجهة الاعلام الغربي لمفهوم الارهاب والارهابيين، وبالتالي كان خطاب الحرب على العراق مرتبطاً بخطاب الحرب على الارهاب. الامر الذي دفع معظم الدول العربية بالموافقة على قرار شن الحرب على العراق. وهكذا بدأ الاعلام العربي من دون تخطيط او تفكير يكرس المفهوم الامريكي للارهاب.

ومما لا شك فيه ان الاعلام الامريكي الصهيوني قد نجح في اقناع الرأي العام العالمي بخاصة الامريكي على ان العراق لديه اسلحة دمار شامل وان امريكا تحارب الارهاب من خلال ثورات الربيع العربي التي ستغير الانظمة والسياسات وتغير خارطة الشرق الاوسط لصالحهم، وللاسف فان المجتمع الامريكي يصدق ما يقال له وما يقدم له وما يسمع وما يشاهد. ويعود السبب في ذلك الى ان الاعلام العربي غير قادر على ايصال صوت الحق لمسافات بعيدة تتخطى الحدود الجغرافية، وغير قادر على مواجهة الاعلام الدولي والتصدي لمصادر الانباء المسيطرة على العالم.

اما ثورات الربيع العربي فقد ارتبط خطاب الثورات بخطاب محاربة الفساد واسقاط الانظمة الدكتاتورية، الامر الذي دفع بالشعوب العربية وليس الحكومات



بشن حملات وتظاهرات واحتجاجات واعتصامات ضد الانظمة والحكومات، حيث ادى معظمها الى القتل الدموي والدمار وبخاصة ما يحصل في سوريا.

ونجد ان الاعلام الدولي لعب دوراً بارزاً ايضا في ثورات ما يسمى الربيع العربي حيث قام بالتأثير على الرأي العام العالمي والامريكي على وجه الخصوص من خلال التركيز على الارهاب، حيث اوهم الرأي العام الامريكي بانه يقاوم الارهاب من خلال تغيير الانظمة والسياسات في الوطن العربي. حيث استطاع الاعلام الامريكي المتصهين ان يحدد معنى للارهاب بحسب وجهة النظر الامريكية في الوقت الذي عجز فيه الاعلام العربي في تحديد مفهوم الارهاب والارهابيين.

ولكن وعلى الرغم من عجز الاعلام العربي وبخاصة الرسمي في مواجهة الهيمنة والسيطرة الاعلامية من قبل الاعلام الدولي الامريكي المتصهين، وفشله في مواجهة الاعلام الامريكي في الحرب على الارهاب، الا اننا لا نستطيع ان ننكر بان بعض وسائل الاعلام العربية خاصة الرسمية اتبعت الحيادية والموضوعية والمصداقية. فالاعلام المصري كان قوياً في مواجهة المنافسة الشرسة والحملات المضادة التي اتبعتها بعض القنوات المصرية الحرة، كما ان الاعلام السوري كان قوياً في التأثير على الرأي العام المحلي والاقليمي في مواجهة الحرب الاعلامية ومفهوم الارهاب وبيان حقيقته.

ومن خلال ثورات الربيع العربي نجد ان بعض الفضائيات العربية قامت بنقل وجهات النظر الامريكية وتعزيزها وتقديم كل ما يخدم مصالح امريكا ويحقق اهدافها. بحيث لم تلتزم الحيادية والموضوعية والعدالة والتوازن في نقل الاخبار.

وفي هذا الاطار يمكن القول بان الاعلام العربي عموماً فشل في مواجهة الاعلام الامريكي في الحرب على الارهاب كما عجز عن تحديد مفاهيم جديدة .

وعلى الرغم من الحرية والاستقلالية التي تتمتع بها بعض الفضائيات العربية كقناة الجزيرة والعربية وال MBC، الا ان هذا لا يعني انها تتبع الموضوعية والحيادية والعدالة والتوازن في نقل الاخبار. كما ان مساحة الحرية التي تتمتع بها تلك القنوات لا يعني انها تتبع المصداقية والدقة في نشر الاخبار والمعلومات.



وحتى لو تحرر الاعلام العربي من قيود الرقابة فانه من المستحيل ان يتحرر من سيطرة الاعلام الدولي واحتكار اللوبي الصهيوني وبذلك سوف يضل خاضعاً للهيمنة والسيطرة، حيث نجد ان المطالبة بحرية وديمقراطية الاعلام الاعلام العربي هي مجرد شعارات وترويجات فقط لا يمكن تطبيقها بشكل فعلي.

وللاشارة هنا فان الفضائيات العربية كالجزيرة، والعربية، والحرة، وال MBC وغيرها مهما تمتعت بالحرية والاستقلالية فان هذه الحرية والاستقلالية تخدم مصالح الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية، وستظل خاضعة لسيطرة النفوذ الصهيوني الاعلامي.

اذن، لا يوجد حرية في الاعلام العربي سواء الرسمي ام الفضائيات فالاعلام الرسمي يخضع لسياسة الدولة الموجود فيها، والفضائيات تخضع للهيمنة الامريكية الصهيونية. وكلاهما يخضع للاعلام الدولي مايؤكد ان الاعلام العربي عموما يشهد استعماراً الكترونياً بكل اشكاله.

ولا بد للاشارة هنا الى ان الاعلام العربي اشبه بـ (الرموت الالكتروني) الذي لا يمكن تشغيله او اطفاؤه الا من خلال الكونترول، فهو يعاني مشاكل عدة منها الادارية والمالية والقانونية، لكن المشكلة الاكبر والاخطر هي مشكلة التبعية المتمثلة في ضعف الاداء المهني، وتمسكه بادواته البالية على الرغم من التطور التكنولوجي الذي يشهده العالم، كما ان الصمت الاعلامي العربي يلعب دورا بارزا في خلق المعوقات والتأثيرات السلبية على افراد مجتمع.

ولا شك بان الدول العربية تواجه اليوم تحديات خطيرة تتعلق بعدة جوانب وهي:-

- الجانب السياسي
- الجانب الاقتصادي
- الجانب التنموي
- الجانب الثقافي
- الجانب الاعلامي

ويعتبر الجانب الاعلامي من ابرز الجوانب الرئيسة التي تحتاجها المجتمعات العربية، فهي بحاجة الى اعلام صادق ونزيه وشفاف، بحاجة الى اعلام قادر على مواجهة الدعايات والشائعات الباطلة، بحاجة الى اعلام قادر للتصدي للاعلام الالكتروني وقادر للتصدي للاعلام الجديد بكل اشكاله، اعلام قادر على حمل الرؤية الواضحة والاستراتيجية الواضحة، اعلام قادر على حمل رسالة الامة والحفاظ على استقلالها وامنها ومكتسباتها، اعلام قادر للتصدي لظاهرة الاحتكار والهيمنة الغربية، اعلام قادر على تخطي الحدود والحواجز لاصال صوت الحق.

وفي هذا الاطار لا بد لنا ان نتساءل! لماذا عندما نتحدث عن الحرية الصحفية نقارن أنفسنا دوما بالمجتمعات الغربية؟ ولماذا تنقصنا دائما الثقة بأنفسنا ونعتبر الدول الغربية هي الافضل في ممارسة الحرية الاعلامية؟

فهل السياسة الاعلامية التي انتهجتها الدول الغربية وعلى رأسها امريكا اثناء حربها على العراق نعتبرها حرية ؟ هل خطابات جورج بوش عبر وسائل الاعلام الذي تضمنت القضاء على الارهاب واتهام العراق بأنه يملك الاسلحة النووية، وممارسة التعذيب في سجن غوانتنامو وقتل الصحفيين ومنهم مقتل مراسل الجزيرة اثناء الحرب على العراق وغيره من امور كثيرة تجعلنا نثق بالاعلام الغربي ونصدق بأن هذه المجتمعات تتمتع بالحرية؟

اما عن عملية التعتيم والتضليل فيتسأل الكثير من صحفيي واعلاميي دول الجنوب وبالاخص الدول العربية، هل هذه العملية من اخلاقيات المهنة؟ نعم، انها امر ايجابي وجيد في بعض الاحيان فهناك الكثير من الامور والاخبار لا يمكن نشرها، واذ سُمح بنشرها فيجب ان تنشر في الوقت المناسب لأنها قد تؤثر على النظام العام والامن القومي وعلى افراد المجتمع واستقرارهم لأنهم ليسوا على درجة واحدة من الفهم والمعرفة والثقافة والادراك والوعي. وفي هذه الحالة علينا ان نصطاد الطُعم الذي يلائم صيدنا. فعملية التعتيم والتضليل التي نعتبرها شيئا سلبيا على الدوام، في الاعلام العربي تمارسها المجتمعات الغربية اكثر مما تمارسها مجتمعات دول العالم الثالث.

فعلى سبيل المثال: فان الحرب العدوانية على العراق تفسرها الدول الغربية بأنها حرب دفاعية لانقاذ المجتمعات من اسلحة الدمار الشامل، وقد كتب بعض الصحفيين الغربيين بأنها حرب عادلة، بينما تعالت اصوات الصحفيين الغربيين الذين قالوا انها حرب غير عادلة ، لكن وسائل الاعلام الغربي لم تقم الا بتقديم الرأي الاول. أما عن قتل الابرياء في غزة فتفسرها معظم الدول الغربية بأنها حرب لحماية الدول من الارهاب. ولا ننسى ان مؤتمرات وزير الاعلام السابق محمد سعيد الصحّاف الصحافية اثناء الحرب على العراق كانت اكثر صدقا من مؤتمرات (تومي فرانكس) التي اسموها الغرب بكل غطرسة بأنها (منصة الحقيقة). والكثير من النقاد انتقدوا الصحفيين والاعلاميين العرب على موقفهم الصامت حيال الحرب على العراق، ولكن، ان نقف صامتين افضل من ان نشوه الحقائق ونستخدم الاساليب المخادعة والاكاذيب والعبارات المنمقة التي استخدمها الاعلام الغربي.

فعملية التعتيم والتضليل تختلف بمفهومها من دولة الى اخرى ومن نظام الى آخر ، فالدول الغربية تستخدمها بهدف تشويه صورة الشخصية العربية ولتخدم مصالحها الشخصية فقط مرفقة بهذه العملية الاكاذيب والخدع، على خلاف الدول العربية التي تستخدمها لأجل المحافظة على النظام العام ووحدة وتماسك افراد المجتمع في معظم الاحيان. فاعلامنا العربي اكثر صدقا واكثر اخلاقا من الاعلام الغربي.

وهذه الدول وعلى رأسها امريكا لا تعمل على تقليص شخصية الانسان العربي فقط، بل تقليص وتحجيم كل من يقف في وجهها وضد مصالحها الشخصية.

وعلى سبيل المثال: فان امريكا اللاتينية دولة غربية ومع ذلك تهاجمها امريكا وغيرها من الدول الاخرى، اضافة الى تزييف الحقائق والمعلومات الكاذبة وبث الكراهية والحقد في افراد مجتمعها من خلال تقديم الصورة النمطية عن العرب وعن كل من يهاجم مصالحها. فهذه الدول التي ترفع شعار الديمقراطية والحرية تمارس وعلى الدوام الدعاية الاعلامية والاكاذيب.

نعم، هذه هي الحرية بمفهومها الحقيقي التي تتمتع بها الدول الغربية ونقارن أنفسنا ونطالب على الدوام للأسف بأن يكون لدينا حرية كحرية الدول المتقدمة. فهل يستحق الاعلام الغربي ان يطلق عليه اعلام حر وهو لا يتمتع بمفهوم الحرية الصحيحة والسليمة؟

فلماذا لا يوجد لدينا منهج اعلامي واضح يوضح معنى الاعلام الحقيقي لطلبة المستقبل؟ فالاعلام مرتبط بالتاريخ ومرتبط بالسياسة وبكل مجالات الحياة. فكيف يدرس الطالب مساق الاعلام ولا يدرس معه كتاب واحد يتناول تاريخنا وحضارتنا العربية.

فقبل ان نغرس في عقول طلاب الصحافة والاعلام الذين لا يزالون على مقاعد الدراسة المطالبة على الدوام بالحرية الصحفية والاعلامية وتشجيعهم على حمل الشعارات التي تنادي بحرية الرأي والتعبير، يجب ان نعلمهم اولا معنى الحرية السليمة، وقبل ان يتعلموا ان الرقابة شيء سلبي يجب التخلص منه، عليهم ان يتعلموا المعنى الحقيقي للرقابة.

وقبل ان يقتنعوا بأن الاعلام الغربي يتمتع بحرية اكثر من دول العالم الثالث علينا ان نكشف لهم حقائق هذا الاعلام وان نعريه امامهم، وقبل ان يتخرجوا من الجامعات ويطالبوا بحقوقهم علينا ان نغرس فيهم مبدأ الولاء والانتماء، وقبل ان يتعلموا الطيران عليهم ان يتعلموا اولا الوقوف على الارض. وان نغرس في أذهانهم هذه الحكمة (اذا لم تستطع ان تكون طريقاً فلتكن ممرا).

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الاطار اعلامنا إلى اين يسير؟

المبحث الرابع
(الاعـــلام المعـــولم)

لا شك اننا نمر بمرحلة من اخطر المراحل التاريخية التي تحتاج منا اليوم الى توحيد الجهود نحو الارتقاء بعمل اعلامي منظم ومكثف وواع لمواجهة هذا النوع من الاستعمار الشرس الا وهو "الاستعمار الالكتروني". وبما ان وسائل الاعلام التي تعتبر المسؤول الاول عن عملية نقل الرسالة الاعلامية وما تتضمنه من نقل صور الشعوب وثقافتها وصياغة المواقف منها وحولها، فدورها في هذا الاطار يعتبر من الادوار الهامة والخطيرة ايضاً، حيث ان الاعلام يبلور السياسات ويكّون الاتجاهات ويوجه القرارات لدى الدول محلياً واقليماً ودولياً ايضاً، خاصة المواقف الايجابية والسلبية، ومواقف الفرح والحزن، ومواقف التعاطف والنفور ايضاً.

فهل اصبحت المرأة فريسة سهلة فيما تقدمه عبر الفضائيات؟ وهل نحن الذين ندير تلك الفضائيات ام هناك اياد خفية تديرها؟

وما هي مجالات الاتصال ؟ وهل نعتبر الدعاية شكلاً من اشكال الاستعمار الالكتروني؟ وهل نعتبر الاعلام التنموي في غرفة الانعاش ام ما زال هناك امل في احيائه من جديد؟

هذه التساؤلات التي يعتريها الغموض والشك سوف نحاول الاجابة عليها في هذا الفصل حيث يلعب الاستعمار الالكتروني دوراً بارزاً في التأثير على العالم والمجتمعات والدول وبخاصة تكنولوجيا الاعلام والاتصال التي كان لها النصيب الاكبر في التأثير على العقول ربما بشكل سلبي اكثر منه ايجابي.

❖ **الاستعمار الالكتروني والرسالة الاعلامية**

وبداية لا بد لنا ان نقوم بتوضيح مفهوم الرسالة الاعلامية التي تؤثر بشكل أيجابي وسلبي على عقول الافراد والجماهير.

لا شك بان الرسالة الاعلامية تحمل مضموناً وهذا المضمون يمكن ان يكون سلبياً او ايجابياً بالتأثير على الافراد في تغيير اتجاهاتهم واتخاذ قراراتهم بما يؤثر عليهم هذا المضمون الذي تحمله الرسالة الاعلامية في شتى وسائل الاعلام وبكل الاشكال.

ويعتبر المضمون كالحجر الذي نلقيه في بحيرة الماء وكلما كان هذا الحجر كبيراً كلما احدث موجات متسعة. والمقصود انه كلما كان المضمون ايجابياً وهادفاً كلما زاد اتساع الجماهير سواء جماهير الصحف او الاذاعة او التلفاز او جماهير الاعلام الالكتروني.

ويتوقف نجاح الرسالة على عوامل عدة من الضروري مراعاتها والاخذ بها بعين الاعتبار خاصة لما تواجه الرسالة الاعلامية في الوطن العربي اليوم من تحديات امام العولمة والاستعمار الجديد، وهي على النحو الاتي:-

- تحديد الموضوع
- تحديد الهدف
- تحديد الجمهور
- تحديد الوقت
- تحديد الظرف
- المضمون
- اللغة

ان عوامل نجاح الرسالة الاعلامية جميعها مرتبطة ببعضها البعض، فاذا حدث خلل او ضعف في احد عواملها، فربما يؤدي الى ضعف الرسالة وضعف تأثيرها على المتلقي. وكلما كانت هذه العوامل مترابطة ومتكامله كلما نجحت الرسالة الاعلامية في وصولها وتأثيرها على الرأي العام وعلى الجمهور المتلقي.

وعموماً فان الاعلام وبخاصة الاعلام العربي يواجه اليوم تغولاً شرساً من قبل الدول الغربية التي استيقظت الى خطر يهدد قوتها واستمرار سيطرتها على العالم، وتنبهت الى الطرق الاسهل والاسرع في السيطرة على عقول الشعوب في الدول

شبه الهامشية وبخاصة الهامشية من خلال وضع وتكريس امكانياتها كافة لمواجهة هذا التهديد، حيث سعت جاهدة في صناعة اعلام يخدم اهدافها ومصالحها، وبالتالي يجعل الشعوب الاخرى اسيرة لما تسمعه عبر الاذاعات ولما تراه عبر شاشات التلفزيون والفضائيات والسينما، وشاشات الاتصال كالانترنت.

كما انها سعت لصناعة اعلام فضائي عربي بالشكل فقط، انما في الجوهر فهو اعلام غربي لخدمة اهدافها، حيث يقوم هذا الاعلام على نقل صور واحداث لصالح الاعلام الغربي، كما يقوم هذا الاعلام على زرع الفتن والشائعات بين الشعوب والدول العربية نفسها وهذا ما تسعى اليه الدول الغربية وهو تفكيك الاعلام العربي وتفكيك القومية العربية اضافة لزرع الطائفية والعنصرية بين الدول عن طريق تلك الفضائيات.

وفي هذا الاطار يمكننا القول ان بعض الفضائيات العربية ما هي الا آداة من الادوات الاستعمارية الجديدة التي تستخدمها الدول الغربية وعلى رأسها امريكا والصهيونية العالمية، حيث تمتلك الاخيرة شيئان أساسيان وهامان في العالم الا وهما (الاعلام، والمال) خدمة لاهدافها القريبة والبعيدة المدى.

ومن الملاحظ بان وسائل الاعلام الغربية ومن خلال قنواتها الفضائية توجه انتباه الجمهور الى موضوعات معينة، حيث نجد ان التركيز الاساسي في عصرنا هذا التسلية والترفيه خاصة ما يأتينا من برامج غربية تبث عبر وسائل اعلامنا العربي ما يجعل الناس تتخلى عن القضايا والاحداث الكبرى كالقضية الفلسطينية، وثورات ما يسمى بالربيع العربي، والاستعمار بأشكاله المختلفة كالغزو الثقافي ...الخ، بحيث يصبح الجمهور في حالة سلبية من دون تفكير بالواقع الذي يعيشه، لان الثقافة الهابطة والتسلية الرديئة التي يحصل عليها الافراد من خلال اعتمادهم على وسائل الاعلام المختلفة اصبحت أداة الرأسمالية العالمية التي تتحكم في سلوك الجمهور المتلقي بخاصة في دول الجنوب.

ونستطيع القول بان وسائل الاعلام الغربية تستخدم التسلية والترفيه كآداة سياسية لتحقيق اهدافها ومصالحها في عدم اعطاء المجتمع العربي الفرصة

بالتفكير في قضاياه وشؤونه الداخلية والاقليمية، فنجد ان ظهور الانترنت وما يتضمنه من مواقع الكترونية ومنها موقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) عمل على تفكيك الاسرة الواحدة، فنجد ان الاب في اتجاه والام في اتجاه والابناء في اتجاه اخر، ما يؤدي الى عدم مشاركتهم وتفاعلهم في حل مشاكلهم الداخلية وبالتالي عدم القدرة على المشاركة في اصلاح مجتمعهم.

ولا يقتصر دور وسائل الاعلام الغربية في بث رسائلها من تسلية وترفيه للعالم العربي فحسب، بل انها تعمل على بث تلك الرسائل لشعوبها ايضا، بحيث تستخدم تلك الرسائل كآداة تخديرية وترفيهية في آن واحد لتخدير عقول شعوبها من التفكير بالقضايا والاحداث التي يمر بها العالم عموماً والعالم العربي على وجه الخصوص، وهذا ما يسمى باختلال التوازن المعلوماتي بين دول الشمال ودول الجنوب والذي يعتبر بحد ذاته استعماراً الكترونياً.

ومن المؤكد ان الجمهور الذي يركز على وسائل الاعلام التي تقدم له الترفيه والتسلية والمواد ذات الاثارة الجنسية، يفقد حقه في التركيز على حق الحصول على المعرفة والمعلومات التي تساهم في تطوير افكاره وقدراته العقلية واتساع ثقافته، وبالتالي يخسر الاعلاميون احترام الجمهور المتلقي لهم ويفقد ثقته بهم، كما ويخسرون دورهم الرئيس في انهم وكلاء للمجتمع المعلوماتي، وبذلك يصبحون في نظر الجمهور على انهم مجرد ادوات، وبأنهم يعملون بشكل آلي لصالح الشركات العملاقة متعددة الجنسيات التي اصبحت تسيطر على وسائل الاعلام في العالم.

ونلاحظ في عصرنا هذا بان وسائل الاعلام لم تعد آداة من ادوات التغيير والتطوير، بل يمكن القول بانها اصبحت آداة من ادوات المحافظة على الاوضاع القائمة وضد اي حركات او اتجاهات للتغيير والتطوير، وربما يعود السبب بان وسائل الاعلام اصبحت اداة بيد الطبقة الرأسمالية واصحاب النفوذ والطبقة الحاكمة ايضا، حيث نجد ان الاعلاميين والصحافيين اصبحوا تحت رحمة رجال العلاقات العامة وصناع الصور الذهنية والنمطية الذين يتحكمون بالتدفق المعلوماتي

ويسيطرون بالتالي على العقول بخاصة العقول الضعيفة ما يؤدي الى تشتت افكار الجمهور واتجاهاتهم وثقافاتهم بحسب ما يتماشى ومصالحهم واهدافهم. وفي المقابل نجد ان الجمهور الواعي هو الذي يحدد ماذا يريد من خلال ما تبثه وتنشره وسائل الاعلام، وهو الذي يحدد الوسيلة الاعلامية التي يريد منها اشباع رغباته واحتياجاته وليس وسائل الاعلام التي تحدد للجمهور نوع الوسيلة الاعلامية، ويكون الفرد هنا هو نقطة الارتكاز وبؤرة الاهتمام من خلال تحكمه في اختيار وتحديد الوسيلة الاعلامية ومضمون الوسيلة والفائدة منها.

وهناك تأثيرات عدة تحدثها وسائل الاعلام كشكل من اشكال الاتصال الجماهيري على الافراد والجماعات [47]. فما تحدثه وسائل الاعلام ومدى تأثيرها على الجمهور المتلقي يلعب دورا كبيرا ومؤثرا في حياة الناس. فالاستعمار الجديد استطاع ان يؤثر بشكل سلبي بخاصة على العقول الضعيفة والمراهقين والاطفال، ويمكن ان يسمى الى تأثيرات معرفية بما يخدم اهدافه في السيطرة على الجماهير بخاصة دول العالم الثالث.

اما تأثيرات التنشئة الاجتماعية فان الاستعمار الالكتروني باشكاله المختلفة جعل الجمهور الذي يتعرض وبشكل مستمر لوسائل الاعلام يبتعد عما يسمى بـ"القيم" من خلال ما يشاهده من افلام وبرامج وفيديو كليبات وسماع للاغاني لا تتماشى مع تنشئته الاجتماعية ما يجعل الافراد التي تتعرض للوسائل الاعلام تتجه الى قيم اخرى، فتقوم بتقليدها والتمسك والاعتزاز بها وهذه القيم هي قيم غربية –امريكية.

اما الاستثارة العاطفية فيمكن القول بان معظم الفضائيات العربية المجندة لخدمة المصالح والاهداف الامريكية تقوم بنشر معلومات كاذبة وصور مفبركة لتحريك عواطف الرأي العام بخاصة الراي العام العربي. وهذا ما شاهدناه خلال حرب الخليج والاحداث في غزة وما يسمى بثورات الربيع العربي.

اما الاعلام الالكتروني فقد كان له النصيب الاكبر من حيث اعتماد الافراد عليه، بخاصة من قبل فئة الشباب مقارنة بالوسائل التقليدية الاخرى في

تلقيهم للمعلومات واختيار ما يناسب احتياجاتهم ويتماشى مع افكارهم، حيث ان تعرضهم لوسائل الاعلام يأتي بهدف اشباع حاجات معينة يشعرون انهم بحاجة اليها. الامر الذي يحقق لهم طريقة الحصول على مكاسب أكبر بتكاليف أقل في اشباع احتياجاتهم .

كما ونلاحظ ان الاناث يتعرضن للوسائل الاعلامية اكثر من الذكور لان معظمهن يتواجدن في المنزل، بينما الذكور يقضون معظم اوقاتهم في العمل، فنجد ان معظم البرامج الموجه عبر وسائل الاعلام المختلفة تُعنى بشؤون وقضايا واهتمامات المرأة.

ولا يقتصر هذا الاعتماد والاستخدام من قبل الجمهور المتلقي فحسب، بل ان العاملين في مجالّي الصحافة والاعلام فرض عليهم الاعلام الالكتروني واقعا مهنيا جديداً، اذ اصبحوا يعتمدون بشكل رئيس على هذه الوسيلة التي استطاعت أن تفرض قوتها في البيئة الصحفية والاعلامية، وأنّ العمل الصحافي يتطلب التعرض للصحافة الالكترونية، حيث اصبحت وسيطاً فعّالاً، ومكّنت كافة المؤسسات من استخدامها في إرسال واستقبال المعلومات.

ان استخدام التقنيات والاساليب في معظم المواقع الالكترونية واستخدام الاساليب التجارية ادت بلا شك الى زيادة احساس المسؤولين عن هذه المواقع بان تحقيق النجاح في عالم الصحافة يرتبط بقدرتهم عبر استخدام تلك التقنيات بصرف النظر عن مدى مشروعية هذا الاستخدام ومدى اتفاقه مع المبادىء الاخلاقية. اضافة الى ذلك فكثيرا ما تسعى معظم المواقع الالكترونية في مقدمات الخبر الى البحث عن عناوين مثيرة او حشد مجموعة من المعلومات بطريقة مثيرة وجذابة للانتباه ومعظمها يقوم على المبالغة والتهويل والغموض وعدم صحتها. بحيث نجد ان الكثيرين من القراء يكتشفون بعد قراءة المادة المنشورة انهم تعرضوا لعملية خداع بينما تكتفي نسبة كبيرة من قراء الصحف الالكترونية بقراءة العناوين والمقدمات وهو ما يؤدي الى خروجهم بانطباعات واستنتاجات لا تتفق مع مضمون المادة المنشورة. اضافة الى ذلك فان معظم تلك المواقع تنظر وتتعامل مع المتلقين للمادة المنشورة

كمستهلكين او زبائن وليس كمواطنين بحاجة الى خبر صادق ودقيق يخلو من الشائعات والتضليل.

ولست ادري! هل الصحافة الالكترونية عموما تسعى لخدمة المواطن ام لتضليله؟ ولماذا لا يشعر معظم المسؤولين عن تلك المواقع بانهم جزء من هذا الوطن ومن المجتمع عندما يقومون بنشر معلومات مضللة وغامضة وخالية من الصحة ؟

فربما يحتوي الخبر الالكتروني في بعض الاحيان على مجموعة الحقائق الصحيحة والدقيقة او مجموعة من الاقتباسات المنقولة بشكل دقيق عن المصدر، ومع ذلك فان معالجة الاعلام الالكتروني للاحداث عموما يمكن ان يكون مضللاً ذلك ان الحدث يمكن ان يكون مرتبطاً باحداث اخرى وتطورات تاريخية معينة مرتبطة بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهو الامر الذي يؤدي الى تضليل المتلقين ودفعهم الى اتخاذ قرارات معينة.

ان واقع الاعلام الالكتروني عموما يوفر توازنا شكليا زائفا بالتعددية والتنوع في معظم المواقع بهدف جذب الجمهور وتضليله وتشتيت افكاره وهذا حتماً سيؤدي الى فقدان ثقة المتلقيين بمصداقية تلك المواقع وبفقدان احترام الجمهور لهم عاجلا ام آجلاً.

❖ عولمة الاعلام العربي

لا نستطيع ان ننكر بان العولمة ساعدت على ترويج المواضيع المنشورة في الوسائل التقليدية من خلال الانترنت كما حققت توزيع الصحف وانتشارها في كافة انحاء العالم عبر شبكة الانترنت ومكنت من ان يكون الكاتب الصحافي مشهورا على جميع الصعد المحلية والاقليمية والعالمية، لكن في المقابل فان العولمة خلقت اشكاليات كبيرة.

سبق وان شرحنا في الفصول السابقة عن العولمة، وبما ان العولمة تعلب دوراً رئيساً في خلق الاعلام الدولي وتحريك مساره بما يخدم مصالح الدول الغربية في المجال الاعلامي وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية من خلال الشركات

متعددة الجنسيات، فلا بد لنا هنا من بتوضيح تأثيرات العولمة السلبية وذلك على النحو الآتي:-

1- الهيمنة والسيطرة الامريكية:

ان الهيمنة الصهيونية - الامريكة سيطرت على الاعلام الدولي العالمي وعلى مواقع شبكة الانترنت العالمية، وبذلك تأثرت بها دول الجنوب بشكل كبير من خلال الشركات العملاقة المتمركزة في الولايات المتحدة الامريكية

2- تضيق حرية التبادل الثقافي:

اصبحت هذه الشركات اكثر شراسة ومنافسة في السوق العالمي نتيجة تغطيتها لانتاج تكلفتها، حيث تسعى الى توسعة اسواقها وانتاجها المتنوع في دول اخرى كأوروبا وآسيا ودول الجنوب، وهذا التوسع يأتي على حساب شركات الانتاج الوطنية ووكالات الاعلان المحلية في تلك الدول.

3- تقليص الفضاء الاعلامي:

أدت ظاهرة العولمة الى تقليص الفضاء الاعلامي والدور الاعلامي لكثير من الدول بخاصة دول الجنوب بما فيها النامية النامية والدول العربية. وقد لعبت الشركات الاعلامية ووكالات الانباء العالمية والشركات الاعلانية دورا بارزا وكبيرا في تقليص الفضاء الاعلامي في تلك الدول، نتيجة تحكمها في مضمون الرسالة الاعلامية.

4- عامل اللغة :

ان الصفحات والمواقع الالكترونية على شبكة الانترنت معظمها باللغة الانجيزية ما يفرض سيادة هذه اللغة وسيادة المضمون الامريكي على نطاق واسع من العالم. فبينما تفرض الشركات الاعلامية ووكالات الانباء العالمية تسويق انتاجها باللغة الانجليزية على فضاءات الاعلام العالمي.

5- الانفجار المعلوماتي:

ادت تكنولوجيا الاتصال الى انتشار المعرفة ما ادى الى ظهور قوانين جديدة تمنع مقص الرقابة المباشرة وغير المباشرة، وقد ادى هذا الانفجار الى عدم

تركيز واستيعاب المعلومات المقدمة، ولا سيما عدم تركيز الصحافيين والاعلاميين لهذا التدفق الهائل للمعلومات.

6- حتمية التكنولوجيا:

ان حتمية تكنولوجيا الاتصال عموماً عملت على ازالة الحدود الوطنية كما كانت سابقاً وغيرت في السياسات وحققت الاندماجات بين الشركات، حيث ظهرت مؤسسات غنيّة تفوق ميزانية بعض الدول. ولا شك ان الدول العربية والحكومات العربية لم تستجب لتغيير اعلامها لولا هذه الحتمية التي غيرتها بالقوة. ونتيجة لذلك تقلص دور السيادة الوطنية بظهور نظام (الخصخصة)، ما ادى لزيادة ادوار الشركات العالمية المسيطرة اضافة لظهور قوانين جديدة.

والجدير بالذكر ان العولمة ظاهرة لا تستهدف دول العالم الثالث او الوطن العربي فحسب، بل العالم بأكمله بطريقة خبيثة، حيث يعرفها الفرد في الشارع، لكن تثيرها وسائل الاعلام باشكالها المختلفة.

كما نجد ان العولمة تظهر في إحكام الحصار على الدول كالحصار الاقتصادي على العراق عام 1990 وليبيا، والحصار السياسي على غزة وبعض الدول الاخرى، والحصار الاقتصادي على بعض دول آسيا وتهميش بعض دول العالم الثالث سواء بالادوار السياسية او الاقتصادية. ومن خلال ما سبق نستنتج بان العولمة شكل من اشكال الاستعمار الجديد الذي سيطر على الغني والفقير والقوي والضعيف وعلى العقيدة والهوية والقومية والعرقية واللون والعادات والتقاليد والحضارة وانماط سلوكيات الانسان داخل المجتمعات وفي دول العالم. لكن تأثيراتها السلبية كانت الاكثر تغولاً على دول العالم الثالث والعالم العربي على وجه الخصوص. حيث بدأت مع ظهور الشركات متعددة الجنسيات، واتفاقية التجارة الخارجية، وثورة الاتصالات، واقتصاد السوق، والعالم ذي القطب الواحد، ومع نظرية "مارشال ماكلوهان" في ستينيات القرن الماضي الذي تنبأ من خلالها بان العالم سيصبح (قرية صغيرة).

اما الان فيمكن القول بان العالم اصبح غرفة صغيرة وليس قرية صغيرة بخاصة مع ظهور الاعلام الجديد باشكاله المختلفة والذي لعب دوراً كبيراً في التأثير على وسائل الاعلام العربية من خلال تشتيت ذهن المواطن العربي ما بين الحقيقة والتزييف. الامر الذي يتوجب على وسائل الاعلام العربية ان تقوم باعادة النظر في مضمون الرسالة الاعلامية المقدمة لتواجهة هذا التحدي الكبير الذي يقف امامها سواء اكان الاعلام الدولي او التكنولوجيا الجديدة بكل اشكالها.

❖ **الاعلام المعولم**

تعتبر الثورة المعرفية من التحديات التاريخية الجديدة التي بدأت في القرن الحادي والعشرين حيث فرضت نفسها كعنصر اساسي في صناعة المستقبل اساسها " المعلومات" فقط حيث يشهد العالم اليوم تدفقا معلوماتيا هائلا ادى في معظم الحالات الى خلل الاستيعاب وعدم التركيز فيما يبث ويتناقل من معلومات.

وقد لعبت العولمة دورا بارزا وحاسما فيما يسمى بالانفجار المعلوماتي او الثورة المعرفية ، حيث يعتقد البعض ان العالم سيصبح اكثر ديمقراطية من خلال العولمة التي ادت الى كسر الحواجز السياسية وبالتالي استطاعت ان تقرب المسافات بين الدول والشعوب.

ولا نستطيع ان ننكر انه وكما للعولمة ايجابيات فهي تقودنا الى سلبيات كثيرة ايضا كأتجاه العالم الى المزيد من السيطرة المطلقة التي يفرضها المنتج المسيطر على المستهلك من خلال تحكمه بمصادر المعلومات وسيطرته على شركات الانتاج العمالقة، حيث لم يعُد مفهوم الاستهلاك مفهوما تقليديا مقتصرا على السلع والبضائع او الطاقة والمياه وغيرها ، بل اتسع هذا المفهوم ليتحول لا شعوريا الى ما يُعرف بمفهوم "الاستهلاك الاتصالي".

ولا شك ان القرن الحادي والعشرين شهد ثورة اتصالية متشعبة وسريعة ساعدت على استثارة فضول جميع البشر واخبارهم وتثقيفهم ايضا، ولكن على اية حال فان الاستهلاك من حيث جوانبه الاتصالية ترك آثاره البعيدة في الكيان الاقتصادي والاجتماعي وفي التقاليد والآداب العامة وفي المعايير السلوكية المختلفة



على المجتمعات كافة وان اختلف هذا التأثير الاستهلاكي من مجتمع لآخر، ولا يمتد تأثيره البعيد على أذواقنا وعواطفنا وحسب بل وحتى انماط تفكيرنا وعلاقتنا الاجتماعية ونظرتنا الى الحياة.

وهذا التأثير الذي يمارسه الاستهلاك كوسيلة اتصالية من الصعب تحديده. فهناك فجوة عميقة وكبيرة بين دول الشمال الغنية ودول الجنوب الفقيرة، لذا فان التسلط والهيمنة هي العلاقة التي تحكم المنتج والمستهلك وبالتالي تفرض الدول الغنية ومواردها واحكامها وادراكاتها وثقافاتها على المنظومات الثقافية في دول العالم الثالث.

ومن اهم المخاطر والتحديات التي تواجهنا في الوقت الحالي هي المخاطر الناجمة عن شيوع النموذج الاستهلاكي في الوطن العربي من اقراص وفيديوكليب وافلام وألبسة ومجلات وحتى بعض المواقع الالكترونية وغيرها، ما يدفعنا للتخوف على مستقبل ثقافتنا العربية ولغتنا العربية، حيث ان هذا النموذج الاستهلاكي يسعى الى خلخلة وتمزيق بنى الثقافة العربية بما تحمله من قيم وانماط وقواعد عن ذاتية ثقافتنا وخصوصيتها، حيث نجد ان النموذج المصنوع المقدم قد اصبح هو البديل المُعاش وهذا نتيجة سيادة المنتج الشمالي (دول الشمال) المسيطر على عبودية المستهلك الجنوبي (دول الجنوب) في ظل تردٍ واضح للوضع السياسي والاقتصادي المُعاش في الوطن العربي.

ولعل الحديث عن الاعلام المعلوم يحتاج الى كتاب والشرح فيه يطول، وقد سبق ان شرحنا في الفصول السابقة عن العولمة وتناولنا اهم جوانبها الرئيسة، وما يهمنا في هذا المبحث هو توضيح اثار العولمة على الاعلام وبخاصة الاعلام العربي.

وللاعلام اهداف عدة مدروسة ومحددة لا بد من ذكرها وهي: هدف اعلامي، وهدف اغرائي، وهدف ترفيهي. فالاول يخاطب عقل الانسان اما بطريقة ايجابية او بطريقة سلبية، حيث يهتم بإخبار الناس (اجتماعياً وسياساً واقتصادياً ...الخ) سواء اكان الخبر مسموعاً او مقروءاً او مشاهداً او الكترونياً. اما الثاني فهو يخاطب عاطفة الانسان، من خلال ما تنشره وسائل الاعلام من معلومات واخبار



وبرامج اجتماعية تتعلق بحياة الانسان وقرب المكان ومشاكله وافراحه...الخ.
والهدف الثالث فهو ترفيهي لازالة شحنات التوتر والاضطراب التي يتعرض لها الفرد نتيجة تعرضه للهدف الاول والثاني عبر وسائل الاعلام المختلفة.

ولكن في عصرنا الحالي فان الاعلام قد تغيرت اهدافه المعتاد عليها المتلقي، لتصبح في بعض وسائل الاعلام اهدافا بغرض التشويش على العقل، واحداث الفوضى ما بين الافراد والجماعات وما بين الدول ايضاً، وقد يتحول في بعض وسائل الاعلام ليصبح هدفا لنشر الاخبار والمعلومات المضللة كا هو الحال في الاعلام الالكتروني واغلب القنوات الفضائية.

والاعلام اداة فعالة وخطيرة على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي لا يستغنى عنها بين الشعوب والمجتمعات على حد سواء، والتي من المفترض ان تعمل على انتاج الوعي بين الناس.

❖ **الرسالة الاعلامية المعولمة**

مع تطور الثورات الثلاث التي مر بها العالم ولا سيما في القرن الحادي والعشرين، فقد شهد عصرنا الحالي انفجارا معلوماتيا هائلا نتيجة الثورة التكنولوجيا التي انبثق عنها اعلام الكتروني ادى الى انبثاق اعلام جديد هو الاعلام الرقمي الالكتروني.

فالتطورات التي طرأت على ادوات الاعلام ووسائله المختلفة اضافة الى التطورات والابتكارات النوعية الهائلة، ومع تعدد وسائل الاعلام وتنوعها اصبح الباب مفتوحاً على كل الاحتمالات بحيث اصبحت هذه الوسائل اكثر قدرة على الاستجابة مع الظروف والتحديات والمعوقات التي يفرضها الواقع الاعلامي بخاصة وان الاعلام اليوم اصبح لغة عصرية وحضارية لا يمكن الاستغناء عنها او تجاهلها ما يتطلب فهمها واستيعابها من خلال امتلاك مقوماتها وعناصرها ومواكبة التطورات المختلفة التي يشهدها عصرنا الحالي ما يدفعنا بان نقف اليوم لنفكر بطريقة اخرى لا تقتصر على حفظ المعلومات والاخبار سواء اكانت شفوية ام كتابية ام سمعية ام مرئية..الخ فحسب بل جعلنا نعيد النظر في مسألتين الاولى: ماهية وابعاد "الرسالة

الاعلامية" المقدمة، والثانية: العنصر الهام الا وهو "مرسل" هذه الرسالة ومدى مهنيته في التعامل معها، والجهة القائمة على ارسالها.

وقد اصبحت الشركات العملاقة اكثر شراسة وتوغلا في العالم من خلال منافستها في السوق العالمي، حيث تعمل على تسويق برامجها واقراصها...الخ باللغة الانجليزية، كما وتعمل على تسويق ثقافتها المتنوعة. وهذه الامور كلها اثرت ليس على الرسالة الاعلامية المقدمة للجمهور في دولنا العربية فحسب، بل على الوسيلة الاعلامية والمرسل ايضا، بحيث اصبحت الوسائل الاعلامية جميعها معولمة والتي تشمل المحطات الاذاعية والقنوات الفضائية ووسائل الاتصال الكترونية والرقمية ايضا.

كما ان المرسل اصبح هو ايضا "معولم" من خلال استجابته لنشر وبث كل ما يقدم له ويُسوّق. اضافة الى ذلك فان المستقبل ايضا اصبح معولماً من خلال ما يستقبله من رسائل اعلامية معولمة.

ونجد ان الاغاني والفيديو كليبات العربية التي تُبث عبر القنوات الفضائية العربية اصبحت تأخذ الاتجاه والمسار الغربي من خلال ما نشاهده من محتويات معظمها خلاعة ولا يتناسب مع قيمنا واخلاقنا، بحيث اصبح تسويق الفيديو كليبات لاجل الربح فقط وليس لاجل امتاع الاذن والنفس. وهنا يمكننا القول بانه وللاسف فان معظم المؤسسات الاعلامية العربية تعمل على تشجيع الثقافات الغربية وتسمح بتوغلها في اعلامنا العربي، ونتائج هذا التوغل هو ازدياد الخلل والضعف في الرسالة الاعلامية العربية التي اصبح معظمها رسائل اعلامية "معلومة" وربما مشوهة ايضا.

❖ **الرسالة الاعلامية المعولمة وتأثيرها على المرأة العربية**

يبدو ان الكثير من الرسائل الاعلامية في العالم العربي اصبحت موجهة للمرأة للعربية اكثر من اي فئة اخرى في المجتمع، حيث نجد ان معظم الدعايات والاعلانات التلفزيونية تستهدف المرأة بالدرجة الاولى، كدعايات الملابس، والمستحضرات التجميلية، والعطور، والمأكولات، وادوات التنظيف، والادوات المنزلية، والاثاث والزينة... الخ.



كما ونجد ان المرأة العربية تجذبها الافلام والمسلسلات بخاصة العاطفية وهذا ما نلاحظه خلال شهر رمضان المبارك الذي يعرض مسلسلات تشبع حاجات المرأة اكثر من الرجل، اضافة الى عرض البرامج المتعلقة بالاطعمة ووجبات تحضير الافطار والتي تشبع حاجات المرأة ورغباتها.

كما نجد ان برامج الابراج تستهدف المرأة اكثر من الرجل، عدا عن البرامج التركية التي تعرض على القنوات الفضائية والتي تستهدف المرأة اكثر من الرجل، كون المرأة بطبيعتها عاطفية وربما تعمل تلك المسلسلات على اشباع الحاجات العاطفية لدى المرأة بخاصة المرأة ربة المنزل او المرأة غير المثقفة، ويمكن القول ان معظم البرامج والمسلسلات والافلام المقدمة ربما تكون غير هادفة بما يؤدي الى اختلالات القيم عند المرأة التي تتعرض اكثر من غيرها لوسائل الاعلام.

ويتبين ايضا ان البرامج السياسية لا تجذب اهتمامات المرأة عموما والمرأة غير المثقفة على وجه الخصوص. كما وان البرامج الاقتصادية ايضا لا تجذب اهتمامها والبرامج الرياضية كذلك، فهي تجذب الرجل العربي اكثر مما تجذب المرأة العربية.

❖ **الاعلام المعولم وتاثيره على المرأة العربية**

لا شك ان اجهزة الاعلام لا يمكنها بث الرسائل الاعلامية عن المرأة الا اذا كانت الدولة مؤمنة بقضايا المرأة، وتستخدم الحياد والعدالة ما بين صورة الرجل وصورة المرأة. كما ان الدولة المؤمنة بقضايا المرأة يمكنها من خلال اجهزتها الاعلامية الحكومية ان تنشر المساواة الفعلية بين الجنسين في المجالات كافة من خلال نشر وبث الرسائل باشكالها المختلفة بحيث تكون تلك الرسائل ايجابية من شأنها تغيير الوعي المجتمعي فيما يتصل بصورة المرأة ، وبذلك تكون وسائل الاعلام قد نجحت في ارساء الصورة الذهنية بدلا من الصورة النمطية التي اعتاد عليها الكثيرون.

ونجد ان الكثير من الدول العربية لم تقم بنشر رسائل اعلامية محددة وواضحة وموحدة فيما يتصل بالمرأة. حيث نجد ان بعض الدول تنحاز في نشر صورة

الرجل الايجابية اكثر من نشر صورة المرأة، وهناك الدول التي لا تعطي اهمية للمرأة في وسائل الاعلام واذا ارادت نشر صورة المرأة في الاذهان فتكون للاسف سلبية اكثر منها ايجابية، وهناك بعض الدول التي تعمل بورة عادلة ومحايدة ما بين نشر نشرة الرجل والمرأة على حد سواء، بحيث تعطي صورة ايجابية عن المرأة في الاذاهان. ونجد ان المرأة في بعض الدول العرية تظهر بكل حرية عبر وسائل الاعلام بينما تجدها في الدولة العربية الاخرى لا تظهر واذا ظهرت تكون مقيدة بالالاف الشباك المعقدة من حيث اللباس والسلوك وطريقة الجلوس ونوعية البرامج المقدمة ومدى تفاعلها مع الرجل ومدى تفاعلها ومع الجمهور عبر وسائل الاعلام المختلفة... الخ. وربما يعود السبب الى اختلاف الاوضاع الاجتماعية، واختلاف درجات الحرية الاعلامية والتعددية والتباين في الاراء من دولة الى اخرى، واختلاف الفكر والتنشئة الاجتماعية، اضافة الى مدى حجم وسعة الانفتاح الذي يختلف ما بين دولة عربية واخرى.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل اصبحت المرأة العربية فريسة سهلة فيما تقدمه عبر الفضائيات؟

لا شك ان ما نشاهده بخاصة عبر الفضائيات العربية يؤكد ان المرأة العربية اصبحت فريسة سهلة للاعلانات وللبرامج التي تخلو من اي هدف، واصبحت فريسة سهلة للتسويق الاعلامي، وفريسة سهلة للظهور عبر الشاشات الفضائية. فكيف لنا ان نقنع اطفالنا وشبابنا واجيالنا القادمة بان المرأة صانعة المستقبل وان وراء كل رجل عظيم امرأة ؟ ونحن للاسف اصبحنا نشاهد المرأة عكس ذلك تماما.

ولو امعنّا النظر قليلا وتابعنا البرامج التي تبث عبر الفضائيات العربية لادركنا ان معظم النساء العربيات اللواتي يظهرن في البرامج بخاصة غير الهادفة وعبر معظم الفضائيات العربية اصبحن سلعة رخيصة من خلال ما تقدمه المرأة من سلوكيات لا تمت لقيمنا وعاداتنا وتقاليدنا العربية الاصيلة. فنجدها ترتدي الثياب الفاضحة لجلب النظر ولجلب اكثر عدد من الحضور، كما نجدها تتصرف تصرفات غير لائقة كالرقص وغيرها من السلوكيات الاخرى من دون مراعاة ومن

دون احترام للمشاهدين، كما انها تقوم بافعال وسلوكيات غير لائقة لا تناسب شخصيتها كأمرأة عربية للاسف.

كما نجد ايضا ان اغلب الفضائيات العربية اصبحت تبحث عن النساء الاكثر جاذبية لا الاكثر ثقافة وعلماً حيث تقوم باستخدامهن لتسويق البرامج من خلال ما تقدمه تلك المرأة عبر الفضائيات والتي تُعد فيما بعد وللاسف "اعلامية" برغم بعدها كل البعد عن العمل الاعلامي الحقيقي.

كما نجد بان المرأة اصبحت سلعة وفريسة سهة فيما تقدمه من دعايات واعلانات، حيث نجد ان الفضائيات تستغل جسد المرأة في معظم الاحيان لنشر وتسويق برامجها من خلال الدعايات والاعلانات التي تقوم بتسويقها المرأة، حتى انها اصبحت تقوم بتسويق المنتجات الخاصة بالرجل كالمشروبات والسيارات والعطور ... الخ.

وربما ما تقوم به المرأة العربية عبر الفضائيات من برامج ودعايات واعلانات هو تقليص لقيمتها الانثوية وقيمتها كأمراة عربية من خلال استخدام جسدها عبر ما تقدمه من اعلانات متحيزة جنسياً. حيث نجدها في صورتها الجنسية المفرطة سواء بالفضائيات او بالمجلات او عبر الصور الترويجية من شفاه مفتوحة وعيون مثيرة وكأنها توحي للمشاهد او تقول للرجل (انا ملكك).

اضافة الى ذلك فان البرامج الترفيهية التافه التي تحتل مساحة كبيرة في فضائنا العربي والمجلات والصحف اليومية ايضا ساعدت على تحطيم شخصية المرأة من خلال المساحات الاعلانية التي تنشرها الصحف والمجلات وما تتضمنه من اكسسوارات ومكياج وازياء وبرامج للتخسيس ... الخ تخص المرأة، على الرغم من هناك الكثير من المواضيع والاخبار الثقافية والاجتماعية المتعلقة بالمرأة يمكن نشرها لاشعارها بأهميتها في المجتمع.

وفي هذا الاطار تكمن اهمية وسائل الاعلام العربية في محاولة السعي في اعادة بناء شخصية المرأة العربية من خلال التركيز والاهتمام ببرامج تقوم بالتركيز على شخصية المرأة في كيفية بناء المجتمع وتربيته للارتقاء بفكر المرأة نحو آفاق

اشمل وأبعد، بحيث تكون العلاقة ما بين وسائل الاعلام والمرأة علاقة دائرية مستمرة نحو التعليم والتربية والتثقيف.

ويمكن القول بان الاعلام عموما يساهم في تقليص صورة المرأة الايجابية ويعمل على عدم المساواة بين الرجل والمرأة حيث ساعدت هذه الفضائيات على ان المرأة مجرد سلعة لتلبية رغبات الرجل. كما وتوحي معظم الاعلانات والفيديوكليبات بان المرأة ترغب في جذب الرجل وان الرجال جميعهم يرغبون المرأة بهذا الشكل وبهذه الصورة.

وربما تركت وسائل الاعلام المختلفة آثارا سلبية وسيئة في آن واحد وبالغة الخطورة على شخصية المرأة العربية من خلال ما تمثله تلك الوسائل من هيمنة وسيطرة وانتشار واسع المدى على المجتمعات والدول. وهذه الاثار تتفاوت من حيث:-

- الكم والنوع
- ما بين مجتمع واخر
- ما بين امرأة عربية واخرى
- اساليب الاعلام من حيث التأثير على افراد المجتمعات
- نتائج تاثير الاعلام: نتائج مباشرة من حيث التأثير قصير المدى، او نتائج طويلة المدى من حيث التأثير المتراكم الذي يعمل على تغيير المعتقدات والقناعات والمواقف.
- نماذج الاعلام المختلفة التي تؤثر على المرأة العربية، فقد اثرت تلك النماذج على المرأة من حيث، شخصيتها وانتمائها وقيمها ومبادؤها من خلال التقليد الاعمى والتبعية والهيمنة الغربية المسيطرة، اضافة الى تكريسها لنموذج المرأة الغربية التي تحاول وسائل الاعلام جاهدة ترسيخه في الاذهان .

كما ان الفراغ الفكري الذي تعاني منه المرأة العربية يلعب دورا خطيرا بحيث ادى بها لان تكون مجرد سلعة تسويقية في وسائل الاعلام نتيجة تأثرها

بالنماذج الغربية التي ساعدت وسائل الاعلام المختلفة على تغولها وسيطرتها على مجتمعاتنا ما جعلها في حالة من عدم التوازن لنظرتها لما يجري حولها وتقيمها للامور، كما ان هذا الفراغ جعلها تعيش وتفكر بطريقة عشوائية ما ساعد على تهميش الفكر ووضعها في حلقة مغلقة من الفراغ الفكري والنفسي.

ونستنتج مما سبق بان ما تقدمه وسائل الاعلام المختلفة للمرأة وبشكل سطحي اصبح يسيطر عليها وعلى تفكيرها وسلوكها ايضا بحيث اخرج الاعلام المرأة العربية وحرمها المشاركة الفعلية والتي ربما تكون المرأة في امس الحاجة لها خاصة في ظل ما تشهده من تطورات تكنولوجية واستعمار الكتروني الذي غير الكثير من المفاهيم والقيم والمعتقدات واثر بشكل سلبي اكثر منه ايجابي على شخصية المرأة العربية وكيانها.

❖ **الرسالة الاعلامية وتأثيرها على المراهقين والافراد**

لقد تأثرت الكثير من المحطات الاذاعية والفضائيات العربية تأثرا كبيرا بالاعلام الغربي من خلال ما نشاهده من تقديم محتوى برامج شبيهة بالبرامج المقدمة في الاعلام الغربي، بخاصة الاعلام الامريكي المسيطر. كما وان معظم المؤسسات الاعلامية العربية تقوم على شراء برامج اطفال لا تتعلق بواقعنا العربي ولا بقيمنا وعادتنا وعقيدتنا، والتي تزرع في نفوس اطفالنا النزعة العدوانية والعنف والضرب، كما وتجعل اطفالنا يسلكون سلوكا غريباً عجيباً بتقليدهم الاعمى لكل ما يأتينا من الغرب.

ولا شك ان الاطفال والمراهقين والشباب حتما سيتأثرون بما تسوقه لنا الشركات متعددة الجنسيات المتمركزة في كل من نيويورك وهوليود من نشر ثقافات غربية عبر وسائل الاعلام وما تقدمه من برامج وفيديو كليبات وغيرها.

كما ان الفضائيات العربية تؤثر بشكل سلبي على الاطفال والمراهقين والشباب ما يؤدي الى خلق اضطرابات اجتماعية لهم، وتعمل على عدم الاستقرار الفكري وعدم الاستقرار في علاقاتهم الاجتماعية وتعطيل تنمية الروح الجماعية، بحيث تسعى من خلال ما تنشره الى تعزيز الروح الفردية والاستهلاكية لديهم، من

خلال انبهارهم بكل ما هو غربي، الامر الذي يمكن ان يكون على حساب الهوية الثقافية ما يؤدي الى تراجع الانتماء الوطني وازدياد الاحباط واليأس في نفوسهم.

وقد ظهرت نظريات عدة تتعلق بـ (العنف) ومنها:-

1- نظرية التطهير (التنفيس):

يقصد بهذه النظرية هو ان مشاهدة العنف عبر التلفزيون يبعد الفرد ويصرف عنه الاحباط والشعور بالعداء الموجود بداخله.

ويعود التنفيس بحسب المؤيدين لهذه النظرية والذين يعتقدون ان مشاهدة افلام العنف على التلفاز تسمح للمشاهد بتصريف احباطه من خلال المعايشة الخيالية بدلا من الممارسة الواقعية، وبالتالي فإنها تجربة مريحة للمتلقي حيث تؤدي الى تصريف غضبه من خلال التماهي مع المعروض على الشاشة، وتقبل السلوك العنيف والتمتع بهذه التجربة التي تصبح مقبولة اكثر مع الوقت(48).

وتستند هذه النظرية الى ان مبدأ الفن يعمل على تطهير العواطف والمشاعر الانسانية والسمو به، وهو مبدأ معروف في الفن والادب، وتستند اليه نظرية المأساة والتراجيديا في الادب الاغريقي القديم(49).

ووفقا لهذه النظرية فان مشاهدة العنف تعمل كصمام امان يصرف الاحباط والشعور بالعداء وتكون نتيجته مماثلة للكميات التي يوجهها المرء لكيس مملوء بالهواء(50).

2- نظرية اثارة الحوافز العدوانية:

يقصد بهذه النظرية ان مشاهدة العنف على التفاز ترفع من حدة الاثارة النفسية والعاطفية عند المتلقي، ويحتمل حدوث سلوك عدواني وذلك بحسب مستوى الاحباط التي يشعر بها المتلقي ومسوغات العدوانية التي تقدمها البرامج عبر وسائل الإعلام المختلفة.

ونجد ان برامج الكرتون وبرامج الاطفال المقدمة لم يعد مضمونها يتضمن التسامح والمحبة والهدوء والسلام، بل اصبح مضمونها عكس ذلك وهذا

يعود الى سيطرة الاعلام الغربي والشركات العملاقة على برامج التسلية حيث اصبحت تسوق كل ما يصنع الاثارة والعدوانية بخاصة عند الاطفال.

3- نظرية التعلم من خلال الملاحظة:

تستند هذه النظرية الى ان الافراد المتلقين للرسالة الاعلامية عبر التلفزيون بامكانهم تعلم العدوانية وذلك بتميط سلوكياتهم بحسب سلوكيات الشخصية المعروضة التي قد تؤثر فيهم من خلال عوامل عدة منها: مدى التشابه بين واقع الحياة والواقع المعروض عبر التلفزيون، ومدى حجم المعارضة الاجتماعية التي سيحصل عليها نتيجة ممارسته للعدوانية.

وبما ان ان التنشئة الاجتماعية الاولى لدى الفرد في مراحل طفولته المبكرة تعتمد على التعلم من خلال الملاحظة والمراقبة، فان هذه النظرية تعتبر هامة من حيث تأثير وسائل الاعلام من خلال نشر العنف.

وترى هذه النظرية ان استمرار الفرد لمشاهد العنف عبر الفضائيات سوف تودي به الى الشعور باللامبالاة وعدم الشعور بالالم والاحساس بالحزن والمعاناة.

ونلاحظ ان بعض الفضائيات ووسائل الاعلام تعتمد معظم برامجها واخبارها على العنف والاستمرار في بث الصور والفيديوهات المتعلقة بالعنف بهدف توجيهها الى المجتمعات والدول المستهدفة. فعلى سبيل المثال، قامت بعض الفضائيات بنشر مشاهد كثيرة تتعلق بالقتل والعنف عبر شاشات التلفاز اثناء حرب الخليج وثورات الربيع العربية والاحداث في غزة بهدف زرع شعور اللامبالاة في نفوس الشعوب العربية.

4- نظرية التعزيز:

ترى هذه النظرية ان العنف المتلفز يعزز انماط المسلوك الموجودة اصلاً عند المشاهد. كما وترى ايضا ان المعايير والقيم وسمات شخصية الافراد واصدقاءهم تلعب دورا كبيرا في تعزيز العنف لديه، وان هناك فئة قليلة تتأثر بالعنف لان شخصيتهم غير ثابتة وغير مستقرة لذا فان العنف عبر الشاشة تحركم العدوانية الموجودة اصلا في داخلهم وبالتالي يعززها.

ويمكن القول بان نظرية التعزيز تعمل على تعزيز العنف الكامن او الساكن لدى المرء، بحيث نجد بان الكثير من وسائل الاعلام والقنوات الفضائية تقوم على مبدأ نظرية تعزيز العنف الموجود بطبيعته داخل معظم الافراد، فبدلا من تحويل العنف الى هدوء وسلام داخل نفوس الافراد تقوم تلك الفضائيات ومن خلال ما تنشره من برامج على تعزيز العنف النفسي الموجود داخل الانسان وبالتالي تساعد على تفجير طاقاته العدوانية.

5- نظرية التقليد:

المقصود بهذه النظرية ان افراد الشاشة يقومون بتقليد شخصيات البرامج المتلفزة وابطال الافلام او مقدمي البرامج او المشاهير..الخ عبر تعرضهم للشاشة الصغيرة او الانترنت.

ونلاحظ ان البرامج المقدمة للاطفال عبر الفضائيات مليئة بمضمون العنف واشكاله، حيث تدفع بالاطفال المتلقين لتلك البرامج بالقيام بتقليد بطل البرنامج او الفلم، فاذا كان يحمل آلات حادة فسوف يقوم الاطفال المتلقون للرسالة بتقليده في حمل مثل تلك الالات او ما يشابهها، واذا كانت بعض ادوار الشخصيات تقوم على الضرب فان الاطفال ربما يقومون بضرب بعضهم البعض، وهذا ما يثير لديهم الاحساس بالعدوانية تجاه الاخرين.

6- نموذج دورة العنف:

ويقصد بهذا النموذج ان العنف لا يمكن ان يولّد الا العنف وهي اشبه بالقانون الطبيعي (لكل فعل ردة فعل).

فعلى سبيل المثال، قد تقوم احدى الوسائل الاعلامية بتصوير تظاهرة تتضمن العنف والهجوم العشوائي بالعصي ..الخ، فحتما فان ما تقوم بنشره تلك الوسائل الاعلامية من مشاهد ربما تكون نتيجته ردود افعال مختلفة، كأفعال عنيفة تقوم بها فئة معارضة للنظام، او تعرض رجال الامن للغدر، او اصداء اجتماعية ساخطة او ردود افعال مشينة من قبل فئة معارضة وخارجة عن القانون في مجتمع ما.

وعموماً يمكن القول بان القنوات الفضائية ربما يعتمد معظمها على نظريات العنف باشكاله المختلفة وذلك من خلال تأثير الرسالة الاعلامية على الجمهور المتلقي من خلا ما تشره من اخبار وما تقدمه من برامج.

◆ **مجالات الاتصال الجماهيري**

قبل ان نتناول الاعلام التنموي، لا بد لنا من توضيح مجالات الاتصال الجماهيري للاعلام وهي خمسة مجالات وما يهمنا في هذا الاطار الاعلام التنموي، والدعاية والاعلان والرأي العام، على النحو الآتي:-

وسنقوم بملخص عام عن كل واحدة من تلك المجالات ونبدأ اولا بالاعلام التنموي وذلك على النحو الاتي:-

اولاً: الاعلام التنموي ... في عصر العولمة

تعتبر التنمية قضية تعتمد على جهد الشعب نفسه في شتى المجالات وتتم في اطار الحضارة القومية التي تنبع من الارادة الوطنية الحرة. ولا تكتمل التنمية الحقيقية الا بالوعي السياسي والرغبة الحقيقية في التغيير الاجتماعي الذي يشارك فيه ابناء المجتمع جميعا مشاركة ايجابية وفعالة. ولا شك بان مهمة التنمية مهمة حضارية فتطوير القطاع الزراعي والصناعي والرعاية الصحية، والتعليم والارشاد الاجتماعي والتثقيف المروري، والمشاركة الايجابية في الحياة جميعها تدخل في نطاق واحد وهو خلق شخصية انسانية متطورة وعصرية، كما وتعمل على تحقيق خطط التنمية ورفع الانتاج، وتطوير التكنولوجيا المحلية.

والتنمية الحقيقة لا تقتصر على المدن فحسب، بل من الضروري ان تمتد الى القرى والمحافظات وان تقوم على تطوير البنى التحتية فيها، وتثقيف الناس وتوفير الخدمات المختلفة اي بمعنى التنمية الشاملة لمختلف المجالات وألا تقتصر على منطقة او محافظة على حساب محافظة او منطقة اخرى.

والتنمية الحقيقية لا تتوقف عند الامور المادية كتأمين الادوية والمستلزمات الطبية لافراد المجتمع بقدر ما تشمل الجانب المعنوي كتثقيف المجتمع على كيفية استخدام تلك الادوية وكيفية الوقاية الصحية. والحال كذلك في القطاع الزراعي

فالتنمية لا تتوقف على كيفية رفع انتاج المزارع والمحاصيل الزراعية وشرائها واستخدامها بقدر ما تتوقف على كيفية انتاج محاصيل زراعية طبيعية خالية من مواد مهدرجة والتي اغلبها تباع قبل موسمها.

وكي تنجح التنمية بخاصة في الدول النامية فلا بد ان تعتمد تلك الدول على تضامن الشعوب وتبادل الخبرات والتعاون الدولي والمعونات الدولية بشرط ان تضاف كل مساعدة خارجية ومعونة خارجية الى جهد ابناء البلد الذي يسعى للتنمية، لا ان تكون بديلا عنه.

وبما ان التنمية هي مشكلة انسانية لا بد من معالجتها والسعي الى ايجاد حلول جذرية لها تجمع جوانب التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بحيث تشكل فيما بينها نسيجاً واحداً يشترك فيها الناس كلهم على اختلاف فئاتهم. والجدير بالذكر ان ثورات ما يسمى (الربيع العربي) قد اثرت على التنمية وتطويرها في الدول العربية، بخاصة الدول التي شهدت الثورات التي خلفت وراءها الدمار وتخريب البنى التحتية، حتى ان الدول المجاورة كالاردن وغيرها من الدول فاذا لم تطالها الثورات فقد طالتها التظاهرات التي اعاقت عملية الاصلاح والبناء والتنمية.

ويمكن القول ان وسائل الاعلام العربية من الضروري ان تلعب دوراً بارزا في هذا الاطار بخاصة موضوع التنمية والتنشئة الاجتماعية تعتبران وظيفتين هامتين من وظائف الاعلام. فلا بد من ان يتحرك الاعلام العربي في لعب دور رئيسي في تنمية المجتمعات بخاصة واننا نعيش عصراً يشهد استعماراً الكترونياً طال بشكل كبير وسائل الاعلام العربية التي تعتبر مرآة المجتمع. فكيف لوسائل اعلامنا تحقيق التنمية وتعزيزها اذا لم نواجه هذا النوع من الاستعمار؟.

❖ الاعلام التنموي

لا شك بان الاقطار العربية تأثرت بما يدور في محيطها الاقليمي. فكيف يمكن لوسائل اعلامنا على تحقيق التنمية لافراد مجتمعها وسط الاحداث والفوضى العشوائية هنا وهناك؟، وكيف بمقدورها تحقيق الاستقرار الاعلامي وسط تلك



الفوضى؟. سؤال الذي يطرح نفسه في هذا الاطار! ما هو دور الاعلام في تحقيق التنمية بخاصة في مجال السياسة ؟

ان الدور الرئيس الذي يمكن ان تؤديه وسائل الاعلام في تحويل المجتمع الى مجتمع اكثر تقدما وتطوراً هو تطوير الشخصية الانسانية من شخصية جامدة خائفة منغلقة الى شخصية مفكرة ومتحركة وفعالة ومغامرة ومنطلقة ومنفتحة على مجتمعها وعلى المجتمعات الاخرى، لان اي عملية تطويرية فانها تعتمد بالدرجة الاولى على الانسان الذي يعتمد على نفسه ويصنع انجازات فعاله تخدم مجتمعه، انسان قادر على التحليل والتفكير والابداع الفكري وخلق ايديولوجية قادرة على القفز من الماضي الى الحاضر الى مستقبل مشرق.

ولا شك ان تطوير الشخصية الانسانية يبدأ منذ سنوات الطفولة الاولى للانسان حيث ترتبط ارتباطا كبيرا بالتربية والتعليم والسلوكيات والتنشئة الاجتماعية والمحيط المعاش. ومن الملاحظ ان شخصية الانسان في الريف تختلف عنه في المدينة نتيجة التحضر والانفتاح وتوفر التعليم بصورة اكبر، الى جانب مشاركة الشخص في المدينة في وسائل الاعلام تكون اكثر منه في الريف.

ومن الضروري الان ان لا يقتصر دور وسائل الاعلام في توجيه الرسائل التنموية والتوعوية الى ابناء المدن فحسب، بل يجب ان يمتد الى ابناء الريف والقرى كونهم في امس الحاجة الى التوعية والتثقيف في كيفية تطوير مجتمعهم وتنميته. ولكي تقوم النهضة الاعلامية بشكل ناجح وايجابي لا بد من اعداد وتأهيل نخبة من الاعلاميين المتخصصين وخبراء في المجال الاعلامي قادرين على فهم سيكولوجية الجماهير كي يكونوا قادرين على اقناعهم والتأثير فيهم بشكل ايجابي وتجسيد الاهداف، وتبسيط الامور والقضايا بشكل مؤثر وجاذب في شتى مجالات الحياة، بخاصة واننا نشهد ثورة تكنولوجية ضخمة انبثق عنها اعلام الكتروني الى اعلام الكتروني رقمي الى اعلام جديد.

كما عليهم تحويل الافراد من افراد تقليديين الى افراد عصريين منفتحين ومشاركين ومنخرطين في كل المجالات، بخاصة المجالات السياسية كالانتخابات

النيابية والتي هي في امس الحاجة لشرح مُفصّل من قبل وسائل الاعلام والمختصين عن آلية عمل الجانب السياسي، وكيف يستطيع الافراد المشاركة في الانتخابات بشكل عصري وحضاري بعيدا عن التحيز لعشيرة او قبيلة ما، وان يكون الانتخاب على اساس مبدأ الكفاءة والاستحقاق. فلا يكفي ان تقوم وسائل الاعلام في الترويج للانتخابات وحسب، بل يكمن دورها الاساسي في كيفية التأثير على افراد المجتمع وفي كيفية جعلهم ينخرطون في العملية الانتخابية وان يكونوا مشاركين فعالين فيها. وما مدى اهمية المشاركة في تلك الانتخابات لان المشاركة تعكس مدى انتماء الفرد لوطنه. ولصد الهيمنة الغربية المسيطرة على وسائل الاعلام ومنها الاعلام العربي الذي لا يمكن ان يؤدي دوره في التنمية لاجتماعية الا اذا تحرر وواجه الاعلام الدولي الذي يعتبر استعماراً الكترونيا بكل معنى الكلمة.

وفي هذا الاطار يمكن القول ان الشخصية الاعلامية تلعب دوراً بارزاً في التأثير على الرأي العام المحلي بخاصة في التصدي لكل ما يأتينا من تدفق معلوماتي مزيف وخال من الدقة والحقيقة. فما فائدة تقديم مضمون جيد عبر الوسيلة الاعلامية اذا لم يكن مقدم هذا المضمون يمتلك مقومات الاعلامي الناجح والمؤثر؟.

وللاشارة هنا بان الدول النامية تعد على وجه الخصوص في امس الحاجة في عصرنا هذا الى شخصية اعلامية تتوافر لديها القدرة على اقناع الجماهير والتأثير فيهم، لان القائم بالارسال الذي تتوافر فيه المعايير المهنية سواء اكان اعلامياً ام صحافياً هو القادر على ايصال المعلومات وتفسير مدلولاتها وتوضيحها، اضافة الى انه الاقدر على معرفة الاثار الناجمة عنها لدى الجماهير.

ولا شك ان نجاح الرسالة الاعلامية الساخنة يتوقف على المهنية الاعلامية العالية والمتميزة والتي من الضروري ان تتحلى بها الشخصية الاعلامية بدأ من الخطوة الاولى وهي دراسة الجماهير والتعمق في عقولهم ووجدانهم، وفهم معتقداتهم، واتجاهاتهم. وعلى هذا الاساس يمكن تخطيط الاعلام على اساس ان يتم الاتصال بالجمهور عن طريق قادة متخصصين في مجالات التنمية كالمجال

الزراعي والصحي...الخ. ومن هنا تلعب وسائل الاعلام دور المساعد لهؤلاء القادة من خلال التعاون والمشاركة الايجابية.

فالباحثون والدارسون في مجالّي الاتصال والاعلام، ورجال الاعلام ينصحون دول العالم الثالث بالا يسلموا اجهزة اعلامهم لاشخاص تنقصهم المهنية الحقيقية والتدريب الجاد في المجال الاعلامي، فما فائدة ان تقوم الدول النامية باستيراد اجهزة ومعدات باهظة الثمن من دون ان يستخدمها اشخاص ذوو كفاءة عالية من حيث المعايير المهنية والعلمية والثقافية؟.

ولا بد للاشارة هنا الى ان العلاقة المعروفة بين رجل الاعلام والجماهير تُتخذ من خلال تقمص رجل الاعلام دور الوالد او المدرس، باعتبار ان الحلول والمعلومات بين يديه، والطرف الاخر ألا وهو الجمهور اعمى وعريان بحاجة الى من يرشده ومن يضيء له افكاره ويحرك مشاعره ويغيّر من اتجاهاته.

لكن الشخصية الاعلامية الحديثة لم تعُد تتمثل بالوالد او المدرس الدكتاتوري او المتسلط، كما عليه ان لا ينظر لجمهوره على انه اعمى واصم وعريان. فثورة تكنولوجيا الاتصال وما نجم عنها من تدفق معلوماتي هائل ادى الى تغيير نظرة رجل الاعلام إلى الجماهير، فجمهور اليوم جمهور واع لما يجري من حوله، ومن الصعب ان نعتبره جمهورا عارياً من المعلومات، او اعمى عن الاحداث والقضايا على الساحة المحلية والاقليمية والدولية.

والشخصية الاعلامية الناجحة والمتميزة هي التي تلعب دور الوالد الديمقراطي الذي يفتح ساحة للنقاش والحوار بينه وبين ابنائه، حيث لم تعد الشخصية الاعلامية تلعب دور المدرس الذي يلقي المعلومة من دون استقبال لردة الفعل فحسب ، بل اصبحت ربما وان جاز التعبير مدرساً متخوفاً من ردة فعل طلابه (الجماهير) نتيجة تطور وسائل الاتصال الجماهير عموما.

وللاشارة هنا ان مذيع قناة CNN "بيتر آرنت" قد انفصل من تلك القناة نتيجة الضغوطات التي هالت عليه، ويعود السبب في ذلك موقفه الصارم والحيادي تجاه ما يجري في حرب الخليج، من خلال امتناعه لنقل وجهات السياسة الامريكية.

بالرغم من منحه لقب (اعلامي من الطراز الاول) بحسب ادارة CNN. وقد تم فصله نتيجة ما اثره في الرأي العام الامريكي من خلال نقل الحقائق بكل موضوعية عما يجري في حرب الخليج.

❖ **الاعلام التنموي.. هل نعتبره في غرفة الانعاش في ظل العولمة ؟**

على الرغم من اهمية الاعلام التنموي في الدول النامية الا ان هناك اسئلة تدور حول مستقبل هذا الاعلام من حيث مدى تأثيره الايجابي على تلك الدول.

وفي هذا الاطار دعونا نتوقف عند الاسئلة التالية، هل يمكن للاعلام التنموي ان يدخل غرفة الانعاش من دون رجعة؟ او ان يدخلها ليعود افضل مما كان عليه سابقاً ؟ او ان يصاب بالشلل؟ وكيف يمكننا انقاذه ؟

ربما اصبح واضحا العجز الذي تعاني منه الدول النامية على خلق نظرية جديدة للاعلام، نتيجة لممارسات معظم الانظمة الحاكمة ورغبتها في السيطرة والتحكم على وسائل اعلامها تحت مسمى (التنمية). فمن الصعوبة خلق نظرية جديدة ومستقلة للاعلام في ظل التلفيق والخلط، لان العمل على خلق نظرية جديدة يتطلب دراسات جادة ومناقشة حرة هدفها تشخيص المشكلات والقضايا التي تواجه تلك الدول وطرحها من ثم ايجاد الحلول الجذرية لها.

فالاشكالية تكمن اولا في النظم الاعلامية الموجودة في الدول النامية ودول العالم الثالث وتبعيتها للنظام الاعلامي العالمي، الذي بات يهيمن ويتحكم في تلك الدول ويسيطر ويتغول بكل شراسة وقوة عليها، فالمنتج المحلي لا يستطيع ان يتصدى للشركات الاعلامية العملاقة، كما ان الاعلام اصبح عبر القارات.

ويبدو واضحاً ان الاوضاع الاعلامية في الدول النامية ومعظم الدول العربية على وجه الخصوص لم توفر مناخاً كي تنمو وتطور فيه اخلاقيات الاعلام، وهذا ليس نتيجة فرض السلطات قيوداً باشكال مختلفة على الاعلام، وانما رؤوس الاموال والسلطات الدينية ايضا التي اصبحت تفرض قيودا هي الاخرى على حرية الصحافة والاعلام. حتى ان الصحافيين انفسهم غير قادرين على تطوير مبادىء اخلاقية لحرية الاعلام يساندها افراد مجتمعهم، ما ادى لتحويل الصحافيين

والاعلاميين الى موظفين فقط، وبالتالي ضعفت قدراتهم المهنية وازدادت تبعيتهم للنظام الاعلامي العالمي، بخاصة ما نشهده اليوم من اختلال التوازن بين دول الشمال ودول الجنوب الناتج عن احتكار وكالات الانباء العالمية للتدفق المعلوماتي. الامر الذي ادى عموماً الى اعاقة صناعة الاعلام في دول الجنوب.

ولا بد للاشارة هنا بان الوطن العربي يملك تراثاً ثقافياً وحضارياً عريقاً يمكنه ان يساهم في بناء منظومة اعلام جديدة، وبالتالي العمل على تحقيق التنمية الشاملة. لكن سيطرة السلطات على الاعلام وبطريقة مباشرة تارة وتارة غير مباشرة ادت الى نتائج عكسية اعاقت من تحقيق التنمية الحقيقية وتتطورها.

ان انشاء قنوات الاتصال الجماهيري منذ 1985 وبالتالي الاندماجات التي خلقت عالماً جديداً، وتزايد الخيارات الاعلامية التي نتج عنها تكيّف سياسات الحكومات الاعلامية مع الاوضاع الجديدة، كانت احد الاشكاليات التي اعاقت تحقيق التنمية وتطور الاعلام التنموي في الدول النامية.

اما الجانب المادي، فان العولمة ساعدت على فتح اسواق في الدول المركزية المتقدمة والتي بدورها انتشرت في دول العالم الثالث وتوسعت من حيث انشطتها الاقتصادية، ما ادى الى (التراجع والتقدم).

ففي الوقت الذي تراجعت فيه الثقافات الوطنية تقدمت فيه منظومة الثقافة العالمية، نتيجة لترويج الشركات العملاقة المتمركزة في كل من نيويورك وهوليود اذواقها مختلفة.

وهنا يمكننا القول بان تلك الاشكاليات التي نتجت عن العولمة ولدّت ضغوطات جديدة عند شعوب الدول النامية، حيث فرضت حتمية تكنولوجيا الاتصال تغييراً ليس فقط في سياسات دول العالم الثالث فحسب، بل وفي انظمتها ايضاً، سواء اكانت جاهزة ام غير جاهزة للناس، وذلك لتشغيل سياسات جديدة. وهذا الامر لا شك بانه سبب خطورة على المجتمعات والدول الغارقة في انظمتها الشمولية، ما نتج عن تلك الحتمية ضغوطات نفسية على الانظمة والناس على حد سواء، وبالتالي صعوبة وضع قوانين غير مقنعة بالنسبة لهم وهذه الاشكاليات جميعها اعاقت حركة التنمية او ان جاز التعبير قد شلّت حركتها.

ولا بد للاشارة هنا الى وجود خمس مجموعات موسيقية عالمية، ونذكر منها تلفزيون MTV، الذي سبق وان شرحنا عنه في المبحث السابق، بحيث تروج تلك المجموعات اذواقها باللغة الانجليزية، كما وتسيطر على العملية الانتاجية عن طريق العثور على مواهب وابداعات جديدة عبر الانترنت، وانشاء مواقع للفنانين والمشاهير، عدا عن استخدام القرصنة من حيث السرقات الموسيقية. الامر الذي يؤثر على اعلامنا العربي ويجعله معولماً، وبالتالي فمن الصعب ان يؤدي الاعلام التنموي دوره الفعال في تنمية المجتمعات، الا من خلال فرض استراتيجيات واضحة وجديدة للاعلام بحيث يشمل جميع المجالات كافة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والتعليمية...الخ.

فالاعلام اداة مهمة من ادوات القضاء على الفساد والاتهامات والشائعات الكاذبة التي تمس بالكثيرين من الشرفاء والأبرياء.

إن عدم وجود مؤسسية حرفية اعلامية يجعل اجهزة الاعلام تفقد مصداقيتها وتتهم بالتواطؤ مع السياسيين ما يؤدي الى فقدان اهم اجهزة التحول الديمقراطي ألا وهو «الاعلام» الذي بلغ دورا مهما في تعزيز الديمقراطية، فكلما ازداد المجتمع انفتاحا وتعددية كلما ازدادت اهمية اعلامه الحر والمهني.

لذا يستوجب علينا ان نستند الى حصيلة تراثنا الثقافي وهويتنا الوطنية كي نستطيع ان نقرر كيفية تنظيم وسائل اعلامنا بكافة اشكالها لتلبية الحاجات السياسية والاقتصادية والمجتمع.

وعندما تشكل وسائل اعلامنا ساحة عامة من خلال المعلومات وتشكيل الآراء والانتقادات يجعلها متمكنة من المشاركة السياسية الفعالة، وحين يدعم اعلامنا التطور ويحافظ على القيم الاجتماعية والهوية الوطنية فهو يمكّن من التكامل الاجتماعي، وحين يسهل اعلامنا الطريق امام الاراء الشخصية فهو بذلك يساعد في التصدي وفهم التعقيد المتزايد للامور السياسية والثقافية والاقتصادية .

لذا يعد الاعلام احد اهم مدخلات ومخرجات عملية التحول الديمقراطي في وقت واحد، ذلك من خلال التركيز على المضمون الذي يعد مقياس التقدم الديمقراطي.

واعتقد انه آن الآوان لوسائل اعلامنا - لا سيما في ظل التطورات التكنولوجية - ان تركز ليس فقط على عملية جمع الخبر ونشره فحسب بل ان تبحث في كيفية انتاج هذا الخبر وصناعته، بل وتحرير الصورة المتعلقة بالخبر ايضا، فإذا كان الخبر يخاطب العقل فالصورة تخاطب القلب والعقل معا.

ولكي تقوم وسائل اعلامنا بالدور المنوط بها في العلمية الديمقراطية ومراقبة صحة مسارها يستوجب عليها التركيز على عملية «التدريب» بناء على فلسفة واخلاقيات وقيم اعلامية جديدة منبثق منها مفاهيم الحرية المسؤولة التي اكد عليها جلالة الملك، والحرفية والمصداقية وذلك عن طريق إيجاد معايير واضحة متفق عليها لتقويم الأداء الإعلامي وبيان مدى تلبيته لحاجات تعزيز الديمقراطية، وحتى يتمكن الصحافي والإعلامي من اطلاع المواطنين على مجريات الأمور وإعلامهم بما يجري حولهم، ليقوم كل مواطن بدوره بالمساهمة بالمسيرة الديمقراطية بشكل فاعل مبني على معرفة وعلم بهذه المجريات. لان التدريب الاعلامي مطلب لا غنى عنه في حالة التحول الديمقراطي الفعال وتعزيز المسيرة الديمقراطية إلى الأمام.

ثانياً: الاعلان

يتحدد الاعلان بحسب الميادين التي يعمل فيها، فقد عرفه اوكسيفيلد بانه "عملية اتصال تهدف الى التأثير من بائع الى مشتر، على اساس غير شخصي، اذ يفصح المعلن عن شخصيته، ويتم الاتصال من خلال وسائل الاتصال العامة"[51].

اما الاعلان الاعلامي " فهو الاعلان الذي يعمل على دعم وتقوية صناعة او نوع معين من السلع او الخدمات او احدى المنشآت عن طريق تقديم بيانات للجمهور يؤدي الى تقوية الصلة بين هذا الجمهور وبين المصدر المعلن، او الى تصحيح فكرة خاطئة تولدت لدى هؤلاء الجماهير عن المعلن بتدعيم موقف هذا المعلن وبعث الثقة فيه من قبل هولاء"[52].

"ويساهم الاعلان في ايجاد ثقافة استهلاكية ويحافظ على وجودها واستمرارها بشكل بنية غير صحيحة من حيث انها تحمل الافراد على التفكير والاهتمام بالاحتياجات الشخصية والفورية على حساب الاحياجات الاخرى"[53].

"ويرى الباحثون في مجال الاعلان ان صناعة الاعلان تتجنب الرسائل العقلانية للاقناع لحساب رسائل وقيم يتم تصميمها من اجل اقناع عاطفي غير عقلاني، وهو ما يؤدي الى ان هذه الاستمالات العاطفية تُضفي لوناً معيناً على الطريقة التي يفهم بها الجمهور العالم من حوله والتركيز على الاستمالات العاطفية. وهذه تؤدي الى ايجاد احتياجات وهمّية زائفة مما لا يمكن للثقافات المحلية ان تستشعر اهميتها من خلال معطياتها مما يؤدي في النهاية الى تغيير في الانماط الاجتماعية.

ومن هنا فإن الاعلان يفعل اكثر من مجرد التسويق لبعض المنتجات الاجنبية فهو يشكل انماطا استهلاكية ويُعلم ويُغير الاتجاهات ويبني صوراً وعوالم منقطعة الصلة بالثقافة المحلية، وهو بهذا يدخل الثقافات المحلية في ثقافة عالمية تساهم القوى الكبرى في صياغة مقوماتها"[54].

ويمكن القول بان الاعلان رسالة مدفوعة الثمن، تعرض بطريقة محببة مقدمة للمتلقي بغلاف او بغطاء مغر قد يتضمن معلومات غير صادقة وغير دقيقة، ومن السهولة تحديد مصدرها، وتهدف تسويق المنتج، بمعنى جعل المتلقي يرى الفكرة المقدمة ويفهمها ويتذكرها ومن ثم يتصرف بطريقة محددة تدفعه لشراء تلك السلعة المعلن عنها لزيادة المردود.

اما دور الاعلان الدولي فهو يقوم على تحريك الاقتصاد في الدول الرأسمالية التي تؤمن بالاقتصاد الحر، بحيث تبحث الشركات التجارية عن خلق صور عالمية باستخدام اعلان معين في دول مختلفة باستخدام اللغات واللهجات الخاصة بكل دولة.

ويعتبر الاعلان صناعة يسعى اليها المتحكمون بالحصص الكبرى بهدف زيادة وتوسعة حصصهم وارباحهم.

وتعيش وكالات الاعلان وضعاً تنافسياً على مستوى الابداع الفني، حيث نجد ان العلامة المميزة لمؤسسات الاعلان الدولي تتمثل في رغبتها المستمرة في الاندماج وشراء حصص بعضها البعض. وسبب هذا الاندماج هو ان الشركات تلجأ للحصول على بعض المواهب والقدرات غير الموجودة في مواطن او مراكز هذه الشركات. وتبحث عن خطوات استراتيجية تعزز قوتها الراهنة. وبالتالي تقرر ان تهاجم وتتوسع، وتحقق ارباحا بالبلايين.

ونجد ان شركات الاعلان الدولية تتمركز في الولايات المتحدة الامريكية كمؤسسات استعمار الكترونية، وتمتلك وكالات الاعلان جميعها مكاتب لها في المدن الرئيسة وفي دول الجنوب، وتركز على توظيف الاشخاص اللذين يملكون الابداع وتقنيات البحث، وتؤثر في قيم الاخرين وحياتهم وعادتهم.

ولكن على الرغم من الاعلان يختلف بميزاته عن الدعاية الا اننا اصبحنا نشهد اعلانات تظهر في الصحف غير الرسمية وعبر المواقع الالكترونية وحتى عبر الاعلام الالكتروني منها ما يشكل انزعاجاً لدى القراء، ومنه ما ينتج عنه تشويش ذهني لدى القارىء، اما الاشد خطورة فهي تلك الاعلانات التي اصبحنا نشهدها مؤخراً من بعض مؤسسات وشركات اهدافها غير شريفة وغير اخلاقية من خلال اعلانات تتعلق بالبحث عن وظيفة، وهذه الاعلانا تستهدف فئة البنات والنساء فقط. وتعتبر هذه الاعلانات مبهمة وغامضة لدى القارىء.

فعلى سبيل المثال: قامت الوحدة الصحافية في راديو البلد وبدعم من شبكة اريج باجراء تحقيقات استقصائية في هذا الامر.

"ومعيار تحليل المضمون تمحور حول تحديد تعريف واضح لإعلان التوظيف المبهم هو: "عدم اشتراطه على أي معايير مهنية، أو شروط وظيفية في الشواغر التي تطلب فتيات، سيدات، سكرتيرات أو موظفات، مع تركيزه على المظهر الخارجي للمتقدمة للعمل أن تكون أنيقة، لائقة، حسنة المظهر وغير محجبة، علاوة على تحديد الأعمار بين 20- 35 عاما، وإغفاله التام لأي دلالات على إسم الشركة أو المكتب أو إسم المعلن الحقيقي.

وأظهر تحليل المضمون، أن صحيفة الوسيط تنشر حوالي 14.500 إعلانا شهرياً، بنسبة 57 ٪ من مجموع الإعلانات في الصحيفتين، مقابل حوالي 11 ألف إعلان بصحيفة الممتاز، بنسبة 43 ٪. و2.4 ٪ من إعلانات التوظيف مبهمة.

كما ان نسبة إعلانات التوظيف المبهمة في الصحيفتين معاً بلغ 2.4 ٪ من مجموع إعلانات التوظيف المنشورة في كلتيهما. بلغت نسبة إعلانات التوظيف المبهمة في صحيفة الوسيط 1.55 ٪ من مجموع إعلانات التوظيف المنشورة فيها، مقابل 3.87 ٪ في صحيفة الممتاز[55].

وفي مقال نشر في جريدة الدستور يقول الكاتب ماهر ابو طير: "في الاعلام الالكتروني العربي، مئات الاعلانات العبرية، وهذه اعلانات يتم نشرها بشكل يومي، وباتت لافتة للانتباه في مئات المواقع الاعلامية العربي. والمشكلة ان المواقع الالكترونية العربية لا تتعاقد مع وكلاء اسرائيليين لنشر هذه الاعلانات، ولا تبيع مساحاتها لشركات اسرائيلية، اذ ان كل القصة تتعلق بتأجير مساحة محددة لشركات عالمية مثل "غوغل" وهذه الشركات تقوم بنشر اي اعلانات تريدها من جانبها، وهي حرة في توظيف واستعمال هذه المساحات، باعتبارها ملكها. بالمقابل تُدفع مبالغ مالية لهذه المواقع في العالم العربي، والنتيجة تسلل المال العبري الى الاعلام العربي، عبر وسيط دولي يسطو على مساحات اعلانية مقابل عقود مالية.

هذا باب من ابواب التطبيع القهري، فهو ليس اختياريا، اذ انه يأتي دون موافقة المواقع الاعلامية العربية، لمجرد تأجير هذه المواقع لمساحات فيها، لشركات عالمية، وهذه الشركات العالمية تقوم بنشر اعلانات تجارية بلغات مختلفة، وبعضها اعلانات ذات طابع ديني، وهناك اعلانات جنسية في حالات كثيرة، فالشركة العالمية المعلنة تتحكم بالمساحة المستأجرة، وفقا لمصالحها وعقودها. عمليا فإن وساطة "غوغل" تقوم بالمهمة، واذا كان من الممكن الاعتراض على نشر الاعلان، او اختيار خيار محدد يجعل الاعلان يختفي عن موقعك المفضل او الصفحة

التي تتابعها، فإن هذا خيار لايقوم به كثيرون، من باب عدم الاهتمام او عدم التنبه لهكذا خيارات.

انسياب اللغة العبرية الى الاعلام العربي، والى مئات المواقع الالكترونية العربية، فيه تطويع للنفس العربية الرافضة لفكرة الاقتراب من اسرائيل، وانسنة «اسرائيل» تتم بوسائل مختلفة، ابرزها استضافة خبراء اسرائيليين عبر قنوات عربية، واستضافة قنوات عربية في قواعد جوية اسرائيلية كما شهدنا مؤخرا، وصولا الى اللفتات الانسانية للاحتلال عبر علاج طفل من هنا او هناك، وتجميل الصورة جارٍ على قدم وساق.

ما نراه من تدفق للاعلان العبري في الاعلام الالكتروني العربي، وهو امر بات لافتا للانتباه، خلال الفترة الاخيرة، امر مؤسف، غير ان الاعلام الالكتروني العربي امام خيارات احلاها مر، فإما يتم اغلاق باب التعاقدات كليا مع شركات عالمية مثل «غوغل» وبالتالي ستخسر هذه المواقع موردا ماليا اضافيا، يأتيك بما يسرك وما لا يسرك، كحالة الاعلانات العبرية التي تنهمر دون موافقة الموقع، ودون رغبة الناشر او رئيس التحرير، وإما يتم الاستمرار في هكذا تعاقدات، وهي بطبيعة الحال ستحوي مفاجآت بشكل دائم على الصعيد الديني والسياسي والاخلاقي.

ان الاعلانات العبرية تنهمر على مواقع الكترونية عربية في دول عربية معادية لاسرائيل، فالقصة ليست حكرا على الدول التي تقيم اتفاقات مع اسرائيل، بل نرى هذه الاعلانات باتت تتسلل عبر «غوغل» الى مواقع الكترونية عربية في دول عديدة.

من ناحية سياسية، فإن المال المدفوع هنا من "غوغل" اساسه مال اسرائيلي، لان المعلن الاسرائيلي يدفع لغوغل ثمن هذه الحملات التي تخصه، وبالنتيجة فإن المال الاسرائيلي يتسلل الى الاعلام العربي، ويصبح شريكا في صناعة الاعلام العربي.

الاعلام العربي عليه ان يختار، فلا يعقل ان نشبع وطنية وخطابات في هذا الاعلام، فيما مواقعه الالكترونية تحوي اعلانات اسرائيلية، يتم دفعها، نقدا، ويتم رمي المسؤولية على من استأجر المساحة. وهذه المساحات، تتحول الى مساحات عمياء،

لاتعرف ماذا سيجد عليها، من اعلانات مستفزة، سياسيا او دينيا او اجتماعيا او اخلاقيا؟.!

هي دعوة للاعلام العربي بكل انواعه ان يقف وقفة تأمل امام هذا التسلل الخطير، وان لايختبئ خلف الاتهام السهل لغوغل ولغيرها من شركات بأنها تستأجر مساحة، ثم تفرض عليها ما تريد.

"الارض بتتكلم عربي"، اغنية شهيرة غناها سيد مكاوي، واليوم يمكن القول بكل بساطة ان "الارض بتتكلم عبري" وعود مكاوي بات في يد "غوغل" تعزف عليه كيفما شاءت في بلاد العرب اوطاني[56]!

وفي هذا الاطار يمكن القول بأن الإعلان لم يعد يؤدي دوراً واضحاً وايجابيا. ففي ظل الاستعمار الالكتروني اصبحنا لا نفرق ما بين الاعلان والدعاية.

وقد ازدادت خطورة الاعلانات من خلال ما نشاهده ونقرأه عبر شبكات التواصل الاجتماعي حيث يخلو معظمها من الدقة والمصداقة، وربما يكون بعضهما صيداً او فخاً للاخرين الذي يصبحون فيما بعد ضحية هذه الاعلانات الغامضة والمبهمة والتي يقوم بتوظيفها جهات مجهولة.

ومما لا شك فيه فان برنامج الواتسآب الذي يعتبر الان الاكثر شهرة في العالم من حيث التواصل والاتصال فقد اصبح يلعب دوراً بارزاً في مجال الاعلانات والتي يؤدي معظمها الى تشتيت الاذهان وتخدير العقول والتي وصلت الى الايمان بها وتصديقها من دون معرفة الجهات التي تقف وراءها.

ثالثا: الدعاية الاعلامية

ان الدعاية هي نشاط اتصالي مدروس يحاول المرسل من خلاله ان يؤثر في المتلقي بان يتبنى افكاره وقيمه وينادي بها، وتعتبر الرسالة الدعائية ناجحة اذا استطاع المرسل ان يؤثر في المتلقي.

وتعمل الدعاية على فرض الافكار من قبل (وسائل الاعلام) على الجمهور المتلقي، وهدفها غير صادق وتعمل على تقليص شخصية الانسان وتطبع في أذهانه

صورة نمطية، وهي الانطباع السريع الناقص للاعلام الغربي عن العرب او عن شعب معين[57].

وتقوم الدعاية بتزويد الناس بالافكار الجاهزة، من خلال البحث الدائم عن العقول المغلقة، وتخدم اغراض فئة معينة من الناس، وتكون نتائجها التضليل والخداع .

ونجد ان الاعلام الدولي يقوم بالدعاية حيث تلعب الدعاية من خلال ثلاث نظريات اهمها نظرية الاستعمار الالكتروني التي تستهدف العقول الضعيفة في دول الجنوب وتجعلها تحت سيطرتها من خلال التأثير عليها بما تبثه من مفاهيم وافكار واللغة.

- **اما انواع الدعاية فهي[58]:-**

1- الدعاية السياسية والاجتماعية:

وتستخدم الاولى لإحداث تغيير في الرأي العام، اما الثانية (الاجتماعية) فهدفها دمج الفرد في المجتمع الجماهيري وتوحيد الجماعة.

2- الدعاية الاندماجية والتحريضية:

تعتبر الدعاية الاندماجية طويلة الامد، وتهدف لدمج وتوحيد الفرد ومشاركته في المجتمع لتحقيق سلوك متوازن. اما التحريضية فتستخدمها النظمة المعادية والاحزاب المعارضة بهدف قلب النظام والاستلاء على السلطة.

3- الدعاية المضادة:

وتستخدم للرد على الدعاية التحريضية لاحباط مفعولها.

4- الدعاية العمودية والافقية:

ان الدعاية العامودية هي الدعاية التقليدية التي يمارسها القائد السياسي او الديني للتأثير على اتباعه، كالقائد النازي الالماني(هتلر)، وتمارسها الدولة الحديثة. بينما الافقية فهي تنبع من داخل المجتمع ويكون فيها الافراد متساويين لا قائد لهم، وتعمل على تحقيق التوعية الذاتية، كالمشاركة في النشاطات.

5- الدعاية البيضاء والسوداء:

ان الدعاية البيضاء تكون مكشوفة ومعروفة المصدر والهدف بعكس الدعاية السوداء والتي تكون مبهمة وداخلية ولا يعرف مصدرها وتعمل على تزييف الحقائق.

6- الدعاية المنطقية وغير المنطقية:

ان الدعاية المنطقية هي التي تخاطب العقل والمنطق، وتعتمد على الحقائق والارقام والعلم، وتقترب من الاعلام. اما الثانية فهي تخاطب المشاعر والعواطف.

7- الدعاية المقصودة وغير المقصودة:

ان الدعاية المقصودة تشير الى الجهود المنظمة والمُخطط لها للسيطرة على افكار المتلقي. اما غير المقصودة فإنها تمارس من دون تخطيط واضح ومسبق.

8- الدعاية التمهيدية والنشطة:

التمهيدية تعرف بأنها بطيئة وتعتمد على التغذية المستمرة وتسعى لحشد الافراد وتعبئتهم واعدادهم نفسياً. بينما تستغل الثانية ما مهّدت اليه الاولى فتعمل على تحريك المتلقي للقيام بعمل محدد وقصير وتكون متنقلة وسريع.

9- الدعاية والتعليم والاقناع:

هناك فرق كبير بين الدعاية والتعليم، فالتعليم يهدف الى تدريب الناس في طريقة التفكير بمعنى كيف يفكرون، ويسعى لتنمية المهارات بشكل بطيء وبالتدريج، كما ويغرس المسؤولية في نفوس الناس، ويعمل على معالجة الحقائق المجردة البعيدة عن الذاتية، اضافة الى ذلك فان التعليم يقدم خدمة للمجتمع ويرفع كيان الانسان الى اعلى المستويات.

بينما نجد ان الدعاية عكس التعليم تماما فهي تقوم بتزويد الناس بالافكار الجاهزة، وتحاول السيطرة على العقول الضعيفة والمغلقة، وتستخدم التضليل والتزييف والتلاعب بالحقائق، وتخدم فئة معينة من الناس وليس المجتمع كافة، كما انها تلعب دوراً هاما في نظرية الاستعمار الالكتروني.

اما الفرق بين الدعاية والاقناع، فالاقناع هو استخدام الرموز واستغلالها بهدف دفع المتلقين للقيام باعمال محددة، ويتحول الاقناع الى دعاية حينما يوجه المتلقون للقيام باعمال تخدم اغراض المرسل اكثر من المتلقي.

وتعتبر الرسالة الدعائية اسلحة تقوم على استغلال الوسائل الاعلامية سواء اكانت مطبوعة او مذاعة او مصورة، لتحقيق التأثير. ويسعى هذا النوع من الرسائل الى استغلال واستحواذ مشاعر وافكار الناس اكثر مما يسعى اليه الاعلام.

والجدير بالذكر ان الدعاية لعبت دورا هاماً في الحرب النفسية، فالحرب النفسية شكل من اشكال الدعاية الاعلامية الا انها اقوى، وتستخدم اثناء الحرب الحقيقية او الحروب الباردة، حيث تعمل الحرب النفسية على تحكيم معنويات العدو عسكريا وميدانياً من خلال التلاعب بأعصابهم[59].

وتتبع الدعاية الاعلامية اساليب عدة منها[60]:-

1- التسميات والالقاب:

مثل استعمال (الحمر) بدل (الشيوعيين)، والامبريالية بدل الديمقراطية.

2- الاكاذيب:

مثل كذبة فظائع النازيين (محرقة اليهود)، او وجود مفاعلات نووية في العراق والتي على اثر تلك الاكاذيب قامت الحرب على العراق، او وجود ارهابيين في دولة قد تخلو من الارهاب ، بحيث تكون تلك الاكاذيب لها اهداف بعيدة المدى في السيطرة ولخدمة مصالحها.

3- التكرار:

كالشعارات والتعابير التي تسعى لتعلق في اذهان الناس. ويعتقد علماء الاتصال ان تكرار الرسالة من العوامل التي تساعد على الاقناع.

ويعتمد تكرار الرسالة على الوقت التي تبث فيه الرسالة، والمدة التي تتكرر فيها تكرار الرسالة، والجهة المستهدفة (لمن التكرار؟).

4- التأكيد:

تلعب معظم وسائل الاعلام من خلال الجهات والجماعات واصحاب النفوذ التي تحركها في التأكيد على رسائلها الاعلامية الكاذبة بهدف تصديقها.

5- تحديد العدو:

فعلى سبيل المثال، فان لبنان تعتبر (حزب الله) هو عدو لها، وبالتالي فهو بالنسبة لها عقبة يعترض طريق النجاح.

6- اثارة مشاعر الخضوع للسلطة:

كالشعارات التي تعلق بالطرقات والتي تعمل على التفرقة بين الشيعة والسنة وذلك عن طريق الايحاء والذي يعتبر اسلوب جيد لاثارة المشاعر وحاولة دفع الاخرين لقبول معتقد محدد من دون ابداء اسباب منطقية.

7- الصورة النمطية:

لا بد لنا من التوقف قليلاً عند هذا الاسلوب المتبع في الدعاية، حيث سبق وان شرحنا في الفصل السابق الصورة النمطية والصورة سواء أكانت صورة ذهنية (ايجابية) ام صورة نمطية (سلبية) فهي تتكون من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة حيث ترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم وعقائدهم.

وحقيقة فان الاعلام العربي عاجز في تصديه للدعايات التي تحوي الاكاذيب والتزييف للحقائق، والتي تعمل على تشويه الصورة وفبركتها التي تخدم اهداف الاعلام الدولي ومصالحه. ويمكن القول بان الدعاية الاعلامية تزود الناس بالافكار الجاهزة، والبحث عن العقول الضعيفة، وتخدم اغراض فئة معينة من الناس، وتلعب دوراً بارزاً في نظرية الاستعمار الالكتروني.

رابعاً: الرأي العام

ان الرأي العام اشبه بالحواس الخمس، وحواسنا الخمس هي العين التي ترى بها.. والاذن التي تسمع بها .. وحاسة الشم التي تميز الروائح بها، واليد التي تلمس بها، والذوق الذي من خلاله تستطيع ان تفرق بين الحلو والمالح، انه "الرأي

العام" الذي يشمل حواسنا الخمس فهو باق كالزمن وهو الحارس المُقيم الذي لا تنتهي حراسته أبد الدهر وكلما كان يقظا وقويا عظُم الامل في ان تبقى الامم مهيبة ظافرة.

والرأي العام سواء اكان كامنا او ساكناً قد يتحول الى رأي عام صحيح نتيجة ظهور موقف او حدث معين او قضية معينة.

ففي العصور الوسطى وضع «ميكافيللي» كتابه يصف به قوة الرأي العام بعنوان «الاميرة» في القرن السادس عشر، وقال ناصحا الاميرة: "يجب ان تكسب ثقة الشعب والشعب هو القوة الجبارة". ونقرأ في مؤلفات شكسبير على لسان هنري الرابع هذه العبارة التي تدل على قيمة الرأي العام حيث يقول: "إن الرأي العام هو الذي ساعدني للوصول للعرش".

وفي سنة 1937 اكد المؤلف الاسباني الشهير(جوزيه جاسيت) في كتابه ان ممارسة السلطة لا تتم الا بتأييد من الرأي العام، حيث كانت اهمية الرأي العام من اهم المبادىء التي اثرت في نظم الحكم في اوروبا وامريكا.

وعلى الرغم من ان الرأي العام العربي في معظم الدول عاجز في محاولة تشكيل رقم قياسي في معادلات السياسية وعاجز على تغيير اوضاعه الداخلية والقاهرة وعاجز عن الانتصار لنفسه في قضاياه المحلية، الا انه لم يعجز عن مواجهة القهر والكبت والمعاناة، حيث استطاع ان يشكل رقما قياسيا داخل مجتمعه وهذا ما شهدناه في معظم الدول العربية التي شهدت ثورات ما سميت (بالربيع العربي) وما هي الا محصلة لصراع الافكار والتراكمات والضغوطات التي كانت تعاني منها شعوبها لاعوام طويلة.

ان الثورات عموما صنعها الفكر المكبوت وفجرتها انظمة خنقت الفكر بدلا من ان تستلهمه، ومن هنا نستطيع القول بان الرأي العام اثبت انه ليس مجرد رد فعل على وقوع الاحداث بل انه أسهم في صناعتها بشكل كبير.

ويتبين لنا ان نتائج تلك الثورات التي شهدتها معظم الدول العربية تزداد سوءا بازدياد العنف والقتل والمجازر وغياب القانون وفقدان الامن والاستقرار واتساع الفوضى.

والغريب بالامر الاستطلاع الذي اجري في الولايات المتحدة الامريكية يقول: «ان ثورات التغيير قد حسنّت بنسبة كبيرة صورة العرب لدى الرأي العام الامريكي»، ومن هنا لا بد لنا ان نتساءل (لماذا لم تتحسن تلك الصورة عن العرب عبر تاريخهم المشرق ونضالهم المشرف ضد الاستعمار الغربي؟ لماذا لم تتحسن صورة العرب الذين يقاومون الاحتلال الامريكي في العراق؟ ويا هل ترى لو ان ثورات التغيير قام بها الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الاسرائيلي فهل ستتحسن صورة الشعب الفلسطيني لدى الرأي العام الامريكي؟

ان معظم الشعوب والدول العربية تعيش حالة من الترقب والانتظار بان تسود الديمقراطية والحرية الدول العربية جميعها والتي تعيش ثورات دموية عنيفة وفوضى لا حدود لها بانتظار ان تحكم هذه الشعوب نفسها من دون تدخلات خارجية بانتظار معرفة مصير شعوبها وان يعم السلام فيها .

ان الرأي العام الحقيقي كي يحقق اهدافه التي يسعى اليها عليه اولا ان يكون يقظا وقويا فكريا لا ان تكون قوته محصورة جسديا معتمدة على القتل والمجازر والفوضى والتخريب. فانفجار معظم الشعوب العربية بطريقة مفاجئة ومن دون تفكير معمق بنتائج تلك الانفجارات، لو لم تبدأ خير لها من ان تبدأ ولا تعرف نهاية مصيرها ونهاية انفجاراتها.

ان الحاجة لرأي عام قوي يمكن ان تكون له اهمية كبيرة اكثر من الحاجة لحكومات قوية. ومن اهم خصائص الرأي العام على النحو الاتي:-

1- التحول:

ربما يتحول الرأي العام سواء اكان رأي عام كامن او ساكن أو رأي عام صحيح في حالة ظهور قضية هامة، او حدث معين وذلك بعد حدوث صراعات او توترات او مُشاحنات او هزيمة وخيبة امل.

وقد يفصح الرأي العام عن نفسه في حالة كون القضية قد اصبح لها قوة كبيرة، بحيث تكون، وذلك عندما يتحول الرأي العام الباطني الى رأي عام ظاهري او خارجي، بحيث تكون نتائج هذا التحول ايجابية وناجحة في التأثير.

2- القوة والصعوبة:

لا شك ان الرأي العام يقوى عندما يكون ممارسا لتعليم وعاملا ومدركا لك اطراف الموضوع او الاحداث اومن جميع جوانبها وهنا يمكن القول ان الرأي العام من الصعوبة خداعه بسهولة.

3- الاشتداد:

ان الرأي العام لا بد له ان يشتد حساسية اكثر فأكثر بخاصة عند ظهور الاحداث والقضايا الهامة.

4- النمو:

ان الرأي العام ينمو في حالة اكتسابه رأي الاغلبية، والعكس صحيح فقد يتقلص في حالة كسب الاقلية.

5- صانع القرارات:

يحتل الرأي العام اهمية كبيرة في عالمنا اليوم، حيث يُعد من المرتكزات الرئيسة في صناعة القرارات سواء اكانت قرارات مؤسسات او دول او افراد او جماعات.

6- محرك ايجابي:

يلعب الرأي العام دورا بارزاً في تحريك الاعلام لاغراض واتجاهات ايجابية تخدم الناس وتؤدي بهم الى الانفتاح والمعرفة والثقافة.

❖ سلبيات الرأي العام

كما ان للرأي العام خصائص ايجابية الا انه لا يخلو من نقاط الضعف وهي:-

1- اللامبالاة:

يصاب الرأي العام باللامبالاة عندما يجد ان الناس غير مهتمين بالشؤون العامة.

2- الاثارة:

يصاب الرأي العام بالاثارة في حالة التبشير بالنصر وإذكاء الروح العسكرية.

3- الضعف:

لا شك ان الرأي العام يضعف عندما لا تحافظ الجماعات على الاخلاق والالتزام بها، كما ويضعف عندما تتناقص الاهتمامات الشخصية او اهتمامات الجماعة.

4- الهدوء:

عند حدوث تغيرات سطحية قد تكون في العادات والتقاليد، فان الرأي العام في هذه الحالة يهدأ ويغلب عليه طابع الهدوء. بينما قد يتحول بقوة نتيجة حدوث زلازال او كوارث عامة اكثر من اي عامل اخر.

5- تحول الرأي العام اما في الاتجاه السلبي او الايجابي:

قد يتحول الرأي العام الى رأي عام مؤيد نتيجة نجاح رئيس جمهورية ما او زعيم ما وازدياد ثقة الشعب به، وربما يتحول الرأي العام الى رأي عام معارض في حالة عدم نجاح رئيس جمهورية ما وتقل ثقة الشعب به.

ويتأثر الرأي العام ببعض العوامل الشخصية والموضوعية، والعوامل الشخصية مثل: المستوى التعليمي، والثقافي، والوضع الاقتصادي للافراد، وطريقة التنشئة الاجتماعية.

اما العوامل الموضوعية فهي: الحرية، والديمقراطية، وجماعات الضغط، والاحزاب، بالاضافة الى المورث الفكري والعقائدي عند الافراد، كما ويتأثر الرأي العام من ناحية الموضوعية بالعوامل الدولية والاقليمية ايضا.

وقد يكون هدف الرأي العام لاغراض سلبية تؤدي الى تفكيك الناس والمجتمعات وقد تؤدي بهم الى الجهل والتخلف.

6- غير مستقر:

لا شك ان الراي العام يتحول بشكل سريع وخاطف فهو تارة ما نجده هادفا وتارة ما ما نجده مغرضاً، وتارة ما تجده مع السلطات وتارة ضدها، وتارة نجده محايداً وتارة موضوعياً، وتارة مرناً. وهكذا فهو لا يستقر على حال، ويتغير وينقلب باستمرار.

وربما نجد بان عدم استقرار الرأي العام من ايجابياته ايضا فقد يخدم قضية او حدث ما بشكل ايجابي وان يتغير من رأي سلبي الى رأي ايجابي يخدم الناس والصالح العام.

ولا شك ان الاقناع يلعب دورا رئيسا في حياتنا اليومية، ومما لا شك فيه ان وسائل الاقناع تطورت، فمن اقناع شفهي الى اقناع كتابي، الى سمعي من ثم مرئي الى اقناع الكتروني فرقمي، حيث كان الاقناع يمارس منذ قرون طويلة من الزمن. ويعتبر علم الاقناع الذي انبثق من الحضارات القديمة هو نتاج القرن العشرين.

ففي اليونان وروما كان فن الاقناع يمثل مهارة ثمينة للفوز في محاكم القانون، وفي تقديم المقترحات السياسية. ونجد ان وسائل الاعلام المختلفة تلعب دورا بارزا بخاصة في يومنا هذا على اقناع الجمهور من خلال نشر رسائلها، بحيث نجد ان هدفها الرئيس هو الاقناع سواء اكان هدفا اقناعيا يخاطب العقل او هدفا اغرائيا يخاطب القلب او هدفا ترفيهيا.

ويرى جونز الذي بقي 25 عاما مديراً للاعلان قبل ان يصبح احد الباحثين في وسائل الاعلام، ان نهج (تعلّم + اشعر + إعمل) سوف يبقى على المسرح الرئيس في استراتيجيات الاقناع.

ولا شك بان الصورة المتلفزة اصبحت تلعب دورا هاما في التأثير على المتلقي وهذا التأثير ازداد في حرب الخليج، ولو عدنا للذاكرة كيف ان الفضائيات العربية عرضت صورة صدام حسين وهو مختبىء في حفرة، حيث لعبت هذه الصورة دورا بارزا في التأثير على العقول العربية حيث صوّرت لهم بان صدام حسين رجل جبان من خلال اختبائه في حفرة، ولا نعلم الحقيقة فربما كانت هذه الصورة مخادعة وغير صادقة. كما ولعبت الرسالة المصورة دورا بارزا في عقل المتلقي من خلال الثورات العربية ونستنتج بان الصورة وحدها كافية لان تقنع الاخرين وتغير من اتجاهاتهم من اتجاه سلبي الى ايجابي وربما العكس.

ولا شك بان حرب الخليج وثورات الربيع العربي كانت نموذجا واضحا لعملية ادارة المعلومات والاراء وتصنيعها والتحكم فيها من خلال الشركات

الاعلامية المحتكرة، حيث قامت وسائل الاعلام الامريكية بتعبئة الرأي العام وتصنيع التأييد العام للموقف الامريكي وقد استخدمتها الشركات الاعلامية المحتكرة كأداة للدعاية في الحرب.

❖ واقع الاعلام العربي

لا أريد ان اخوض بتفاصيل دور معظم الفضائيات الاخبارية العربية في تغطيتها الاحداث الاخيرة التي جرت في بعض الدول العربية، ولكن ما شاهدناه وسمعناه من هذه الفضائيات كشف لنا ان هذه الفضائيات لا تستطيع الخروج عن الخط الاعلامي - السياسي المرسوم لها والمصرح به والممنوح لها، حيث يتبين انها تسير وفق ما يحقق مصالح واجندات ونفوذ الجهات التي تقف وراءها.

اما بالنسبة لوسائل الاعلام العربية عموما فمن الملاحظ ان التغطية التي تقدمها هذه الوسائل للاحداث تفتقر الى خلفية الحدث وهو ما يجعلها مجموعة من المعلومات غير المفهومة لانها لا تتضمن تغطية خلفية الاحداث وكيفية تطورها.

فليس كافيا ان تقدم الفضائيات العربية الاخبارية ومعظم وسائل الاعلام الرسمي وغير الرسمي قصة اخبارية كمجموعة من الحقائق والاقتباسات فقط. فالمتلقي للمعلومة والخبر لا يحتاج الى مشاهدة الاحداث وسماعها وحسب، بل هو في امس الحاجة الى وسيلة اعلامية تقدم له تفسيرا وتحليلا للاحداث وتساعده الى ان يفهم مجرياتها في سياقها التاريخي والاجتماعي والجغرافي والانساني، وما مدى تأثيرها عليه.

ويتبين ايضا من خلال مجريات الاحداث الاخيرة غياب دور وسائل الاعلام في مشاركة الجماهير والتعليق على هذه الاحداث. فالوسائل الاعلامية المختلفة لا يمكنها الصمود في المنافسة الا عندما يجد الجمهور نفسه مشاركا فيها. كما ان ذلك يمكن ان يشكل مساهمة كبيرة من جانب تلك الوسائل في تحقيق ديمقراطية الاتصال والتي نجحت التكنولوجيا باشكالها كالانترنت والفيسبوك وغيرها في تحقيقها.

ولـو أمعنـا النظـر في الفـرق بـين وسـائل الاعـلام العربـي الرسمـي عمومـا والفـضائيات الاخباريـة العربيـة علـى وجـه الخـصوص مـن خـلال تغطيتهـا للاحـداث الاخيرة، نجد ان الاولى على الرغم من محاولتها التخفيف من حدة الاحداث الا بانها التزمت الموضوعية والحيادية قدر الامكان.

اما الثانية والتي حاول معظمها تأجيج الاحداث والتي تدعي الموضوعية في نقل الخبر كان من الواجب عليها ان تحترم عقول المشاهدين وتسعى لتغطية الاحداث بمهنية وموضوعية لا ان تكون متحيزة للسياسةالامريكية، حيث يتبين لنا بانها تحاول كسب الاحتكار المهني وليس السياسي .

والفرق بـين التحيـز والموضـوعية، هـو ان الموضـوعية هـي التغطيـة المتوازنـة للحدث بينما التحيز عكسها، فهو الميل لتفضيل احد جانبي الصراع وهـو مـا اتبعتـه معظم هذه الفضائيات.

ونحن اليوم نشهد حرباً اعلامية مـن خـلال وسـائل اقنـاع عديـدة حيث اصبح التركيز ليس فقط على النصوص المقدمة بقدر التركيز على الصورة المتلفزة، ومـن الضروري ان نكون على قدر كبير من الوعي وبعد النظر فيما تبثه تلك الفضائيات من مضمون مصور مبالغ فيه في اغلب الاحيان خاصة مـع ظهـور الاعـلام الالكترونـي الـذي اصـبح معظمـه يتلاعـب بعقـول النـاس وعـواطفهم مـن خـلال نـشر الـصور وبـث الفيديوهات المصورة والـتي ربمـا في اغلب الاحيـان تكـون مزيفـة وبعيـدة عـن الواقـع . فكلمـا كـان مـضمون الرسـالة الاعلاميـة صـادقا ويخلـو مـن المبالغـة فـان الرسـالة الاعلاميـة سـتعطي نتـائج ايجابيـة وفعالـة لاقنـاع الجمـاهير، حيـث يعتـبر عنـصر المصداقية والدقة من العناصر الرئيسة لنجاح الرسـالة الاعلامية لأن تعدد الوسـائل الاعلامية والاتصالية تدفع المتلقي للمقارنة ومن المؤكد ان هذه المقارنة في النهاية اما ستعطي نتائج ايجابية او سلبية على الوسائل الاعلامية.

وبمـا اننـا نعـيش عـصر تكنولوجيـا الاتـصال وبمـا انـه لا يوجـد حتـى الان قوانين واضحة ورادعـة للمواقـع الالـكترونيـة، ولان الـصحافة الالـكترونيـة تعمـل مـن دون رقيب ولا حسيب، فقد يعتمد اغلب تلك المواقع على نظريات العنف من خلال ما

تبثه تلك المواقع من صور ومشاهد وفيديوهات ربما يتضمن الكثير من العنف باشكاله المختلفة بهدف الاساءة للنظام او للمجتمع او لنشر الفوضى او لزرع العدوانية وتعزيزها عند بعض الفئات ضد فئات اخرى في المجتمع ذاته.

ومن المؤكد ان الاعلام الغربي عموما ومعظم الفضائيات العربية المصبوغة بهذا الاعلام تحمل توجهات سياسية بعيدة المدى كما وتحمل اجندات فكرية مبطنة وملغومة لتدمير الامة العربية وتفكيكها من خلال الاعلام الذي يعتبر اداة رئيسة من ادوات التأثير في الرأي العام وتغيير اتجاهاته بغض النظر عن العمر والمستوى التعليمي والثقافي والبيئي المعاش، اضافة الى العقيدة والقومية بحيث تؤثر على لغته وهويته وقوميته وديانته وثقافته واتجاهاته وانماطه السلوكية.. وغيرها.

ومن هنا يأتي اجتياح الاستعمار الالكتروني من خلال السيطرة على الدول شبه الهامشية والهامشية من خلال مؤسسات ومنظمات عالمية ومراكز متعددة بقيادة الولايات المتحدة الامريكية التي ساعدت على تغوله الشرس في العالم وبالاخص العالم العربي. كذلك القيام بعمليات التبشير التي تولد النزعة الطائفية بين المسيحيين انفسهم وبين المسيحيين والاسلام في الوطن العربي، وكذلك تاثير ايدولوجياتها المعادية لكل ما هو عربي كالديمقراطية والليبرالية والشيوعية والقومية والفلسفات الهدامة.

وفي هذا الاطار يتبين لنا بان الاستعمار الالكتروني يلعب دورا بارزا من خلال الشركات متعددة الجنسيات التي تحاول وتسعى جاهدة لتسويق منتجاتها الغربية لغة ومواد بمختلف اشكالها الى الدول الاخرى وبخاصة دول العالم الثالث للتأثير على عقولهم بخاصة العقول الضعيفة، كما وتسعى للتأثير على افكارهم وسلوكياتهم وانماط حياتهم ما يتماشى مع قيم تلك الدول وانماطها وثقافتها، وبما يخدم اهدافها ولا سيما هدفها الرئيس وهو "امركة العالم"، حيث ان الشركات العملاقة الامريكية قد أثرت على الرسالة الاعلامية بحيث جعلتها "رسالة معولمة" من خلال سعي هذه الشركات للقضاء على الصناعات الوطنية الاعلامية في دول العالم الثالث عموما ودول العالم العربيعلى وجه الخصوص.

ويمكن القول بان الرسالة الاعلامية في وسائل اعلامنا يجب ان تكون واضحة ودقيقة وصادقة، كما يجب توفر الادلة والبراهين كي تستطيع بذلك

مواجه الاستعمار الالكتروني الذي تغول فينا من خلال الاعلام الغربي وما يبثه ما شائعات واحداث وصور مفبركة للعالم العربي.

فالاعلام العربي بمختلف انواعه قد تأثر تأثرا كبيرا بالفضائيات من خلال ما يقدمه اليوم من محتوى برامج شبيهة بالبرامج المقدمة في الاعلام الغربي، بخاصة الاعلام الامريكي المسيطر. كما ان معظم المؤسسات الاعلامية العربية تقوم على شراء برامج للاطفال لا تتعلق بواقعنا العربي ولا ترتبط بقيمنا ولا بعاداتنا وتقاليدنا وثقافتنا وعقيدتنا ولا بلغتنا ايضا، والتي تزرع في نفوس اطفالنا النزعة العدوانية والعنف والضرب، كما وتجعل اطفالنا يسلكون سلوكاً غريباً عجيباً بتقليدهم الاعمى لكل ما يأتينا من الغرب.

اضافة الى ذلك نجد ان الاغاني والفيديو كليبات العربية التي تُبث عبر القنوات الفضائية العربية اصبحت تأخذ الاتجاه والمسار الغربي من خلال ما نشاهده من محتويات معظمها خلاعة ولا يتناسب مع قيمنا واخلاقنا، بحيث اصبح تسويق الفيديو كليبات لاجل الربح فقط وليس لاجل امتاع الاذن والنفس.

وهنا يمكننا القول بانه وللاسف فان معظم المؤسسات الاعلامية العربية تعمل على تشجيع الثقافات الغربية وتسمح بتوغلها في اعلامنا العربي، ونتائج هذا التوغل ازدياد الخلل والضعف في الرسالة الاعلامية العربية التي اصبح معظمها رسائل اعلامية "معلومة" وربما مشوهة ايضا.

اما بالنسبة لحق الحصول على المعلومة، فمن حقنا كصحافين واعلامين الحصول على المعلومات، لكن ليس من حقنا ان نقوم بنشر كل ما نحصل عليه ولا سيما اذ لم يتم التأكد من دقتها ومصادرها وان نقوم بفبركتها، ما يؤدي الى تشويه صورة اعلامنا ومعلوماتنا.

ومن حق الناس ايضا الحصول على المعلومات لكن ليس من حقهم نشرها وإشاعتها هنا وهناك من دون التأكد من مصادرها والتأكد من صحتها. واعتقد بانه علينا ان ندرك ان "حق الحصول على المعلومة" لا يعني ان تقوم اي وسيلة اعلامية بنقل أي معلومة قد تسيء لسمعة الوطن وللوحدة الوطنية، او الاساءة والتدخل في خصوصيات الاخرين.

ولا بد من الاعتراف بان هناك نوعية من المعلومات يمكن ان تقوم السلطة بحظر نشرها لتحقيق اهداف مجتمعية تفوق اهميتها اهمية حق وسائل الاعلام في الحصول على المعلومة ونشرها وحق الناس بمعرفتها، كالمعلومات التي يمكن ان تؤدي الى وقوع الفوضى او الجريمة او الاخلال بوحدة المجتمع وتماسكه.

وعلينا ان ندرك ان وكالات الانباء العالمية تقوم بتغطية الاحداث من وجهة نظرها وتصوراتها الغربية للقضايا العالمية. لذا من الضروري على وسائل اعلامنا في ظل الاستعمار الالكتروني التركيز على نوعية المعلومة المقدمة للمواطنين لتساعدهم في اتخاذ القرارات الصحيحة، وليس نشرها بهدف الفوضى وتضليل المواطن من دون وعي وادراك، ومن الضروري التوصل الى مجموعة من المحددات التي توجه الصحافين الى البحث عن نوعية المعلومة غير تلك التي يبحثون عنها حاليا وتعتبر النظرة الى طبييعة المعلومات باعتبارها سلعة اجتماعية.

ولا يمكن تحقيق تلك الامور ما لم يتم اعادة تشكيل نظرة الصحافيين للمواطنين على انهم ليسوا فقط مجرد مستهلكين للمعلومة وان المعلومة ليست مجرد سلعة تجارية وذلك عن طريق التحلي بالحيادية والموضوعية وتوخي الدقة والحذر. ومن ثم فان وسائل الاعلام تحتاج الى فكر اخلاقي جديد وان يتم الربط بين المواثيق الاخلاقية والتعليم والتدريب وان يرتبط ذلك ببناء نظم اعلامية ترتبط فيها الحرية بالمسؤولية.

ان منحنا حق الحصول على المعلومة" لا يعني نشرها بطرق عشوائية من دون ادراك لابعادها ونتائجها، بخاصة ونحن نعيش استعمارا الكترونيا بكل اشكاله، وانما يعني ان نتعلم طرق اختيارها وانتقائها بكل حذر ودقة ووضوح.

ونحن اليوم وللاسف امام ازمة اعلامية كبرى حيث اصبح اعلامنا العربي لا يحمل الا الضجيج والازعاج بما يبثه من قضايا جعلت من الكماليات ضروريات. وعلينا ان ندرك بان الاعلام العربي لا يمثل فكر هذه الامة ولا اهدافها ولا طموحها الحاضرة والمستقبلية، هو في الحقيقة اعلام تابع وليس بمستقل، اعلام خاضع وليس بالحر، اعلام مستهلك وليس بالمفكر، اعلام مستعمر وليس متحرر. اعلام مقيد بالاستعمار الالكتروني.

ويمكـن القـول في هـذا الاطـار ان واقـع اعلامنـا العربـي في أغلبـه موجـه، ولكن بدرجات متفاوتة. الامر الذي ربما يجعل حركة الشارع منقادة لاجندات هـذا النـوع مـن الاعـلام. وفي احيـان كـثيرة يستخدم الاعـلام قضية تهـم الـشارع العربـي لتمرير بعض الأجندات.

ولا شك بان تـأثير وسـائل الاعـلام العربية على الـرأي العـام المحلـي تتفاوت بدرجات، بحسب المستوى الثقـافي والاجتمـاعي والادراكـي والمعـرفي لكـل شخص. وقـد اخـذ الاعـلام الموجـه يتجـه نحـو الانفتـاح مـن خـلال وجـود الـرأي المؤيـد والـرأي المعارض عبر تلك لوسائل، بهدف التأثير بالجمهور على ان الاعـلام الموجه هـو اعـلام محايد ويتقبل الاراء والانتقادات والمعارضات جميعا.

ومما لا شك فيه ان ثورات الربيـع العربـي لها سـلبياتها ولهـا ايجابياتهـا الـتي استفادت منها وسائل الاعلام العربية، حيث نجد ان هناك وسـائل اعلاميـة اسـتفادت من تلك التجربـة مـن خـلال اتبـاع الحياديـة والمصداقية ممـا اكسبها شـعبية واسـعة، بينمـا نجـد ان هنـاك وسـائل اعلاميـة قـد ابتعـدت عـن الحياديـة والمصداقيـة كـبعض القنوات الاخبارية العربية. الامر الذي ربما يدفع بها لتعيد ترتيـب اجنداتها مـن جديـد لتستعيد كسب شعبيتها امام الرأي العام العربي.

ويمكن القول بان الاعلام العربـي بعضـه نجـح، وبعضـه فشـل، وبعضـه مـا زال يتأرجح ما بين النجاح والفشل ويمكـن وصـفه بحالـة عـدم الثبـات، وذلـك نتيجـة الزخم الهائل من الاخبار والمعلومات التي انهارت بشكل مفـاجيء في الوقـت الـذي لم تعتد معظم الوسائل الاعلامية استيعابها والتفاعل معها. ولا بـد لنـا مـن الاعـتراف بـان الاعلام عموما والاعلام العربي خصوصا لم يكـن صـانعاً للاحـداث بـل هـو الاكـثر تأثراً بها، على عكس الاعلام الدولي الذي يعتبر صانعاً للاحداث وليس متأثراً بها.

اما شبكات التواصل الاجتماعي فقد لعبت دورا بارزا من خلال تفوقها في التأثير على الرأي العام والشارع العربي بخاصة خلال ثورات الربيع العربي، وتفاعلها بشكل كبير مـع المواطن العربـي، الامـر الـذي ادى لتراجـع المهنية والاداء في وسـائل الاعـلام الرسمية. ولكـن هـذا لا يعني ان التفاعل كـان ايجابيا، بـل كـان التفاعـل سلبياً اكثر منه ايجابياً. فليس كل ما ينشر عبر الاعلام الجديد وشبكات التواصـل الاجتماعي يحوي المصداقية او الحيادية او الدقة.



ملخص القول

لا بد من الاعتراف ان الثورة التكنولوجية التي ادت للعولمة لها سلبياتها وايجابيتها. ولا نستطيع ان ننكر بان العولمة قربت المسافات وساعدت على الانفتاح والتبادل المعرفي والمعلوماتي، وشجعت على تبادل الخبرات. الا اننا وللاسف نحن الذين نشجع العولمة على ان تقوم بعولمة الذاتية وعولمة وسائل اعلامنا وعولمة انماطنا وسلوكياتنا ولغتنا وثقافتنا حتى ان الطفل اصبح معولماً.

فالغرب يمنحنا التكنولوجيا باشكالها المختلفة لكن مجتمعه يستخدمها بطريقة حضارية وذكية بينما نحن نقوم باستخدامها من دون ادراك لابعادها وخطورتها علينا وعلى امتنا العربية.

وعلينا ان لا ننسى بان العولمة هي الطريق للاستعمار الالكتروني الذي اعتبرناه ضيفاً بدلا من ان نعتبره عدوناً، فشجعنا على قدومه ورحبنا به ضيفاً عزيزاً على عقولنا، واذهاننا، وبيوتنا، ووسائل اعلامنا. كما وشاركناه عاداتنا وتقاليدنا فاصبح جزءا لا يتجزء من روتين حياتنا وسلوكياتنا.

كما ان هذا الاستعمار الجديد منحناه اسرارنا وخصوصياتنا، فاخذ من وقتنا الكثير ومن حياتنا الكثير. فقد جاءنا بثوب الضيف من دون ان ندرك ان هذا الثوب يخفي خلفه ووراءه ابعاداً واهدافاً مليئة بالخبث والمكر والغموض.

فهناك من اكتشف حقيقته الخبيثة، وهناك من تأكد بان هذا الاستعمار عدو ماكر. لكن ما زال هناك الكثيرون يعتبرونه ضيفاً. وللاسف ما زالوا يهللون له ويطبلوا له كل ما آتى الينا بشيء جديد، ولم يدركوا بعد ان هذا الضيف هو عدو خبيث جاء ليفتك بعقول الامة وتدمير ثقافتها ولغتها وحضارتنا.

فقد جاء الينا بأثواب مختلفة، وبالوان زاهية واستطاع ان يسيطر علينا من خلال ادواته التي اهدانا اياه من اعلام رقمي- الكتروني، واعلام جديد بكل اشكاله من شبكات التواصل الاجتماعي، والاجهزة الخلوية الذكية وما تضمنه من اشكال واحجام مختلفة وما تحويه من برامج متنوعة.

فاصبحنا مدمنين عليها وبذلك اصبحنا نعيش عصر "الاستعمار الالكتروني" الذي استوطن ذاتنا وبيوتنا وعائلاتنا ومجتمعاتنا واقتصادنا وكل مجالات حياتنا. فلا يكفي ان نكون في النور لكي نرى، بل ينبغي ان يكون في النور ما نراه.

فبعض الناس يملكون اشياء كثيرة، لكن معظم الناس تملكهم الاشياء وتسيطر على حياتهم، فنحن البشر عبيد كل شيء نسمح له بان يتحكم بحياتنا.

هوامش الفصل الرابع

(1) ثوماس مكيفل.(2005). الاعلام الدولي، النظريات والاتجاهات الفكرية، ترجمة: حسني محمد ناصر وعبدالله الكندي، دار الكتاب الجامعي، العين، ط1، ص:24.

(2) ياسر خضير البياتي.(2010). الاتصال العربي والدولي، مجتمع المعلومات ومجتمع الورق، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ط1، ص:42.

(3) محمود عبدالله.(2010). الاعلام واشكاليات العولمة، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص:243.

(4) Ali Mohammadi, Internationa Communication and Globaliazation (London: Sage, 1997),p.2

(5) شون ماكبرايد.(1981). اصوات متعددة وعالم واحد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص:104.

(6) ثوماس ميكفل، مصدر سابق، ص ص: 317- 318.

(7) المصدر نفسه، ص:28.

(8) الوطن السعودية، بتاريخ: 2001/10/28

(9) محمد الصرايرة، مجلة العلوم الاجتماعية – جامعة الكويت، مجلد 17، ع1، 1989، ص240.

(10) فاروق خالد.(2011). الاعلام الدولي والعولمة الجديدة، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص:73

(11) ابراهيم امام.(1972). وكالات الانباء، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ص: 124-125.

(12) سليمان صالح.(2005). اخلاقيات الاعلام، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، العين، ط2، ص:363.

(13) Willims. K, something more important than truth, in: Belsey. A and Chadwick R, op cit, p. 158.

(14) ثوماس ميكفل، مرجع سابق، ص ص: 33- 34.

(15)Fernando Reyes Mata. Asocial View of Information in Geoge Gerbner and Marshall Siefert eds (world “Communication.Hand book) N. Y (Longman) 1984-p.64.



(16) حمدي قنديل، الجوانب الفلسفية والقانونية للحق في الاتصال، حق الاتصال، اعداد دائرة الشؤون الثقافية العامة، سلسلة دراسات رقم (318)، دار الرشيد- بغداد، 1982، ص 25.

(17) المصدر نفسه، ص 25.

(18) محمد الجوهر، النظام الاعلامي الدولي الجديد، محاضرات مطبوعة بالرنيو. من دون تاريخ، ص39.

(19) ثوماس ميكفل، مرجع سابق، ص ص: 126- 127.

(20) المصدر نفسه، ص: 92.

(21)Steven Watts, The Magic Kingdom: Walt Disney and the American Way of Life (Boston, Houghton Mifflin, 1998).

(22)Russ Bader's piece in the Columbia Journalism Review of May/ June 1998.

(23) ثوماس ميكفل، مرجع سابق،ص:129.

(24) المصدر نفسه، ص:135.

(25) الشرق الاوسط، العدد: (12636)، 2013، www.aawsat.com

(26)www.akhbarak.net.2014:بتاريخ ،

(27)www.iqbaltamimi.wordpress.com.2012 :بتاريخ ،

(28) المصدر نفسه.

(29)www.ramadan2.com/robart-mardoch.html

(30) المصدر نفسه.

(31)www.iqbaltamimi.wordpress.com.2012 :بتاريخ ،

(32) الفردوم. ليملينتال.(1979). الاخطبوط الصهيوني، ترجمة الدكتور محمد الحسيني، دار المعلم للملايين، بيروت، ص:248.

(33) ياسر خضير البياتي، مرجع سابق، ص:144.

(34) زياد ابو غنمة.(1989). السيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام العالمية، دار عمارة، عمان، ص ص: 25- 26.

(35)www.elaph.com.2001 بتاريخ: 21 مايو ،

(36) ثوماس ميكفل، مرجع سابق، ص ص: 205- 207.

(37) المصدر نفسه، ص:215.

(38) اليونسكو، (لجنة ماكبرايد)، م.س.ذ ، ص91.

(39)Stacey Sowards, "MTV Asia; Cultural Imperialism in Southeast Asia;" Paper presented at the National Communication Association Annual Conference.

(40) الاحصائيات مأخوذة من كتاب: د.ر. مانكليكان، تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية. 2014.

(41)Afazal. A., The Cultural Assault, www.tanzeem.org/research/articales/Ahmed 1.htm.

(42) Glasser. T. L, Objectivity precludes responsibility, In Hiebert. R.E and Reuses. C, Impact Of mass media (N.Y. long man, 1985).

(43)Gamson. W. A, What's news (N y: The Free Press, 1984), p.32.

(44) صحيفة الاخبار المسيحية، بتاريخ: 1- 4- 1938.

(45) زياد ابو غنمة، مرجع سابق، ص:11.

(46)www.youtube.com/watch?v=Y8TDchh24DAo

(47) فواز منصور الحكيم.(2011). سوسيولوجية الاعلام الجماهيري، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص ص:162- 176.

(48) سؤدد فؤاد الالوسي.(2012). العنف ووسائل الاعلام، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص:135.

(49) المصدر نسفه،

(50) عصام سليمان الموسى.(2009). المدخل في الاتصال الجماهيري، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط6، ص:208.

(51) منى الحديدي.(1999). الاعلان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص:23.

(52) سعد سلمان المشهداني.(2012). الاعلان التلفزيوني وتأثيره في الجمهور، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص:51.

(53) عبد العزيز عبد الستار تركستاني، تأثير الاعلان التلفزيوني الدولي على الجوانب الاجتماعية والثقافية في المملكة العربية السعودية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، قدمت الى قسم العلاقات العامة والاعلان في كلية الاعلام، بجامعة القاهرة، عام 1999، ص 5.

(54) المصدر نفسه.

(55)**www.alrainews..**

(56)www.youtube.com/watch?v=Y8TDchh24DAo

(57) عبير شفيق الرحباني.(2013). الاعلام رسالة ومهنة، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص:146.

(58) المصدر نفسه، ص ص: 146- 147.

(59) المصدر نفسه، ص: 148

(60) المصدر نفسه، ص ص: 148- 149

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- رضا عبد الواجد امين.(2007). الصحافة الالكترونية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.
- السيد البخيت.(2000). الصحافة والانترنت، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ص:34.
- سليمان صالح.(2005). اخلاقيات الاعلام، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، العين، ط2.
- عبد الامير مويت فيصل.(2006). الصحافة الالكترونية في الوطن العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، المنارة.
- عبد الجليل كاظم والي، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، **مجلة المستقبل العربي**، العدد: 275، يناير 2002.
- السيد ياسين.(2001). العولمة والطريق الثالث، دار ميريق للنشر والمعلومات، القاهرة.
- ثوماس مكيفل.(2005). الاعلام الدولي، النظريات والاتجاهات الفكرية، ترجمة: حسني محمد ناصر وعبدالله الكندي، دار الكتاب الجامعي، العين: ط1.
- شادي ناصيف.(2009). فضائح الفيسبوك، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، ط1.
- عبد الرزاق الدليمي.(2011). الاعلام الجديد والصحافة الالكترونية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط2.
- علي خليل شقرة.(2014). الاعلام الجديد(شبكات التواصل الاجتماعي)، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
- ياسر خضير البياتي.(2010). الاتصال العربي والدولي، مجتمع المعلومات ومجتمع الورق، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ط1.
- محمود عبدالله.(2010). الاعلام واشكاليات العولمة، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
- فاروق خالد.(2011). الاعلام الدولي والعولمة الجديدة، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
- زياد ابو غنمة.(1989). السيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام العالمية، دار عمار، عمان.
- فواز منصور الحكيم.(2011). سوسيولوجية الاعلام الجماهيري، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1.

- سؤدد فؤاد الالوسي.(2012). العنف ووسائل الاعلام، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
- سعد سلمان المشهداني.(2012). الاعلان التلفزيوني وتأثيره في الجمهور، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
- عبير شفيق الرحباني.(2013). الاعلام رسالة ومهنة، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1.

المراجع الاجنبية:

* Malcolm Waters, Globlaliztion, Key Ideas, London and NewYork: Routledge, Routledge,1995,p:3.

* Ali Mohammadi, Internationa Communication and Globaliazation (London: Sage, 1997),p.2

* Glasser. T. L, Objectivity precludes responsibility, In Hiebert. R.E and Reuses. C, Impact Of mass media (N.Y. long man, 1985).

الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية:

- صحيفة العرب اليوم
- جريدة الرأي الاردنية
- صحيفة الشرق المطبوعة
- www.assawsana.comوكالة السوسنة الاخبارية
- نبراس نيوز WWW.nebrasnews.com
- ar.jn1.tv/video/news/?media_id=17706
- شبكة الاخبار العربية www.anntv.tv.new.com
- www.danakw.com
- www.dailygeedshow.com
- www.freeArabi.comمجلة العربي الحر
- www.elyomnews.comاخبار اليوم
- www.elaph.com
- www.aleqt.comاخر الاخبار
- www.ibda3world.com
- www.ibda3world.com
- www.alafkar.com
- • www.zamnpress.com/news/38255
- www.alalam.ir/news/1560351
- www.newssaudi-today.com جود نيوز
- www.skynewsarabia.com

- www.dawayima.own0.com
- www.digital.ahram.org.eg.com
- www.almashhed.com/129196htm
- www.arabic.rt.com/news664963 روسيا اليوم،
- جريدة المساء
- www.albawaba البوابة،
- الاهرام
- www.youtube.com/watch?v=q2qJNAEfp_E
- قناة LCI ،www.youtube.com/watch?v=n2I7mbm6-2o
- الحقيقة الدولية
- وكالة سرايا الاخبارية
- www.youtube.com/watch?v=Y8TDchh24DAo
- akhbarak.net
- www.iqbaltamimi.wordpress.com
- www.ramadan2.com/robart-mardoch.html
- www.iqbaltamimi.wordpress.com

عبير شفيق جورج الرحباني

من مواليد عمان

- اعلامية تعمل مذيعة في اذاعة المملكة الاردنية الهاشمية.
- حاصلة على شهادة البكالوريوس في ادارة الاعمال.
- حاصلة على شهادة الماجستير في الاعلام -MEU.
- مدربة على في المجال الاعلامي.
- مستشارة اعلامية لدار اسامة للنشر والتوزيع.
- عضو لجنة الحريات الصحافية في نقابة الصحافيين الاردنيين.
- عضو الهيئة الفخرية المساندة لحقوق الانسان في الاردن .
- عضو اللجنة الاجتماعية في مركز الاعلاميات العربيات.
- باحثة في المجال الاعلامي.
- عضو في هيئة نحن الأردن.
- عضو الفريق الاعلاني في المشروع الوطني للدفاع عن اللغة العربية.

• **المؤلفات والبحوثات المنشورة للمؤلفة**

1 - بحث مشترك مقدم لمجلة العلوم الاجتماعية - الجامعة الاردنية- عمادة البحث العملي، 2011، بعنوان: "ميزات الصحافة الالكترونية وانعكاساتها على الصحافة الورقية من وجهة نظر الاعلاميين والصحافيين.

2 - كتاب الاعلام الرقمي- الالكتروني، صدر عن دار اسامة،2012

3 - كتاب الاعلام رسالة ومهنة، صدر عن دار اسامة، 2013





الأردن. عمان

هاتف: 00962 6 5658252 / 00962 6 5658253
فاكس: 00962 6 5658254 ص.ب: 141781
البريد الالكتروني: darosama@orange.jo
الموقع الالكتروني: www.darosama.net





الأردن - عمان - العبدلي
تليفاكس: 0096265664085